المنزل ذو النوافذ العمياء

أدب نرويجي حديث

هيربيورج واسمو
(1981)

ترجمة
شيرين عبد الوهاب
سها السباعي

المحروسة

مكتبة
t.me/soramnqraa

سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

المنزل ذو النوافذ العمياء

عنوان الكتاب: المنزل ذو النوافذ العمياء
HUSET MED DEN BLINDE GLASSVERANDA

المؤلفة: هيربيورج واسمو Herbjørg Wassmo

ترجمة: شيرين عبد الوهاب - سها السباعي

مراجعة لغوية: شرين يونس

إخراج داخلي: رشا عبدالله

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 28432157 02 002

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٦٤٢٩/ ٢٠٢٤

الترقيم الدولى: 6-017-894-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2024

Copyright © Gyldendal Norsk Forlag AS 2011 [All rights reserved.]

"This translation has been published with the financial support of NORLA"

NORLA
Norwegian
Literature Abroad

مكتبة
t.me/soramnqraa

المنزل ذو النوافذ العمياء

هيربيورج واسمو

(1981)

ترجمة

شيرين عبد الوهاب

سها السباعي

الطبعة الأولى 2024

مكتبة
t.me/soramnqraa

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

واسمو، هيربيورج.
المنزل ذو النوافذ العمياء/ هيربيورج واسمو؛ ترجمة: شيرين عبد الوهاب - سها السباعي.-ط1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2024
307 ص؛ 21.5×14.5 سم
تدمك 978-977-894-017-6
1 - القصص النرويجية
أ- عبدالوهاب، شرين (مترجم)
ب - السباعي، سها (مترجم مشارك)
ج- العنوان
839.823
رقم الإيداع 2024/26429

مكتبة
t.me/soramnqraa

1

لم تكن تعلم متى أدركت كنهه: الخطر. كان ذلك بعد وقتٍ طويلٍ بعد أن انتقلت إلى حجرة المؤن خلف المطبخ، لأن أمها اعتقدت أنها يجب أن تحظى بغرفة صغيرة خاصة بها. كان ذلك بعد وقتٍ طويلٍ منذ بدأت في الاستيقاظ في أثناء الليل بسبب الأصوات العالية الصادرة من غرفة المعيشة حيث ينام هنريك وأمها. استيقظت خلال الليل وشعرت بالتعرق، كما لو أنها تتعافى من الحمى. أرادت أن تنادي أمها، أن تشعر بها قريبة منها، لكنها لم تتمكَّن من إصدار أي صوت. كان كل شيء مستحيلًا وغريبًا، وكان الظلام غير آمن. حدث ذلك مرارًا وتكرارًا، خاصة عندما كانت الأم تعمل في المناوبة الليلية في مصنع تعبئة الأسماك ولا تعود إلا في وقتٍ متأخرٍ.

كان عليها أن تجبر نفسها على الإفاقة التامة، حتى إذا كانت لا تريد ذلك. تجلس معتدلة في السرير، وتتحوَّل إلى صَدَفة فارغة. شعرت أن دماغها قد تورم، وأمسك بتلك الصدفة الفارغة الطافية في الغرفة. شعرت أن أذنيها تشبهان باب بيت القوارب الذي يملكه آلمر

في قريـة هيسـتافيكه؛ البـاب الـذي خربـت العاصفـة مفصلاتـه، وصـارت الريـح تعبـث بكُلّابـه المكسـور المعلـق.

ذات يـوم كانــت في منطقــة هاســتهامّاران، تسـلّقت حتــى القمــة، لم يكــن هنــاك أي شيء بالأعــلى ســوى صخــور وأعشــاب جافــة. أمســك هنريـك كتفهـا وقادهـا إلى الحافـة، غـاص الجـرف في اتجـاه البحـر بميـلٍ شـديدٍ، بانحـدارٍ رهيـب ممتلـئ بالأحجـار والجلاميـد. في أثنـاء وقوفهـما هنـاك، سـمعت الصفـير نفسـه في رأسـها. عجـزت عـن التحـرك، بـدا صـوت أمهـا خائفًـا حـين توسّـلت إلى هنريـك كي يعـود. لا تسـتطيع تـورا أن تتذكـر الكلـمات التـي قالتهـا أمهـا.

حينها فهمت أن هنريك هو الأقوى .. لأنه ضحك.

كان في وسـعها سـماع أصـداء ضحكاتـه تـتردد بالأسـفل عـلى المنحـدر الصخـري كلـما أخـذ شـهيقًا ليرسـل انفجـارًا مـن الضحـك نحـو الهاويـة.

تهكّـم الأطفـال في المدرسـة عليهـا أحيانًـا، قائلـين إن في وسـعهم أن يعرفـوا أيـن تعمـل أمهـا مـن الرائحـة.

لكـنَّ تـورا اعتقـدت أن رائحـة السـمك تفـوح مـن الجميـع، لم تهتـم لكلامهـم كثـيراً مـا لم يضعـوا أيديهـم عليهـا.

أيـدٍ.. أيـدٍ تـأتي في الظـلام.. كان هــذا هـو الخطـر. أيـدٍ قاسـية كبـيرة تتحسَّـس وتعتـصر في كل مـكان. بعـد ذلـك تمكّنـت بالـكاد مـن الوصـول إلى الدلـو قبـل فـوات الأوان. أحيانًـا لم تعـرف إذا كانـت تجـرؤ عـلى التبـول في المطبـخ، حيـث احتفظـوا بالدلـو المخصـص لذلـك.

بـدلًا مـن ذلـك، كانـت سـترتدي المعطـف والحـذاء الطويـل فـوق قميـص نومهـا وتهـرع إلى الحـمام الخارجـي سـواء كان الوقـت صيفًـا أو شـتاء. كان الفنـاء آمنًـا وواسـعًا، وكان بـاب الحـمام الخارجـي مـزوّدًا بـكُلّاب. في وسـعها الجلـوس هنـاك فـترة طويلـة، أحيانًـا كانـت تظـل

جالسة حتى تتجمد من البرد، أو تسمع خطوات أمها على الدرب المفروش بالحصى.

كان هنريك دائمًا في الخارج في ليالي عمل الأم بالمصنع.

استيقظت تورا دائمًا كلما فُتح الباب ودخل أحدهما. تميزت الأم بخطواتٍ خفيفة تدل على تعبها، تفتح الباب بهدوء كما لو أنها تخشى أن يتداعى. لم يحسب هنريك أي حساب للباب أو لإطار الباب، أيضًا لم يمشِ بخطوات، لكنه كان يجرجر ساقيه فحسب. لكن أحيانًا تميز هنريك بخطواتٍ أخرى داخل المنزل إذا أراد ذلك، خطوات لا تكاد تُسمع، خطوات صامتة، لكنها مفعمة بأنفاس هائجة.

ذات يومٍ بدأت إنجريه باستجواب تورا. سألت متى يرجع هنريك إلى المنزل، وكيف يتصرف، شعرت تورا برائحة القرنفل المثيرة للغثيان، وبدأت تشعر بتعرق راحتَي يديها.

بعد ذلك بدأت تستيقظ لمساعدته في الذهاب إلى سريره حين يعود إلى المنزل، كي لا تجده الأم مُلقى على الأريكة في المطبخ حين تعود. كانت رائحته مقززة، وأحيانًا كان ثقيلًا للغاية، لكنه لم يلمسها قَطُّ في أثناء مساعدتها له .. فقط مسح أنفه بظهر بيده بين الحين والآخر. لم ينظر حتى إلى تورا، حدق إلى الغرفة المظلمة فحسب.

بهذه الطريقة، يكون المنزل هادئًا ومنظمًا عندما تعود الأم إليه.

مع ذلك، ذات ليلة، ساءت الأمور.

لم يضِئ هنريك النور حين عاد في نحو الحادية عشرة ليلًا. اصطدم في الظلام بالأطباق الموضوعة على النضد لتجف؛ وسقطت عدة أكواب وفناجين وتهشَّمت على الأرض.

استيقظت تورا على وقع الصوت، سمعته يتهاوى هناك، وسمعته يُطلِق السباب، لكنها لم تجرؤ على الخروج على الفور، شعرت أن قلبها

معلقٌ خارج جسدها، احتاجت إلى بعض الوقت لإعادته إلى مكانه مرة أخرى.

لكن حينها نادى بصوتٍ أجش، وخشيت تورا أن تهبط إليسيف من الطابق العلوي وترى المشهد الأثيم في الغرفة؛ حينها ستشعر ماما بالخزي.

شعرت أن بعض شظايا الزجاج تخترق باطن قدمها في أثناء دخولها للمطبخ، توجب عليها أن تذهب حتى المدخل كي تجد مفتاح النور.

كان يجلس في وسط الغرفة، يبكي.

كائنٌ غريب يكتنفه جلد هنريك.

أحضرت تورا المكنسة والجاروف، وبدأت تكنس كي تخلي ممرًّا إلى الحوض. عند عودتها، رأت أثر الدم الذي خلَّفته في المكان. سلَّط النور القوي القادم من السقف شعاعًا وحيدًا على الكائن البائس الجالس على الأرض، حاولت ألا تفكر في ذلك، فقط أحضرت كرسي المطبخ ذا الظهر واستطاعت أن تُجلِسه عليه.

تهدَّلت كتفه المعطوبة أكثر من المعتاد، كما لو أن أحدًا عبَّأ كُم سترته بالصوف لكن لم تكن لديه الكمية الكافية لملئه. حاول إمساك ذراعه المتضررة كما لو أنها شيء غالٍ يجب حمايته من أي صدمات، كانت يده السليمة تنزف، لكنه لم يهتم لها.

خفت صوت البكاء، سقط رأسه على صدره، بدا كأنه لم يرَها.

غسلت الدم النازف من جبينه أيضًا. فوق الحاجب الأيمن قطعٌ أحمر متوهج. لم يُسمع في المكان سوى صوت الصنبور وما تبقَّى من صوت نشيجه.

فجأة، فُتح الباب، وكانت إنجريه تقف هناك، كانت عيناها بركتين مظلمتين في فيورد رمادي أبيض.

شعرت تورا كأنها انكمشت بفعل نظرتها المحدِّقة.

اهتزَّت الغرفة بأكملها.

فهمت أن ماما **رأتهما**، هنريك وهي. شعرت أنها وهنريك يتلاشيان أمام عينَي أمها، مثل فقاعات الصابون المتطايرة من نافذة المطبخ، تتساقط، بلا وزن وبلا قيمة.

كانت ماما الرب الذي رآهما، كانت ماما القس أو المعلمة. ماما كانت ماما-التي **رأت**! كانت تورا مذنبة لأنها كانت داخل صورة هنريك، سجينة قوة هنريك، مهزومة.

جلست إنجريه على كرسي المطبخ الذي دائمًا ما أصدر صريرًا، ونفذ الصوت إلى داخل العظام.

خرجت تورا من جسدها وإرادتها، رفعت هنريك من على الكرسي ووقفت لحظة تترنَّح معه، جذبته وتوازنا على السيقان الأربعة معًا ببطء حتى أدخلته غرفة المعيشة.

كانت إنجريه لا تزال جالسة حين خرجت مرة أخرى، عيناها مثبتتان على الأرض، وبالنسبة إلى تورا كان هذا أسوأ من أن تُحدِّقا بها.

- إذن هذا ما عليه الحال هنا عندما تكون أمكِ المسكينة في العمل.

أتى صوتها فجأة على نحوٍ غريبٍ من داخل ياقة المعطف.

أجابت تورا:

- حدث ذلك هذه الليلة فقط.

كانت سعيدة للغاية لأن أمها قالت شيئًا ما، لكن إنجريه لم تقل أكثر من ذلك. علَّقت ملابسها في المدخل، وأغلقت الباب برفقٍ كما اعتادت أن تفعل.

لكن لم تلمس القهوة التي صبَّتها تورا في الترمس، حتى إنها لم تلقِ نظرة على الخبز الموضوع في الطبق. هزَّت رأسها عندما أرادت تورا الانتهاء من تنظيف الأرض، فقط أومأت بخفة إلى باب غرفة تورا.

حينها فقط لاحظت تورا أن شيئًا ما يبكي في أعماقها، شيئًا فارغًا وحزينًا مثل أمنية لا جدوى منها بعد الآن. دخلت بهدوء إلى غرفتها وربطت جوربًا متسخًا على قدمها المجروحة كي لا تلوث ملاءة السرير بالدم، ثم دخلت تحت اللحاف. دلَّكت نفسها بيديها الباردتين المتعرقتين وهي ترتعد. خيَّم هدوءٌ غريب هذه الليلة، كأنه نذير شؤم، ثم كانت وحدها في العالم، تورا فقط الوحيدة التي لها وجود.

رائحة الليل الحالك والتراب والسرير. بدا الأمر مثل دخول البيت والحصول على حساء اللحم بعد يوم طويل في المطر. جافاها النوم وآلمتها قدمها قليلًا، ما زالت تشعر بوجود شظية زجاج.

في وقتٍ متأخرٍ من الصباح غمرها الدفء أخيرًا، التفتت الفتاة ذات الوجه المخضَّل إلى الضوء الأزرق، تردد داخل رأسها صفير وطنين، مثل الرياح التي تتخلل شجرة الحور الصفراء الكبيرة المترنحة في حديقة القس.

2

تتذكر تورا جيدًا أنها تسلَّقت يومًا ما مقعدًا، وكانت تتلمَّس زرًّا أسود بجوار الباب. قال صوتٌ نافد الصبر:

- لا، يجب أن تلفِّيه، يجب أن تلفِّيه... هكذا!

كان الصوت عميقًا وقويًّا مما جعل كل شيء حولها خاويًا على نحوٍ غريبٍ، جعل العالم ميتًا. ضغطت اليد الكبيرة على ظاهر يدها، شعرت بالألم في أصابعها عندما التوَت؛ لذا كان على كلٍّ من يدها والزر أن يطيعا الأمر.

بعدها سطع الضوء القوي في الغرفة، غمر جميع الأركان، وآلم عينيها، آلمها بشدة إلى درجة أن شيئًا أطلق صفيراً داخل رأسها. ذكَّرها ذلك بالأيام حين كانت تضع القوقعة الكبيرة على أذنها كي تسمع هدير البحر في الحكاية الخرافية كما علَّمتها جدتها قبل أن تموت. لكن تردد هسيس من نوع ما بالداخل، صوتٌ متذمر، مؤلم، لا يريد تركها، يعوقها عمَّا كانت تبحث عنه، وظلت القصة بعيدة، خلف صوت الهسيس وموج البحر.

هكـذا كانـت الحـال مـع زر الضـوء واليـد التـي امتلكـت السـيطرة. لم يصبـح ذلـك الضـوء دافئًـا أو قريبًـا قَـطُّ مثـل الضـوء القـادم مـن مصبـاح البارافـين الموضـوع فـوق علبـة الكعـك في الأعـلى عـلى الطاولـة. لم تكـن تـورا تعـرف إذا كانـت تحـب الضـوء القـادم مـن مصبـاح السـقف بعـد حكايـة الـزر، أم أنهـا تقبّلتْـه مثـل أشـياء كثـيرة. خزنـت أمهـا مصبـاح البارفـين بعيـدًا.

الضـوء! شـعرت بالضـوء عـلى جفنيهـا في الربيـع، قبـل ذوبـان الثلـج. كان الضـوء سـاطعًا ومتألقًـا، وشـعرت أنهـا لا تـزال واقفـة عـلى الكـرسي بيدهـا الضعيفـة عـلى الـزر مـن دون أن تعلـم أن عليـك اسـتخدام كل قوتـك إذا أردت الحصـول عـلى الضـوء حتـى لـو كنـت صغـيراً، وإلا سـتأتي اليـد الكبـيرة وتسـلِبها كل شيء، تجعـل كل شيء غريبًـا ومؤلمًـا مثـل ضـوء الشـمس في أبريـل، كأنـك ظللـتَ نائمًـا أسـبوعًا تعـاني مـن ارتفـاع الحـرارة، ويُفـترض بـك أن تُشـفَى فجـأة وتخـرج مـن البيـت.

أصبـح شـجر السـمان العجـوز خـارج نافـذة المطبـخ أحمـر اللـون، وتدلَّـت ثمـاره إلى درجـة أن في إمكانـك أن تمـد يـدك إلى الخـارج وتقطـف بعضهـا، حينهـا كان وقـت صنـع حسـاء اللحـم. بقـدر مـا اسـتطاعت أن تتذكـر كان فـوق الخزانـة في الردهـة حـوضٌ مـن الصلـب المجلفـن، تجلـب فيـه أمهـا البطاطـس والخـضراوات مـن الحديقـة. كانـت تنـزل الـدرج مرتديـة حذاءهـا المطاطـي المقطـوع، وتخـرج مـن البـاب الخلفـي للمنـزل حيـث الـدرب المـؤدي إلى دعائـم الأسـماك المجففـة والحديقـة المشـتركة.

أحيانًـا كانـت تسـمح لـ تـورا بمرافقتهـا. شـاهدت أمهـا تمسـك بـين فخذيهـا المعزقـة التـي بـرزت للخـارج، وأصبحـت جـزءًا مـن أمهـا عـلى نحوٍ غريـبٍ. صـارع مقبـض المعزقـة تنـورة أمهـا التـي وضعـت أنـف المعزقـة الحديـدي في التربـة أمامهـا. بـين الحـين والآخـر، تصطـدم بثمـرة بطاطـس

وتقسمها جزأين، حينها تتنهد ثمرة البطاطس وتتوقف المعزقة لحظة كأنها شعرت بالندم، وتقول أمها:

- أففف، هل يُعقل هذا!

وتكمل الحفر.

شعرت تورا أن طعم الجزر ملكها وحدها حين تمضغه أسنانها ثم يبقى في فمها مهروسًا مسكرًا.

كانت تأكل البطاطس أيضًا بقشرها والرمال التي تغطيها، بالتأكيد كانت صغيرة وغبية حينها، لكنها تتذكر ذلك بوضوحٍ.

إناء الحساء على الطاولة، الدهن الطافي على السطح، كانت الألوان جميلة.

فضَّلت النظر إلى الخضار المسلوق أكثر، لأن مذاقه كان سيئًا. لكن هدَّدها الصوت الخشن بأن عليها أن تأكل بعض الجزر والكرنب المسلوقين، لا بأس بالبطاطس فقد اعتادتها.

لا بأس باللحم أيضًا، لكن منظره كان مقززًا بعد النضج وقاسيًا عند المضغ. تخيلته يتلوَّى أمام عينيها على نحوٍ ما ويفسد كل شيء. قبل أن يُوضَع في القدر كان لونه أحمر بنيًّا، مع غشاء يعكس جميع ألوان قوس قزح. اعتقدت تورا أنه لا شيء له لون أحمر أجمل من لون اللحم النيء الموضوع على لوح التقطيع الخشبي.

أحيانًا كان عليه دم، قطعته الأم ببطء إلى قطع متوسطة، وتغيَّرت الألوان مع الظلال والحركات التي صنعتها يديها.

لمعت السكين دائمًا بجمال وخطورة.

ثم انتهى الأمر، وأخذت الأم لوح التقطيع إلى الموقد، وكشطت قطع اللحم إلى داخل القدر بحركات سريعة وذكية.. كانت هذه النهاية.

عرفت تورا أن قطع اللحم ستصبح رمادية، ولن تستحق أن تنظر إليها. أما الجزر والكرنب سيبتهجان في حساء اللحم، وستتعانق ألوانهما وترتبط على نحوٍ جميل.

سُمح لها بالبقاء وهلة كي تنظر وتتشمم الرائحة فحسب وهي تنتظر أن يبرد الحساء. بعد ذلك سيأمرها الصوت أن تتناول طعامها، ستترك الكرنب الذي تعافه ملعقة تلو ملعقة حتى تضطر إلى أكله كله في النهاية.

كان كوخ توباياس الخشبي هناك منذ الأزل، عرفت تورا ذلك. كان قديمًا وباردًا، ووُضعت أجولة فارغة في فرجات النافذة لسدِّها، وله باب أعوج يُصدِر صريرًا حادًّا كلما دخل المرء أو خرج. كان مكانًا لتخزين الصناديق وأشياء أخرى، أو للعب الورق يوم السبت إذا كان الجو دافئًا بما يكفي، وإذا كنت رجلًا.

له سقف منخفض، ولم يكن له درجات مائلة مثل باقي أكواخ الصيد بجوار أرصفة المرفأ. من السهل للمرء أن يدخل ويخرج.

ذات يومٍ منذ زمنٍ طويلٍ، اصطحبها هنريك معه إلى كوخ توباياس لأن أمها كانت تنظف منزل أحدهم مقابل المال. كان ذلك قبل أن تعرف تورا كيف تبقى وحدها، وقبل أن تعمل أمها في مصنع تعليب الأسماك.

جلس هنريك دائمًا هناك ممسكًا بكأس، ليروي القصص. نضح العرق من جبهته كما يفعل دائمًا حين يمسك الكأس ويروي القصص.

سافر هنريك كثيرًا؛ ورأى أحداثًا كثيرة. حين روى القصص من ذلك الزمن بدا كأنه نسي الكتف المعطوبة التي حاول دائمًا إخفاءها تحت القميص.

جلس الرجال الآخرون مباعدين بين سيقانهم مستندين بالأجزاء العليا من أجسامهم إلى الطاولة. جلس هنريك دائمًا متراخيًا إلى الأمام وكتفه المعطوبة متهدلة كأنها طير بجناحٍ مصابٍ.

لكنه تمتع بمهارة حكي القصص.

أحيانًا بدا كأنه يستمد قوته من الوجوه المتطلعة إليه، وهكذا يحاول أن يرفع كتفه ويسندها لحظة، مستخدمًا مرفقه الضعيف للدعم.

لم يكن الشيء المخيف والغريب في الجزء الأعلى من جسد هنريك هو الكتف المعطوبة، بل الكتف السليمة!

كانت تتحرك بقوة أسفل ملابسه، كفُّه وذراعه عبارة عن مجموعة من العضلات التي تتحرك بلا هوادة. لكن من الجهة اليسرى تدلَّت يده وذراعه المعاقتان بسكون، وكان ذلك إهانة لوجود هنريك بأكمله.

ذلك اليوم، في كوخ توباياس، حام الدخان المتصاعد من الغلايين والسجائر الملفوفة بالتبغ حول المصباح الذي يصدر هسيسًا بالأعلى عند دعامات السقف الخشبية مثل حيوان غافٍ يضايقه أحدهم. سطعت الإضاءة داخل المصباح وومضت كالبرق عبر المقابض المعدنية اللامعة.

احتاجت تورا إلى الذهاب إلى الحمام الخارجي، وحاولت أن تخبر هنريك بذلك، لكن وجهه كان عاليًا للغاية وكانت هي صغيرة للغاية وقريبة من الأرض.

رفع كأسه بيده الكبيرة وواصل الحكي، كان يمثِّل شخصية سامسون ولم يرَها.

حينها بدأ البول يسيل عبر ملابسها، في البداية كان دافئًا ولا بأس به، لكنها عرفت أن الأمر سيئ للغاية. رأى أحد الرجال ما يحدث

وأخبر هنريك. بدأ باقي الرجال في الضحك. أخذوا يشيرون إلى تورا ويضربون ركبهم ويقولون إن هنريك لا يصلح أبدًا زوج أُمٍّ. تعالى الضحك حتى ملأ رأسها كأنه يأتي من عالم آخر.

غاصت داخل خزيها، وكانت وحدها تمامًا في مواجهة الجميع.

لكن لم يكن هذا أسوأ ما في الأمر.

فقد تبرزت في سروالها أيضًا، لقد خرج فحسب، لم تستطع كبحه، شعرت به يندفع وينساب منها. ضحك الرجال أكثر الآن، وبدؤوا يسدون أنوفهم بسبب الرائحة، وأخذوا يسخرون من هنريك الذي لا يستطيع العناية بابنة إنجريه.

ارتجفت في أعماقها، لكنها تجمدت من الخارج.

سال عبر جوربها الصوفي الأبيض إلى الأرض، خراءً سائلًا.

كان موقفًا مهينًا في كوخ توباياس، وهكذا لم تذهب إلى هناك إلا إذا اضطرت إلى ذلك. أحيانًا اضطرت إلى الذهاب لأن شخصًا ما أرسلها إلى هناك لمهمة ما. ثم يراودها الشعور المتفجر مرة أخرى، كما لو أن شيئًا داخلها لن يكف عن الانكسار. ما زال في وسعها شمُّ نفسها ورؤية الجورب ذي البقع البنية، وما زالت ذكرى الضحك الخشن من أفواه الرجال الفاغرة الكبيرة تملؤها بالخزي.

كانت إليسيف التي تعيش في العلية متدينة، وقالت لـ تورا إن الخزي صنيعة الرب. جعل هذا كل شيء ميؤوسًا منه، فحينها لا مهرب لك من الخزي، هكذا خلق الرب العالم، لا بد أن يشعر البعض بالخزي، هذا مفيد لهم، لأنهم مذنبون.

وفهمت تورا أنها أحد هؤلاء المذنبين.

كذبت عندما اعتقدت أن الكذب أسهل الطرق للخروج من مأزق، وأخذت أكثر من نصيبها من حبات البرقوق المجفف عندما غفلت أمها عن ذلك.

لكن ما أثار تعجبها أن بعض الأشخاص لا يشعرون بالخزي مطلقًا تجاه أي شيء في العالم، على الرغم من أنهم لا يُطاقون.

مكتبة
t.me/soramnqraa

3

وقفت تورا حافية القدمين أمام نافذة غرفتها، ورأت أن عشب الخلنج أصبح بنيًّا وعاريًا من الزهور. بدا ما تبقَّى من الضباب الخفيف بعد ليلة ممطرة مثل أشباح باهتة فوق قمتَي فاتان وهاستهاماران. نعم، تمدَّد الضباب هناك حتى مدخل الفيورد خلف أرصفة مرفأ داهْل، بدت زوارق التجديف الراسية في الخليج كما لو أنها رُسمت بقلم رصاص رمادي اللون ثم مُحيت، وعرفت تورا أن قطرات كبيرة من الماء ستتشبَّث بحبات الكرز الممتلئة في حديقة القس. تردَّد صوت جريان الماء في الميزاب القديم.

رأت الطريق ينحني بشدة حول المزارع هناك أعلى جبل فاتان قبل أن يهبط مرة أخرى على سفوح التلال حتى يتوقف عند طرف رصيف المرفأ.

تناثرت بعض البيوت على جانبَي الطريق الذي يهبط التل حتى يصل إلى البحر والمرفأ. معظمها أكواخ قديمة بأسقفٍ منخفضة ونوافذ

ضيقة، بهتت وحالت ألوانها مثل الزهور الورقية المنسية. بيوت تشبه الصناديق المطلية ملقاة هنا وهناك، لبعضها أساسات صلبة متمسكة بالأرض الطينية بإرادة مبهرة.

مثل صاروخ، ذكَّرك شيء ما من أين تأتي الأشياء الطيبة، اندفع شعاع نور من صدع بين السحب. الشمس، لوَّنت أغصان أشجار البتولا المصطفة في مزرعة القس بلون الذهب.

تابعت تورا الطريق بعينيها، بدأت هناك بالأعلى عند منطقة باكيورده مرورًا بالحقول ومروج الأعشاب بألوانها الخريفية المبهجة، مرورًا بالأهوار ومنطقة بيوركاهولتا، مرورًا بدعائم تجفيف الأسماك والحظيرة الكبيرة التي لم يعُد يستخدمها أحد. هبَّت الرياح على الأرض البور التي تحوَّلت إلى صخور وأعشاب بحرية وكائنات حية وبحر. إلى اليسار يتشعب الطريق إلى المرفأ. ارتدَّ بصرها مرة أخرى إلى نافذة غرفتها، في المنزل الكبير المسمَّى توسينيامَّه أو المبنى المكوَّن من الشقق.

ما زال الصمت مخيمًا على المنزل للحظة.

بعد ذلك انهالت الجلبة فوق رأسها. أطفال إليسيف يتساقطون من الأسرَّة، ويركضون على الأرض بإيقاعاتٍ مختلفة.

لم تكن الأصوات سيئة ولا جيدة، أصوات كشط، خطوات قافزة، صوت إليسيف ذو النبرة الإلهية، الذي عرفت تورا أنه لا يحمل أي لمحة شر، على الرغم من كلامها دائمًا عن يوم القيامة.

سمعت تورا أمها تملأ إبريق القهوة بالماء وتضعه على النار في المطبخ. لم يرغب هنريك في الاستيقاظ بعد. كانت تورا مع ماما وحدهما دائمًا في الفترة التي سبقت ذهابها إلى المدرسة. حين تكون أمها في العمل تصبح تورا وحدها رفقة شطيرتها وساعة الحائط.

عرفت تورا أن الأقوى هو مَن يتخذ القرارات ويكون محقًّا بشأن كل شيء.

المهم معرفة من الأقوى.

كان هنريك الأقوى.

على الرغم من أن هنريك لديه كتف معطوبة تثير السخرية فقد كانت الكتف الأخرى قوية جدًّا، وكان يتكلم بسرعة انفجارية مفاجئة بفم كبير مفتوح.

إذا ضحك، لم يكن ضحكه حقيقيًّا. بدا كما لو أنه مأزوم. كأنه صوت غرغرة أو صوت عاصفة تهب على صخور الشاطئ. واجه هنريك أحيانًا بعض الأيام الصعبة. حينها لم يكن يذهب إلى مستودع داهْل.

لم تكن أيام ماما سيئة ولا جيدة، هكذا اعتقدت تورا. ظل شكلها كما هو دائمًا، لكن أحيانًا بدت بشرتها أكثر شحوبًا.

عادة، كانت عينا ماما كبيرتين وخضراوين، كما لو أن ستارة خفيفة معتمة تغطيهما، مثل ستائر الصيف عند الخالة راكيل. لكن من الممكن أن يتغيَّر اللون فجأة. كأنها تسحب الستارة، وتسمح للناس برؤية ما بالداخل.

تصبحان مفعمتين بالحياة! تبدوان مثل الأشجار الخضراء في الصيف، الممتلئة بالطيور الصغيرة والظلال السريعة الناعمة. كان كل شيء نابضًا وحيًّا بين الأوراق الخضراء. هذه هي الحال تقريبًا عندما تكون وحدها مع تورا.

يضرب هنريك بقوة أكبر من أي شخص تعرفه تورا، بيده السليمة. أحيانًا تضربها ماما على مؤخرتها براحة يدها لكنها كانت ضربة خفيفة. أرادت أن تعرف تورا أنها متضايقة منها. لم تكن هذه

الضربات الخفيفة مؤلمة، ولم تكن أمها تضربها كثيراً، فقط إذا اضطرت إلى ذلك. لا تخشى تورا البكاء إذا ضربتها أمها.

إذا ضربها هنريك، تقلصت. شعرت كما لو أنها معلّقة حول قبضته مثل خرقة.

حينها شعرت تورا أنها لم تعد واقفة على قدميها، وأن شيئًا انفجر داخلها إلى درجة أنها كادت تبول على نفسها. حتى الآن استطاعت أن تتحكم في الأمر، لأنها تذكرت دائمًا كوخ توباياس.

أصبحت مثل قطة الشارع التي قرر الأولاد في منطقة فاعريه تعذيبها حتى الموت لأنها ليست ملكًا لأحد؛ صلبوها على سور خشبي.

تقلصت القطة أيضًا، في النهاية لم يبق منها إلا فراء ومخالب. في اليوم الأول نقرت الغربان عينيها. تساءلت تورا أحيانًا عما إذا كانت حال القطة كحالها، إذ لم يعُد هناك مكان للبكاء، فقط نواح داخلي لكن لا يظهر أي شيء على السطح، كأن كل شيء صار ضيقًا.

اعتادت الأم أن تقول لها إن هنريك ليس شريرًا. لم تعتقد تورا أن هنريك كان شريرًا، ولم تقل ذلك قطُّ، لذا لم تفهم من أين أتت أمها بهذه الفكرة.

كانت تنظر إلى تورا بصرامة وتذكِّرها قائلة:

- هنريك ليس شريرًا.

لكن بالنسبة إلى تورا، لم يكن هنريك شريرًا أو طيبًا، كان فقط هنريك.

ارتدت تورا الجورب والتنورة، كانت الغرفة باردة رغم محاولة شمس الخريف تدفئة المكان. لكن جاء يوم جديد، كل ما عليها أن تغسل وجهها بالماء البارد من الصنبور. انتظرت تورا حتى أصبحت

أمها منشغلة بشيء ما كي لا تضطر إلى ملء الحوض. كانت إنجريه صارمة للغاية بشأن الاغتسال.

لم تتحدثا كثيراً في أثناء تناول الطعام، لكن الصمت لم يكن مهدِّدًا كما هي الحال حين يكون **هو** موجودًا.

عندما يتناول هنريك الطعام معهما، تثبِّت تورا بصرها دائمًا على الطاولة؛ عرفت أنه يراقبها، عرفت أنه ينتظر أن تُسقط شيئًا أو ترتكب خطأ.

عوَّدت نفسها على أن تأكل فقط ما تضطر إلى أكله وهو موجود، ولم تضع قطُّ سكرًا أو مربى على شطيرتها لأنها عرفت أنها قد تُسقط شيئًا. لا بأس بالجبن، يلتصق بالخبز دائمًا فلا يحدث شيء.

أما كوب الحليب فقد كان اختبارًا. بدا أنه من الممكن أن ينسكب منها لمجرد التفكير بذلك، كأن تحديق عينَي هنريك تدفعان يدها إلى إسقاط أي شيء.

لكن اليوم كانت وحدها مع ماما، لذا أخذت تورا وقتها وتركت عينيها تتجولان وتنظران إلى أي شيء أرادت النظر إليه.

في صباحات مثل تلك ستمرر إنجريه يدها برفقٍ على كتف تورا وهي ترتدي حقيبة ظهرها للذهاب إلى المدرسة، ثم تقف في النافذة وتشاهد ابنتها النحيلة وضفائرها المتأرجحة خلفها، حتى تختفي عند تقاطع الطريق مع أبناء إليسيف وأبناء ريتا.

وستشعر إنجريه بنوعٍ من العجز.

أحبت تورا وصديقتها سول الجلوس في الحمام الخارجي الأزرق بعد الظهر، بعد الغداء، حين يأخذ الكبار قيلولة أو ينشغلون بأمورٍ أخرى، فتقل رحلاتهم إلى الحمام الخارجي. تكلمت الفتاتان وقرأتا الجرائد القديمة.

قرأتـا عـن الشـخصية الكرتونيـة فانتـوم الـذي يركـب حصانـه في الأدغال بحثًـا عـن سـالا. تعطـي الطبـول إشـارة عـن مـكان وجودهـا. تغمغم سـول لنفسـها بصـوتٍ منخفـض، تجاهـد مـع قصاصـة الجريـدة والطبيعـة أسـفل مؤخرتهـا الممتلئـة. عـادةً تهـبُّ الريـاح بقـوة هنـاك. في المـد العـالي تـأتي الأمـواج الصغـيرة لتـضرب الصخـور وتأخـذ الفضـلات إلى البحـر.

عندمـا ينحـسر المـد، تُقاطـع أصـوات ارتطامـات مكتومـة قراءتهـما وتتطايـر الأوراق بالأسـفل هنـاك قبـل أن تقـرر الذهـاب في البحـر. لم تسـتطع تـورا تمزيـق أي قصاصـة مـن جريـدة لم يمـضِ عليهـا أسـبوع واحـد عـلى الأقـل لأنهـم اسـتخدموها في الحـمام. لكـن مـا زالـت هنـاك ممالـك أو عـوالم في الجرائـد لا بـد مـن البحـث فيهـا قبـل تحويلهـا إلى نفايـات. إعلانـات غامضـة عـن النظافـة الأنثويـة، معاطـف مـن الجبرديـن بسـعر منخفـض، لكـن هنـاك أولًا أيضًـا فانتـوم وسـالا.

تطـوي تـورا الجرائـد بحـرصٍ وتضعهـا تحـت الكومـة عـلى الرف، أسـفل المجـلات شـديدة القِـدم التـي جفَّـت إلى درجـة عـدم إمكانيـة المسـح بهـا، تحـت أغلفـة المجـلات الصيفيـة المبهرجـة وعـدد مـن مجلـة ألِّـش الـذي يعـود إلى آخـر عيـد فصـح وعـلى غلافهـا صـورة لفـرخ دجـاج تمزقـت مـن المنتصف.

بـين حـين وآخـر، قصـوا صـورة لوضعهـا عـلى الحائـط، لكنهـم افتقـروا دائمًـا إلى دبابيـس التثبيـت.

طُـليَ الحـمام الخارجـي بالأبيـض ذات يـوم في المـاضي البعيـد، وكان لـه بابـان بـكل بـاب شـباك مثلـث الشـكل، عـلى ارتفـاعٍ عـالٍ لا يسـمح باختـلاس النظـر لكنـه ضروري لدخـول الضـوء والهـواء.

يمكنـك بالنظـر إلى الحـمام الخارجـي معرفـة نـوع النـاس الذيـن يسـتخدمونه. في المـاضي، كان الحـمام الخارجـي في مزرعـة القـس وفي توسـينيامَّه مطليًّـا بالأبيـض، وبحالـة جيـدة. لكـن الآن تقـشَّر الدهـان في

حمام توسينيامَّه، وأي شخص استخدم حمامًا أفضل سيعرف أن هذا الحمام قد نال منه الزمن.

كان أحد البابين للرجال والآخر للنساء والأطفال.

من وقتٍ إلى آخر، يُنظَّف حمام الرجال بخرطوم المياه من مركز الصيد، كانوا يجذبونه بقوة مع صيحات الناس والكثير من الجدال كي يوصِّلوه من رصيف المرفأ إلى الحمام. لم يحدث هذا كثيرًا، وليس قبل أن تصبح حالته سيئة إلى درجة أن يُحجم الرجال عن دخوله طواعية.

أمام حمام النساء فقد وضعت على نافذته المثلثة ستارة مقصوصة من قماش التنجيد وسجادة على الأرض مصنوعة من خيش الأجولة. في الصيف وُضعت بعض زهور الجُريس والأقحوان في علبة من الصفيح على الرف. كان هناك ثقب صغير وثقبان كبيران، وأحيانًا شُغل الثلاثة في الوقت نفسه، خاصة في ليالي الخريف حين تهب عواصف الشتاء في الليالي القطبية التي تفعل فعلها في العقل والجسد.

بدا الأمر كما لو أن البرد لا يتمكن من الجسد بالطريقة نفسها إذا كانت بجوارك مؤخرة عارية أخرى لشخص آخر وسُمع صوت في الظلام. حتى لو لم يكن هناك سوى رائحة إنسان آخر، والبخار الدافئ الذي ينبعث ممَّا كان مختبئًا بالداخل، بطريقة ما كان هذا يخلق ترابطًا واتحادًا لا داعي إلى الحديث عنه أو صنع جلبة بشأنه.

تدقين بهدوء على الباب عبر الرواق وتهمسين ببعض كلمات، وهنا تنعقد رابطة أُختيَّة قوية، تُرتَّب الرحلة إلى الحمام الخارجي. الهمس ببعض الأحاديث التي تدور حول فلسفات الحياة واعترافات عن عالم الهرمونات أو جنون القلوب الذي لا يمكن السيطرة عليه. وهكذا لم يكن هذا المكان فقط لتفريغ الفضلات، ولكنه أيضًا مكان للتعاطف الروحي والمواساة اللذين يملآن الحمام البارد في فصل الظلام.

لم يشعر الناس بهبّات الهواء القادم من البحر عبر الثقوب المفتوحة حين تجلس مؤخرات عديدة فوقها.

يتميز حمام الرجال بمزيدٍ من الوحدة، لكن جمعهم ترابطٌ مختلفٌ عن النساء واستُبعدت منه النساء: الكلام وشرب الخمر في عليات أكواخ الصيد الصغيرة والتجول في فاعريه في عطلة الأسبوع.

لم يكونوا صرحاء بشأن خوفهم من الظلام، ليس هم.

في اليوم الذي انتقل فيه آينار إلى علية الشرفة الأمامية فتح بابًا ثم الباب الآخر في الحمام الخارجي، وبعد أن اكتشف أن حمام النساء أنظف بكثير صار يدخله ويغلق الباب بهدوء. كان هذا الخطأ الفادح الذي ارتكبه في توسينيامّه، لم يُغفر له ذلك.

حين خرج على سلم الحمام ولم يكن قد أغلق سرواله جيدًا بعد، فُتحت ثلاث نوافذ مواجِهة للفناء مرة واحدة، وظهرت ثلاثة وجوه لنساء، كلٌّ منهن غاضبة أكثر من الأخرى. كانت إليسيف الأولى، أحكمت قبضتها بقوة على كنزتها فوق صدرها العامر، فمها مزموم كقمع، وأسنانها البيضاء تلمع مهددة، وصوتها مثل ضربات السياط في وضح النهار.

ماذا تفعل في حمام النساء؟

ظل آينار واقفًا على السلم الخشبي الأعوج، يمسك بيمناه سحّاب السروال وبيسراه كُلابة الباب. فغر فاه للحظة حين التفت ورأى رؤوس النساء هناك على جدار البيت. ثلاث نساء غاضبات من الصعب مراضاتهن واقفات هناك.

ابتلع آينار لعابه ثم تذكر ما يفعله فجذب يده اليمنى من سحّاب السروال ووضعها خلف ظهره، لم يجرؤ حتى على وضعها مرة أخرى في جيب السروال، وتعجب من الأصوات العالية القادمة من

ثلاث رؤوس مجنونة في الوقت نفسه. ابتلع لعابه مرة أخرى قبل أن يجتاحه الغضب ليجعله يلهث ويقول:

- اللعنة، ماذا تقلن؟ هل من الممنوع أن يقضي المرء حاجته هنا؟

- لقد كنت في حمام النساء! لقد رأيتك!

كان صوت إليسيف لا يرحم، صوت العقاب العالي كالرعد.

لكن آينار استعاد ثقته بنفسه:

- هل يوجد فرق بين مرحاضه ومرحاضها هنا في منطقة سترانده؟ حتى بيت القس الذي أتيت من عنده لا يوجد به شيء كهذا، نساؤه لسن متغطرسات إلى درجة أن يختص كلٌّ بحمامه مثلكن يا نساء توسينيامَّه.

ومن دون أن يهتم لكلام إليسيف سار وعبر الفناء ودخل من الباب الأوسط، أغلق باب الشرفة الزجاجي بقوة وارتقى الدرج بخطواتٍ ثقيلة إلى درجة أن النحاس على أطراف الدرج كان يهتز في كل خطوة.

بعد قليل جلس آينار على أريكته، محدقًا إلى الجدار بعدوانية. نساء ملعونات! لم يرغب في الاعتراف أن قلبه ما زال يثب في صدره.

بعد ذلك لم يدخل حمام النساء أبدًا. ومع ذلك كان دائمًا ينظر إلى نافذة إليسيف كلما توجه إلى الحمام في الفناء. وعندما يسمع صوتها العالي الحاد في أي منطقة في البيت كان قلبه يدق أسرع على نحوٍ غير قابلٍ للسيطرة. أغضبه هذا. لأن آينار كان شخصًا يملك زمام أمره في هذا العالم، ولم يخشَ القس ولا النساء!

4

توسينيامه! منذ مطلع القرن، حمل المبنى الخشبي الكبير علامات مجد الماضي وحماقة البشر.

في وسع المرء أن يرى كليهما بوضوحٍ على الأفاريز المتقشِّرة. فاحت في المكان رائحة الاستغلال الغابر والأموال التي جُنيت من صيد الأسماك، وظهر هذا في السطح المسقوف بالبلاطات التي تخللتها الطحالب والسور الحجري السميك الذي تمتد أساساته إلى متر تحت الأرض.

تكوَّن البيت من ثلاثة طوابق وقبو، وعدد كبير من النوافذ العالية.

أصبحت سقيفة الحديقة فخًّا مغطًّى بالطحالب حيث سقط عليها ابن إليسيف الخامس وكُسرت ساقه. لكن في الأيام الباردة ذات الجو الصحو ظل الدخان معلقًا فوق السطح متصاعدًا من ثلاث مداخن.

ما زال في وسع منظر مثل هذا أن يفرض الاحترام.

لكـن لم يعُـد هنـاك الكثـير مـن كبـار الصياديـن، لأنهـم اختفـوا منـذ السـنوات العصيبـة في الثلاثينيـات، وهكـذا ظـل البيـت منتصبًـا بحالتـه المتدهـورة التـي أوصلـه العـوام إليهـا.

لأن الفقـراء جـاؤوا إلى تويسـنيامَّه، ينـوؤون بأحمالهـم الثقيلـة، فقـراء فيـما يتعلـق بالمتـاع الدنيـويِّ، حتـى إن بعضهـم فقـراء فيـما يتعلـق بالـروح.

احتشـدوا معًـا حـول المداخـل الثلاثـة، وكانـوا مفيديـن حـال وجـود نقـص في المجتمـع، إمـا عـلى أرصفـة المرفـأ، وإمـا في أكـواخ الصيـد، وإمـا تحـت أسـقف أفضلهـم في أيـام تنظيـف المنـازل.

لم يفكـر النـاس في منطقـة توسـينيامَّه أنهـم سـيرِثون الأرض بخنوعهـم، لأن هـذا كان بالنسـبة إليهـم أمـرًا بعيـدًا تمامًـا.

لكـن حـين كان القمـر فـوق قمتَـي فاتـان وهاسـتهامران في أواخـر الخريـف، جعلـت الأمهـات أولادهـن الكبـار يحصـدون البطاطـس مـن الحديقـة المشـتركة، وبـدأ الشـجار السـنوي بـين إليسـيف وآرنـا وبـادِر بشـأن نهايـة حـدود إليسـيف وبدايـة حـدود آرنـا وبـادِر. بعـد انتهـاء الشـجار اسـتقر الجميـع بطريقتهـم الخاصـة تحـت مصابيحهـم، أو تجوَّلـوا في أنحـاء فاعريـه لـو كانـوا شـبابًا، أو لعبـوا الغميضـة في القبـو لـو كانـوا صغـارًا.

نـثر القمـر فضتـه الوفـيرة عـلى رأس التنـين القديـم عـلى حافـة السـطح الجنوبيـة، سـقطت الحافـة الشـمالية حتـى قبـل الحـرب، وتسـامت الأرواح في توسـينيامَّه فـوق خنوعهـا الرمـادي المعتـاد.

حـين سـطعت الشـمس في فبرايـر عـلى السـطح القديـم المغطـى بالثلج، عـاد الرجـال ومعهـم أسـماك القـد والبطـارخ، وأُخرِجـت البطاطـس مـن القبـو، وعبـق البيـت برائحـة طهـي كبـد أسـماك القـد.

ثـم طـردوا ظـلام الشـتاء إلى الخـارج عـبر النوافـذ المفتوحـة، وعاونـت النسـاء بعضهـن في دفـع العربـات اليدويـة إلى مصـب النهـر، حيـث يفـردن مـلاءات الأسرَّة التـي اصفـرَّت بفعـل الشـتاء لتبييضهـا عـلى الصخـور والثلج القديـم المنجـرف.

اختبـأ الشِّـعر في التفاصيـل، مثـل قطـرات الميـاه المباركـة التـي تسـيل مـن الميـزاب، كانـت خجـلى ومنسـية مثـل طفـل مسـكين لم يـرِد أحـد الاعتنـاء بـه أو منحـه الحـب.

نـادرًا مـا خطـر سـحر البقـاء عـلى قيـد الحيـاه لهـؤلاء الفقـراء. كي يحـدث ذلـك، كان لا بـد مـن هبـوب العواصـف وتحطـم السـفن، عـلى الأقـل.

نادرًا ما حدث ذلك لكنه حدث أحيانًا.

عاشـت أرملـة عجـوز في عليـة بيـت توسـينيامَّه سـنواتٍ طويلـة، حبكـت ملابـس أطفـال البيـت بالخيـوط وضربتهـم واحـدًا واحـدًا إذا ارتكبـوا الأخطـاء.

ألقـت الأحجـار عـلى الـكلاب الضالـة، ومسـحت السـلم حتـى لـو لم يكـن دورهـا، وبهـذا كان سـكان شـقق الجـزء الأوسـط مـن المبنـى سـعداء الحـظ. ثـم بـدأت تغسـل منشـفة الصحـون في إنـاء النباتـات وتنـسى أن تنظـف نفسـها وتمسـح السـلم. في النهايـة كان يجـب أن تذهـب إلى دار المسـنين في منطقـة برايلانـد، أمضـت هنـاك يومًـا واحـدًا تقريبًـا ثـم ماتـت.

لـذا أصبحـت العليـة خاليـة لاسـتقبال آينـار حـين طـردوه مـن بيـت القـس. اكتشـف القـس الجديـد أنـه يـسرق البيـض مـن تحـت الدجاجـات، ويـسرق أيضًـا اللحـم المملـح مـن المخـزن. بُنيـت العليـة فـوق الشرفـة الزجاجيـة، لكـن لم يبـقَ كثـيرٌ مـن الزجـاج في نوافـذ الشرفـة. كـسرت ريـاح الجنـوب لوحًـا تلـو الآخـر. بقيـت فقـط نافذتـان مـن الزجـاج، تطـلان عـلى الغابـة ومنطقـة فاتـان، فلـم تَنَـل منهـما عواصـف الشـتاء. سـد الرجـال

هـذه النوافـذ بقطاعـات مـن الخشـب لمنـع ريـاح الجنـوب مـن النيـل منهـم.

حـين أُضيء نـور البـاب الخارجـي، متلألئًـا عـلى البحـر الغاضـب، بـدت الشرفـة الزجاجيـة مثـل عـين عميـاء. في الناحيـة الجنوبيـة الغربيـة بقيـت فقـط نافذتـان، وبدتـا كـما لـو أنهـما تنظـران بتحـدٍّ وتعجُّـبٍ نحـو السـماء.

كانـت الأرض شـديدة الـبرودة في العليـة أعـلى السـلم. لكـن في الوقـت نفسـه لم يكـن هنـاك تيـار هـواء. لأن بهـا نافـذة صغـيرة في السـقف لم تسـمح بمـرور تيـار. لكنهـا كانـت تبـكي.

عندمـا تعميهـا الأمطـار والثلـوج، تتسـاقط منهـا بعـض القطـرات. تعلَّـم آينـار بسرعـة الإجـراء الـذي اتبعتـه الأرملـة العجـوز، وضـع طبقًـا كبـيرًا أسـفل المـكان الـذي يقطـر منـه المـاء.

عـلى الأرض تحـت النافـذة صنـع الصـدأ علامـة مـكان طبـق الأرملـة. ففهـم آينـار لمـاذا كانـت تضـع هـذا الطبـق وعـلى الفـور وضـع طبقًـا آخـر حـين بـدأ الجـو يتغـيَّر.

مـن خـلال النافـذة الصغـيرة المباركـة في السـقف ظهـرت سـماوات الـرب المكتئبـة العتيقـة، إذا سـمح مـزاج الطقـس بذلـك. لا حاجـة إلى السـتائر لصـد نظـرات الأشـخاص الفضوليـين، ولا مـكان لأصـص النباتـات، لاءم ذلـك آينـار تمامًـا.

امتلـك توبايـاس إيـه برينـش وفالديمـار إيـه برينـش في المـاضي كل شيء حـي ومتحـرك في الجزيـرة، سـيطرا عـلى كل قـارب صيـد جنـوب منطقـة فوجـان، ووضعـا كل الأربـاح في جيوبهـما.

كان لديهـما منـزلان كبـيران يمتلئـان بالخـدم، ويقيـمان كل أنـواع الحفـلات، تصـدر منهـما الأوامـر التـي تعنـي الحيـاة أو المـوت جوعًـا.

كانـت مزرعـة القـس القـوة الثالثـة، ومـا زالـت محتفظـة بمكانتهـا حتـى لـو لم يكـن الأمـر متعلقًـا بالمـال.

في نهايـة الثلاثينيـات حـدث شيء غـير مفهـوم بالمـرة: أفلسـت عائلـة برينــش؛ الميـنـاء، مراكــز الصيــد، البيــوت، الأراضي؛ كل شيء كان مرهونًـا للدَّيـن. كانـت الأوقـات السيئة والمضاربـات السـبب، هكـذا قـال العالمـون بهـذه الأمـور.

امتلـك الأخ الأكـبر، السـيد تي إيـه برينـش، العقـار الرئيـسي الأكـبر. أطـلَّ بغـرور عـلى الشـاطئ بسـقفه المسـنَّم المنقـوش وشرفتـه الزجاجيـة.

في البدايـة جـاء رجـل محـترم مـن مدينـة بارجِـن، وأدار المـكان الـذي اسـتولى عليـه البنـك لشـتاءٍ واحـد وصيـفٍ واحـد. وكان يقبـض مرتبـه مـن شركـة في مدينـة بارجِـن ليُبقـي الأمـور في مسـارها هنـاك. لكنـه شـعر بالوحـدة كرجـلٍ أعـزب مـن دون زوجـة هنـاك تحـت الأضـواء الشـمالية وصيحـات النـوارس. عـلى أي حـال اختفـى ذات يـوم في الربيـع، ولم يعُـد مـرة أخـرى.

اليـوم يـأوي هـذا المنـزل الريفـي الكبـير حشـدًا مـن العـوام والدهـماء، لذلـك أطلقـوا عليـه توسـينيامَّه أو منـزل الشـقق.

عـلى التـلال بالأعـلى انتصبـت مزرعـة الأخ الآخـر، ربمـا أصغـر مـن توسـينيامَّه، لكنهـا كانـت محتفظـة برونقهـا لأن عـدة أجيـال طلتهـا باللـون الأبيـض. اسـتُغلت كمدرسـة وكان آلمـر العجـوز مـن هيسـتافيكه يعمـل عـلى تدفئتهـا والعنايـة بهـا.

في أثنـاء الحـرب اكتشـف الألمـان المزرعـة، أصلحـوا المفصلات القديمـة، وطلـوا فـوق ورق الحائـط الـذي حـال لونـه. كانـت مكانًـا للضحك الخشـن والأصـوات العاليـة، وظلـت رائحـة الجلـد وزي الحـرب المبتـل في جميـع الغـرف.

مـرَّت سـنة كاملـة مـن السـلام قبـل أن يسـتطيع النـاس إدخـال الأطفـال إلى المنـزل. أراد كثـير مـن النـاس إرسـال أطفالهـم إلى المدرسـة، تكاثـر النـاس كـما لـو أنهـم ممسوسـون، وأصبحـت المدرسـة القديمـة عـلى اللسـان السـاحلي مزدحمـة، لـذا اسـتولى آلمـر والأطفـال عـلى المزرعـة. لكـن بالنسـبة إلى المسـنين الذيـن احترمـوا زمـن أقطـاب الصيـد العظـام كان مـن المـؤلم أن يسـتولي أحـد عـلى المزرعـة كل حـين، وبالتـالي لم يطلقـوا اسـم "مدرسـة" عـلى المـكان إذا تحدثـوا عـن المزرعـة، كـما لم يطلقـوا عليهـا "معكـسر الألمـان" في أثنـاء الحـرب.

لكـن لم يسـمح آلمـر للحنـين بالسـيطرة عليـه، كان سـعيدًا أن لديـه مكانـًا يسـترزق منـه.

كان النـاس ينجبـون الأطفـال طـوال الوقـت، ولا بـد مـن وجـود خشـب للتدفئـة كي لا يتجمـد الأطفـال في الشـتاء.

أمـا بالنسـبة إلى شـهور الصيـف فقـد كانـت لنفسـه لقضـاء وقـت للصيـد في الفيـورد.

خـلال شـهور الدراسـة، وضـع آلمـر الخشـب في المدافـئ الطويلـة التـي يبلـغ طولهـا مـترًا، وأفـرغ الحمامـات الخارجيـة، وأخـرج القمامـة.

في الفصـل الكبـير بالطابـق الثـاني انتصبـت مدفئـة حديديـة كبـيرة سـوداء تـدل عـلى العظمـة الغابـرة.

اندفـع الهـواء القـادم مـن البحـر في تيـار بـارد عـلى الأرض، وبالأعـلى في مسـتوى الوجـه شـعت حـرارة الحديـد السـاخن لهـذه المدفئـة، أصيـب الأطفـال بـأدوار الـبرد سـواء جلسـوا بجـوار المدفئـة متعرقـين أو جلسـوا بجـوار البـاب متجمديـن. كأن المدافـئ لا تسـتطيع بـث الـدفء إلى أسـفل، هكـذا قـال آلمـر إذا اشـتكى الأطفـال.

لذا وضعوا أقدامهم في حقائبهم المدرسية لتدفئتها.

جلست تورا في المقدمة أمام مكتب المعلمة.

ارتـدت المعلمـة هالميرسـين خفًّـا منزليًّـا دافئًـا، وجلسـت هنـاك في الأعـلى عـلى ذلـك المكتـب المطـلي بالورنيـش مثـل زهـرةورديـة مشرقـة.

كان اسـم المعلمـة هالميرسـين الأول جُـنْ، وكانـت شـابة للغايـة، أكـثر شـبابًا مـن كثـير مـن أهـالي الأطفـال. كان لديهـا غمازاتـان وكثـير مـن الأسـنان البيضـاء التـي بـدت حقيقيـة للغايـة.

اعتقـدت تـورا أن جُـنْ كانـت بارعـة الجـمال، أجمـل مـن أمهـا لأنهـا كانـت أسـعد منهـا بكثـيرٍ.

كان شـعرها ذهبيًّـا متموجًـا ومرفوعًـا إلى أعـلى مثـل صـورة المـلاك التـي تضعهـا تـورا فـوق سريرهـا.

نـادى الأطفـال المعلمـة هالميرسـين باسـم جُـنْ. كان حبهـم لهـا يظهـر في أعينهـم عندمـا يتكلمـون عنها.

حدث ذلك في أعين كثير من أولياء أمورهم أيضًا.

أُجيـزت كمعلمـة رغـم سـنها الصغـير، وكان النـاس مدينـين لهـا بامتنـانٍ عظيـمٍ لأنهـا تركـت الجنـوب ووالديهـا المتدينـيْن وجـاءت إلى هنـا في الجزيـرة، إلى البحـر والـبرد والظـلام.

في رأي إليسيف، أن استبقاءها لعام آخر كان من فعل الرب.

كان الأطفـال يذهبـون إلى المزرعـة بعـد الظهـر كي يسـألوها عـن بعـض الأمـور، يأخـذون معهـم لسـان سـمكة القُـد والخبـز الطـازج.

اعتادت تورا رؤية جُنْ أحيانًا حين يجافيها النوم في غرفتها ليلًا.

كانـت تراهـا دائمًـا بفمهـا الكبـير المفتـوح وغمازتيهـا، كأن أحـدًا ضغـط بسـبابتيه عـلى وجنتيهـا وتـرك بصمتـه مـدى الحيـاة.

حلمت تورا أنها جُنْ. حاولت أيضًا فك ضفائرها وتصفيف شعرها مثل جُنْ، لكن اللون كان مختلفًا والرأس كان مختلفًا. كانت تصعد فوق الكرسي لترى انعكاس صورتها في المرآة فوق الحوض.

لم يهم كم مشطت شعرها، وكم حاولت جعل ابتسامتها كبيرة. سيظل وجه تورا نحيلًا وباهتًا بفمٍ صغير وأنف ضخم تناثر فوقه نمش بني. شعرها ثقيل لكنه ناعم من دون أي تموُّج. كانت نهاية كل ضفيرة مثل شعر خشن في مكنسة مستهلكة.

كانت تورا، لا شيء يمكن عمله بشأن ذلك.

قالت لها إليسيف أكثر من مرة إنها لا تفهم كيف يمكن لمخلوق جميل مثل إنجريه أن يُنجب طفلة مثلها، بالتأكيد حدث هذا بفعل الدم الغريب وثمنًا للخطيئة.

فهمت تورا مع الوقت ماذا تقصد واحمر وجهها بأكمله. الأسوأ بالنسبة إليها كان موضوع الدم الغريب لأنه يشير إلى الحرب وهو ما لم تتكلم عنه أمها قَطُّ. لم تهتم كثيرًا لثمن الخطيئة. لأن هناك أمورًا يمكن الالتفاف حولها، لقد رأت ذلك.

لكن حتى إذا أخبرت المرآة المعلَّقة فوق الحوض تورا بحقيقتها، فما زال في وسعها أن تعيش حياتها السرية هناك في غرفتها تحت الأغطية. في الظلام وبمفردها، مثَّلت الشخصية التي أرادت أن تكونها. هناك تحت اللحاف المصنوع من القماش الوردي، تخلَّصت من ذاتها الظاهرية، دفَّأت نفسها بيديها الباردتين، احتضنت نفسها مستحضرة تورا أخرى. إذا تصادف وكانت وحدها في المنزل، نسيت تورا الحقيقية تمامًا.

للحظة كان من الممكن أن تختفي الآلام التي تشعر بها في بطنها خلال النهار كأنها لم تكن قَطُّ.

الخطر؟

أيضًا اختفى.

كانت عطوفة مع جسمها النحيل حتى اتَّقد وارتعد وشعَّ الدفء به وصولًا إلى قدميها. تحررت من كل الأصوات وكل الأعين، وقررت من تريد أن تكون. عرفت أنها لا ينبغي أن تفعل "هذا الأمر" في نفسها، لكن إذا فعلته من دون أن تفكر به كثيراً فلن يكون سيئًا إلى هذا الحد.

5

منذ اليوم الذي أخبرها فيه أُولَه من القرية أنها جاءت من فرْج أمها، شعرت تورا بالغثيان كلما تذكرت أن الناس يفعلون ذلك.

أن أمها وهنريك... أو القس!

ألم يموتوا من الخزي، عندما عرفوا أن الجميع عرفوا بذلك!

لدى القس أربعة أطفال!

وإليسيف التي كانت شديدة التدين، تركت تورشتاين يحتال عليها فيأتي طفل جديد كل عام!

لذا من الأفضل أن تفعل ذلك بنفسك وتنسى الخطر. مع ذلك، كانت ترقد هناك في الظلام وقتًا طويلًا وتحاول اكتشاف كيف فعلوا ذلك، ما قال أُولَه إنهم فعلوه.

ذات مرة كانت رفقة يورجِن وبعض الأطفال الآخرين عند الجهة الأخرى من التل، وشاهدت الخيول التي ترعى هناك.

أصبح حصان القس شديد الجموح، ودخل في مربِض الأفراس. لم تفهم تورا كيف يكون حصان القس عديم التهذيب إلى هذه الدرجة، لكن في الوقت نفسه واصلت مشاهدته وكان لذلك تأثير غريب عليها.

انتفخ عضو الحصان وشعرت تورا أن الخطر قادم، وفي الوقت نفسه شعرت بنوعٍ من الفضول المُلح.

ركضت الخيول بجموحٍ في المكان بعض الوقت، وبعد أن أدركت تورا أن ما يحدث أمر جديٌّ تظاهرت بتغطية عينيها بذراعها. لكنها لم تكن في حاجة إلى فعل ذلك لأن أحدًا لم يهتم بما تفعله. جميعهم وقفوا هناك بأفواه فاغرة وأعين مفتوحة يحدقون إلى عضو الحصان.

حين نجح الحصان في إخفائه داخل الفرس وحمحم ونخر، كان في وسع تورا أن ترى بوضوح أن يورجن، ابن إليسيف، على وشك أن يجثو على ركبتيه، وأن ريتا تركت طرف لسانها خارج فمها.

أدركت تورا فجأة أن الجميع يقفون على السياج يشاهدون الحصان وهو يلج الفرس ويخرج منها، وأنهم شعروا بشيء غريب يسري في الجزء السفلي من أجسامهم مثلها تمامًا. كانوا يقفون هناك لديهم شيء يتشاركونه جميعًا من دون القدرة على الكلام عنه. من دون أن يجرؤ أحدهم على النظر إلى الآخرين.

حاولت تورا أن تتخيل شعور الفرس في تلك اللحظة. في البداية رفضت، ثم اختلجت، ثم وقفت هناك فحسب. لم تتفاعل حقًّا، ربما كان الأمر مخجلًا؟ لا بد أنه كذلك!

من المؤكد أنها لم ترغب في أن يقف الجميع محدقين بها. لا بد أن الأمر مؤلم للغاية، هذا العضو الكبير المنتفخ.

لا يبدو الأمر كذلك أيضًا، لو أنه كذلك لما وقفت الفرس ساكنة فحسب. اجتاحت تورا قشعريرة باردة ودافئة في الوقت نفسه.

كان الأمر مثل الركض بسرعة ولوقتٍ طويلٍ إلى درجة أن تشعر بالدماء في حلقك، مثل لعب الغميضة في أمسيات الخريف المظلمة، نعم كان هذا أفضل من التزلج على البحيرة المتجمدة في فوجن.

في النهاية، تهاوى الحصان فوق الفرس في قفزة أخيرة ونخر من فتحتَي أنفه. رفع رأسه عاليًا، فتماوج عرفه بعيدًا عن عنقه.

ثم انزلق بضعفٍ عن الفرس وتبعه عضوه. حدث الأمر بسرعة شديدة بالنسبة إلى تورا. في البداية ظنَّت أن كل شيء كان جميلًا، الحصان ملقيًا رأسه البني الكبير إلى الوراء فيتطاير عرفه في الرياح.

الآن صار الحصان متواضعًا وهادئًا. تأرجح عضوه مرتخيًا من جهة إلى أخرى، وانكمش أمام أعين الأطفال. كان يقطر قليلًا.

واصلت عينا ريتا الزرقاوان الواسعتان التحديق وهلة بعد أن انتهى كل شيء. ثم انفجرت قائلة:

- هذا الخنزير! لقد تبوَّل داخل الفرس!

نظر إليها يورجن باشمئزاز، ثم قال وهو يبصق:

- إنه منيّ.. يمكنكِ رؤيته، أليس كذلك يا غبية!

ثم بدأ يلقي محاضرة قصيرة عن هذا وذاك. وانضم أُولَه أيضًا إلى النقاش، وقال إن كل إنسان جاء إلى الحياة عبر فرج أمه ولا شيء يخجل في ذلك.

لكنهم لم يتحدثوا عن هذه الواقعة مع أي أحد من الكبار. ولم يسألوا قَطُّ عما كانوا يتساءلون بشأنه.

أحيانًا جلسوا على السور حول الكنيسة، وتجادلوا بشأن حقيقة ما رأوه، تلك المرة في المرعى.

أراد يورجن دائمًا أن ينسب إلى عضو الحصان حجمًا أكبر مما هو عليه حقًّا.

ذات مرة اتهمته ريتا بالكذب. قاست الطول في الهواء بأصابعها بالضبط. لكن يورجن أصرَّ على أنه مُحقٌّ.. في النهاية دفعها من على السياج.

كان من الممكن أن ينتهي الأمر بشجارٍ، لو لم تقل لينا، التي تخجل من أي شيء، إنها رأت عضو رجل حقيقيًّا. انتبهت إليها كل الأعين بأفواه فاغرة ونظرات مندهشة، وقد شعروا جميعًا بالإثارة والهلع:

- هل هذا معقول؟

سأل أُوله:

- عضو مَن؟

- لن أقول، لكنه كان أزرق.

سألت تورا غير مصدقة:

- من؟ الرجل؟

- العضو بالطبع يا غبية!

ألقت لينا رأسها إلى الخلف في انتصار، وبدأت تزيل الوحل من أسفل حذائها الطويل بعصا. زمت فمها حتى صار كمنقار، وتطلعت إلى الفراغ غير راغبة في النظر إليهم. نخر يورجن قائلًا:

- هذا هراء، أنتِ كاذبة! إنه ليس أزرق، أنت تمزحين!

كان ممتعضًا، ونظر أُولَه والبنات إليه، وفهموا أنه يشعر بالخجل من عضوه بالنيابة عن بني جنسه من الذكور، وأبى أن يعرف أحد أنه أزرق. دعم أُولَه يورجن بهدوء ورفض كلام لينا. لكن لينا أصرت على كلامها وقالت:

- عضو الولد ليس كعضو الرجل ألا تفهمون ذلك؟

لا، أُولَه ويورجن لم يفهما ذلك.

لكنهـما استسـلما لأنـه لم يكـن هنـاك حجـج أخـرى للاسـتناد إليهـا، وقـد رغبـا في الـكلام عـن الموضـوع وليـس الشـجار بشـأنه.

لكـن تـورا ظلـت تفكـر فيـما قالتـه لينـا. تحـت اللحـاف ليـلًا، اتشـحت كل خيالاتهـا بلـون أزرق، وجـرت بجمـوح تحـت جلدهـا، ودفعتهـا إلى الارتجـاف.

خيَّم الاشمئزاز والخطر عليها، وأفسد هذا كل شيء.

كل الحـوارات الهامسـة بـين أمهـا وبـين الخالـة راكيـل، كل الأصـوات مـن غرفـة المعيشـة حـين ظنَّـا أنهـا نائمـة.

كل النـكات التـي قيلـت في الأكـواخ حيـث تجمَّـع الرجـال، كل القصـص التـي لم يفـترض بهـا سـماعها.

لم تسـتطع فهمهـا، فصلهـا عـن بعضهـا. لم تعـرف أيـن مكانهـا منهـا. لم تعـرف إذا كانـت تشـعر بنفـور أو...

أحيانًـا شـعرت بالخجـل مـمَّا تفعلـه، وكانـت سـعيدة لأنـه ليـس في إمـكان أحـد أن يراهـا في الظـلام.

شـعرت أنهـا لم تعُـد عـلى طبيعتهـا بعـد الآن، بوجـود الانتفاخـين عـلى صدرهـا شـعرت أنهـا لم تعـد هـي نفسـها حقًّـا. أحنـت ظهرهـا دائمًـا كي لا يراهـما أحـد، أرادت أن تخفيهـما داخلهـا، بطريقـة مـا.

لكـن هـذا لم يفِـد شـيئًا، لأنهـما جعـلا الملابـس كلهـا تضيـق عليهـا عنـد الصـدر. تمنَّـت لـو أنهـا ولـد. لينـا وريتـا مـا زالتـا مسـطحتين. في وسـعهما القفـز والجـري عـلى الشـاطئ وهـما ترتديـان ثيابهـما الداخليـة فحسـب. تعلَّلـت تـورا بـكل الأعـذار كي لا ترافقهـما.

لم يكـن الصـدر فقـط مـا جعلهـا تشـعر بالخجـل، لكـن الشـعر نمـا في كل مـكان بجسـدها. وشـعرت برائحـة القرنفـل القديـم أحيانًـا في جسـدها وملابسـها. ذكَّرهـا ذلـك بالجنـازات. رائحـة حلـوة مثـيرة للغثيـان كلـما

شعرت بالحرارة أو التوتر. لهذا كانت دائمًا رفقة سول التي تكبرها بعامين، والتي مرَّت بهذه المراحل بالفعل.

في أيام السبت تشعل تورا الموقد في غرفتها بنفسها، وتحضر وعاء الماء والمنشفة.

في الشتاء الماضي كانت تستحم في وعاء الغسيل المصنوع من الصفيح أمام مدفأة المطبخ. لكن بعد ذلك تمردت على أمها ورفضت الاستحمام هناك؛ من الممكن أن يأتي شخص ما. ذات مرة جاء هنريك وهي جالسة في وعاء الماء.

نظر إليها، ولم تستطع التحمُّل.

بعد ذلك رفضت الاستحمام لأسابيع. فغضبت منها أمها، وقالت إن الديدان ستتسلل إلى جسدها. في النهاية اقترحت على تورا تدفئة الغرفة والاستحمام هناك إذا أرادت ذلك.

سُرَّت تورا من أمها كثيرًا لأنها فهمت وجهة نظرها. تمنَّت أن تعانقها لكنها لم تستطع، كأن بحرًا يفصلها عن أمها، إذا تعلق الأمر بالعناق.

كانت تستحم في غرفتها طوال الربيع والصيف، وتغلق الباب بسكين وضعته بين الباب وإطاره. لم يكن هناك طريقة أخرى لإغلاق الغرفة. من السهل أن ينزع شخص ما السكين من الجهة الأخرى، لكنها كانت رمزًا إلى أنها تريد البقاء وحدها من دون حاجة إلى الكلام.

أيضًا في المدرسة بالمزرعة تمكَّنت من البقاء وحدها. هناك كانت جُنْ فقط أمامها.

كانت كل الأعين خلفها. في وسعها أن تجلس هناك متظاهرة بسماع ما تقوله جُنْ لكنها تحيا داخل أفكارها الخاصة. كان في وسعها

الجلـوس وتخيُّـل أغـرب الأشـياء بسـلام. حرصـت جُـنْ بحـزمٍ عـلى إبقـاء الفصـل هادئًـا.

لديهـا قـدرة غريبـة عـلى السـيطرة عـلى الأطفـال، حتـى المـدرس العجـوز كان يحسـدها. ودائمًـا مـا تركـت الأطفـال مثـل تـورا ينعمـون بالسـلام مـع أفكارهـم.

كانـت قدرتهـا عـلى السـيطرة عـلى الأطفـال غـير مفهومـة لأنهـا كانـت مختلفـة عـما كان الأطفـال يرونـه مـن آبائهـم عندمـا يضربونهـم أو يوبِّخونهـم حـين يفتقـرون إلى التهذيـب. كان أسـلوب جُـنْ محـيرًا خاصـة بالنسـبة إلى الأطفـال الكبـار. كانـت تنظـر إليهـم، وتثبتهـم في أماكنهـم بتحديقهـا.

أحيانًـا تـأتي وتضـع يدهـا الدافئـة عـلى عنـق أحـد الأولاد. ثـم ترفـع الـرأس بحركـة حاسـمة وتنظـر في العينـين حتـى يسـود الهـدوء في الفصـل ويستسـلم مثـير المتاعـب.

لكـن لا يمـر وقـت طويـل حتـى تعـود غمّازتـا جُـنْ للظهـور أمـام أعينهـم، ويصبـح كل شيء عـلى مـا يـرام مـرة أخـرى.

أحبَّـت تـورا المدرسـة، أحبَّـت رائحـة الـتراب والطباشـير. مـا دمـت قـد أنهيـت عملـك يمكنـك أن تنعـم بالهـدوء، عـلى الأقـل في أثنـاء الحصـص الدراسـية.

يمكنك أن تسأل جُنْ عن أي شيء، تقريبًا، وتحصل على إجابة.

لكـن حصـان القـس والخطـر كانـا مـن الأمـور التـي لم تسـتطع قـول أي شيء عنهـا لشـخص كبـير. ليـس مـن المناسـب دائمًـا أن يسـأل المـرء عـن أي شيء فحسـب، فقـط إذا سـمح بذلـك الوقـت والظـروف. مثلـما حـدث في المرعـى.

في الخريـف المـاضي انضمَّـت تـورا إلى مجموعـة سـول في المدرسـة. ضُمـت مجموعتـا العامـين الأخيريـن معًـا.

كانـت سـول تسبق تـورا بعـام لكنهـا لم تتباه بذلـك. لا يمكـن للأطفـال الذيـن يسـكنون في توسـينيامَّه أن يضحـوا بصديـق مـن أجـل أمـور تافهة.

اعتقـدت تـورا أنـه مـن غـير المناسـب أن يظـل يورجـن باقيًا في المدرسـة طـوال تلـك الأعـوام. لم تعـد تتطلـع إليـه بإعجـابٍ واحـترامٍ كـما فعلـت وهـي صغـيرة، لأن الأيـام والأعـوام تغـيِّر النـاس. صـبَّ يورجـن مـاء في أحذيتهـم، وأخفـي كتـب سـول المدرسـية، أطلـق السـباب إذا لم تسـمعه تـورا، وكان ينـزل دائمًـا للتجـول في المرفـأ.

كانـت سـول صامتـة، لكنهـا عـلى علـم بأغلـب مـا يـدور بـين أربـع جـدران ومـا يجـري في متاهـات الحيـاة. كانـت أكـبر أبنـاء إليسـيف السـبعة. واضطـرت رغـمًا عنهـا إلى التعامـل مـع الحمـل والـولادة، بمـرور الأسـابيع والأعـوام عـلى بيـت توسـينيامَّه.

لكـن تـورا لم تسـتطع أن تسـأل سـول عـمًّا كان الأطفـال يتحدثـون عنـه، فحينهـا سـتظن سـول أنهـا هـي نفسـها طفلة.

6

ابنة الألماني!

لطالما سمعت هذه الكلمات، كان هناك ما يؤلم بشأنها، إطلاق حُكم.

استخدم هنريك هذه الكلمات أيضًا، لم يوجهها إليها مباشرة، لكن الصوت كان يتردد من الحائط الخشبي.

أرادت أن تسأل أمها عن معناها، لكنها كانت جزءًا من الخطر. وهكذا تعمَّدت نسيانها لأنها لم تتحمَّلها. قد تمر أسابيع، وأحيانًا شهور، من دون أن تسمع هذه الكلمة.

لكنها عادت دائمًا. عند ذلك يداهمها الشعور نفسه حين سخر الأطفال منها في فاعريه وخدعوها للهبوط على تل شديد الانحدار وهي ترتدي الزلاجات. لم تعلم أنهم صنعوا عثرة من الثلوج في منتصفه، بصب عدة دلاء من الماء عليها كي تتجمَّد وتصبح جليدية.

لم يكـن هنـاك مفـر، تجـد نفسـك في الهـواء. فقـط شـعور أجـوف رهيـب وخـواء يحيـط بـك. الـشيء الوحيـد الـذي تعرفـه أنـك يجـب أن تهـوي.

للطريـق قانونـه الخـاص. وهـذا القانـون لم يكـن هـو نفسـه بـين الكبـار. ولا هـو نفسـه داخـل المطبـخ.

لكنـك لا تشـعر بـالألم لأكـثر مـن فـترات قصـيرة للغايـة. فقـط مثـل أصابـع جُرحـت أو قُرصـت، تـؤلم بشـدة وقتهـا إلى درجـة الدمـوع. لكـن الأمـر كان يمـر. ولا داعـي للشـعور بالمـرارة لأن كل شـخص سـيحين دوره.

كان أُولَـه الأكـبر والأقـوى لكنـه ليـس الأسـوأ. لديـه نقطـة ضعـف أيضًـا. كان يتبـوَّل في فراشـه. وأحيانًـا تفـوح رائحتـه إذا لم يكـن لديـه وقـت للاغتسـال قبـل الذهـاب للمدرسـة. هـذا الولـد الكبـير!

جمعت تورا كل نقاط ضعف الآخرين.

لم تخبرهـم بهـا لأن هـذا كان سيسـبِّب المتاعـب، لكنهـا وضعتهـا في الحسـبان.

أحيانًـا حلمـت أنهـا سـتقتص منهـم يومًـا مـا، وفي أكـثر مـكان موجـع، لكـن لم يتحقـق شيء مـن هـذا عـلى الإطـلاق. كانـت تـورا نحيلـة وعجفـاء، كان الـشيء الوحيـد الـذي مارسـت عليـه قوتهـا الكـرة المطاطيـة.

في وسـعها الركـض أسرع مـن الباقـين إذا اضطـرت إلى ذلك، أو في وسـعها أن تنسـل مـن بينهـم مـن دون أن يلاحـظ أحد.

حينهـا سـتتورَّد وجنتاهـا الرماديتـان. تعرضـت للـضرب بشـدة بالخـارج عـلى الطريـق، لكنـه ضرب مختلـفٌ تمامًـا عـن ضرب هنريـك.

عـلى الجهـة الأخـرى مـن الخليـج في فوجـين كانـت الأعشـاب والأجمات الصغـيرة تنمـو كثيفـة ومتشـابكة عـلى جانبَـي الطريـق، اسـتطاعت تـورا

رؤية بيت الشباب القديم، لم يكن قديمًا تمامًا لكنه مهملٌ إلى درجة تثير الحزن، طُلي باللون الأحمر ذات مرة، قبل الحرب.

مرَّ وقتٌ طويلٌ على الحرب، لكن تورا عرفت أنها هي نفسها جزء منها.

سمعت قصصًا كثيرة عنها.

وحين سمعت الكبار يحكون تلك القصص غمرها شعور بالغثيان، لأن أمها أيضًا كانت جزءًا من الحرب.

حين تكلم هنريك عن الحرب، توجَّهت أمها إلى نهاية الغرفة، وأولتهم ظهرها كأنها غير موجودة. كان هنريك يسب الحرب أكثر من أي شخص آخر لأنها كانت السبب في انخلاع كتفه وضغطه على رئته.

- الألمان الملاعين!

هكذا قال، مقطبًا ما بين حاجبيه الأشعثين.

وافقه الجميع على رأيه، ومع ذلك كانوا يشيحون بأبصارهم، ويرمقون إنجريه بنظرات ذات مغزى إذا كانوا هناك في أثناء نوبات غضب هنريك. لم تتكلم ماما عن الحرب قطُّ.

ذات مرة قالت الخالة راكيل إن ولادة تورا قضت على الجدة. ولم يفترض بـ تورا أن تسمع هذا، وبالتالي لم تتمكن من السؤال عن الأمر.

اعتقدت تورا أن من الغريب أن تُلام على موت جدتها، لأنها تذكر بوضوح وجهها الشاحب الهزيل النائم دائمًا على وسادة بيضاء في غرفة الخالة راكيل والعم سايمون في منطقة باكيورده.

عرفت تورا أن الظروف كانت في غاية الصعوبة، وأن الناس لم يحصلوا على ما يكفي من الطعام والملابس، ربما أساءت تورا الفهم، ربما قصدت الخالة أن هذا ما قضى على حياة جدتها.

تخيَّلت تورا آمِر من منطقة هيستافيكه وهو يتجوَّل عاريًا، ويتضوَّر جوعًا وهو نائم على متن قاربه، بالتأكيد كانت رؤيا بها برودة وغرابة، كان دائمًا آمِر هو من رأته، لا أحد سواه.

بُني بيت الشباب على أرض يكسوها العشب، هو أيضًا كان جزءًا من الحرب.

كان المكان الذي حلقوا فيه شعر أمها حتى ظهرت فروة رأسها الحليبية البيضاء.

سمعت تورا هذا بطرقٍ مختلفة ومن أشخاصٍ عديدين، لكنها وثقت أكثر بالقصة التي روتها سول: لقد حلقوا شعر أمها لأن تورا وُلدت في أثناء الحرب.

لكن تورا اعتقدت أنهم فعلوا ذلك لحقدهم على أمها، لأنها رأت أن شعر أمها الذي نما كان داكنًا وثقيلًا، كان شعرها الأجمل في فاعريه.

لكن كيف كانوا أشرارًا إلى هذا الحد.

ذات مرة سألت الخالة راكيل.

حينها أخذتها الخالة في حضنها، وقالت إن الحرب سببت الجنون لأشخاص كثيرين، وطلبت منها ألا تفتح هذا الموضوع مع أمها.

لكن كلما مرَّت تورا بجوار بيت الشباب شعرت بأيدٍ غير مرئية تلاحقها وتريد إيذاءها.

للبيت نوافذ صغيرة مثل أعين صغيرة خائفة، وعلى الستائر الباهتة نقوش مائلة، لذا كان غريبًا أن يراودها هذا الشعور. لكنها لم تستطع تخيل أن أيًّا من الناس الذين رأتهم على الطريق أو في دكان أوتَّار أو على رصيف المرفأ كانوا قادرين على إيذاء أمها إلى درجة حلاقة شعرها، لذا ألقت باللوم على بيت الشباب.

حدث الأمر هناك، وأمكنه فقط أن ينتصب هناك وحده، بسياجٍ متهالكٍ ورائحة كريهة وجدران عارية من الطلاء بالأعلى مقابل المستنقع المقرف.

لم تصطحبها أمها إلى هناك قَطُّ.

لم تشارك تورا في احتفال العيد القومي في 17 مايو أو في حفلات الكريسماس هناك مثل الأطفال الآخرين قبل أن تلتحق بالمدرسة.

تخيلت تورا أن "البيت" لو لم يحلق شعر أمها لكان قد وصل الآن إلى وركيها. تخيلت أمها وهي تقف منحنيةً لتغسل الملابس، ينساب شعرها بين الأحجار في النهر، ومباشرة إلى المحيط.

روت ذلك لـ سول.

لكن سول كانت تكبرها بعامين وضحكت، وقالت:

- لا أحد يطول شعره إلى هذا الحد، هذا فقط في الحكايات الخيالية.

سكنت سول وباقي أسرة إليسيف الطابق الذي يعلو تورا. وفي الصباح زمجرت أنابيب الماء بالأعلى وقتًا طويلًا، لأن كثيرًا من الأشخاص تعيَّن عليهم ملء حوض الصفيح للاغتسال، منحنين فوق صندوق الفحم بجوار الموقد، وكانت إليسيف تراقبهم بصرامة.

دائمًا ما ترددت أصوات سعال وبكاء وكشط واصطدام هناك، وعرف الجميع أن هذا هو ما يُفترض أن تكون عليه الحال.

لكن بالتأكيد رأى كثيرون أن من الخطأ أن يكون لدى إليسيف كل هؤلاء الأطفال.

كان أبوهم رجلًا أشيب ضئيل الحجم لم يصفق الباب قَطُّ، ولم يقل كلمة سيئة قَطُّ، كأنه ظلٌّ خفيفٌ لا يراه أحد بجوار إليسيف القوية المسيطرة.

من جهة أخرى، تساءل الرجال الذين يقضون الوقت مستندين إلى جدار دكان أوتّار ساخرين، هل سيكون هناك طفل آخر قبل الكريسماس هذا العام أيضًا، لكن لم يحدث هذا دائمًا. على الأقل وُلد يورجن في 18 مايو. واست الفكرة تورا، أن يسخروا من وجود طفل جديد كل عام عند إليسيف، وهكذا لن تكون الوحيدة التي يسخرون منها، لن تكون وحيدة في بؤسها.

حين كانت تورا صغيرة، جلست على الشاطئ أحيانًا وشاهدت الضوء الذي يبزغ من المياه الرمادية الزرقاء ويضيء السماء.

قالت إنجريه عندما حاولت تورا أن تجعلها تفهم ما تراه:

- لا، السماء هي من تمنح الضياء للأرض والبحر.

اعتادتا الجلوس عند مصب النهر وتناول طعامهما في أثناء غلي الملابس في القِدر الكبير المثبت بين الأحجار. أطلقوا على هذا المكان "حفرة القهوة". هناك، في وسعك الحصول على الماء النظيف للقِدر من النهر، وفي الوقت نفسه قريب من البحر المفتوح الممتد أمام عينيك.

لم تصدق تورا ما قالته أمها عن الضوء والسماء، لأن البحر كان عميقًا بلا نهاية. في إمكانه إخفاء السفن وعددًا لا يحصى من الناس كما لو كانوا عدمًا. وأيضًا كان هناك متسعٌ كبيرٌ لكل الأشياء الأخرى كالأسماك والطحالب وأدوات الصيد والصخور.

لكنها لم تعارض أمها، فقط نظرت بإعجابٍ إلى البريق على سطح الماء، تركت عينيها تطفوان مع تيارات النهر، وظلّت تتابع الماء حتى التقى بماء البحر الرمادي، وأصبح لونه مخضرًّا مليئًا بالزبَد.

ذات مرة شربت تورا من الماء المالح لأنها لم تدرك الفرق بين ماء البحر وماء النهر، لم تنس الطعم منذ ذلك الحين.

جعلها ذلك تخشى الاستحمام في البحر، ففضّلت الاستحمام في مصب النهر حتى لو كان أكثر برودة. وكلما سمعت أن شخصًا ما غرق في المحيط شعرت بطعم الملوحة المقرف.

وهكذا عرفت القليل بشأن الموت.

7

كان الخريف وقت بداية التدفئة بشجيرات الآجام والطحالب المتفحمة.

استعد الناس لفصل الشتاء بأداء المهام داخل البيوت.

وانتظر الجميع بشكلٍ ما انطلاق النشاط بوصول الأسماك على الشاطئ.

كانوا جاهزين بالدِّلاء والمعدات، حينها كانت أعصابهم وأطرافهم منهكة إلى درجة أن أحدًا لم يسأل إذا كان الوقت ليلًا أو نهارًا، أو ما إذا كانوا يتوقون إلى العمل أم مرهقين. وقف البعض للعمل بين أحشاء الأسماك ورذاذ البحر. ووقف البعض الآخر بجوار نافذة المطبخ ينصتون إلى الراديو. بكاء الأطفال واحتياج الحيوانات إلى إطعامها وتنظيف مكانها حتى إذا كانت النساء وحدهن في البيوت. لم يشكُ أحد. أهم شيء تحقيق الاستفادة القصوى من موسم صيد الأسماك. بالنسبة إلى كثيرين كانت هذه الفرصة الوحيدة لجني بعض المال.

كان لا بد من الدفع إلى أوتَّار وجروندااهل مقابل الطعام الذي ربما سُمِّد بالفعل على قطع صغيرة من الأرض المتجمدة، أو طفا في أماكن

سرية بعيدة عن الطريق بين الأعشاب البحرية عند أعلى نقطة وصل إليها مستوى فيضان النهر.

يجب أن يحصل الأطفال على أحذية جديدة وسراويل تزلج وملابس داخلية كي يظهروا للناس في مظهر حسن في الكريسماس.

الطحالب المتفحمة فقط لإشعال النار، لذا لا بد أن يحصل تاجر الفحم على المال أيضًا.

كان من لديهم خِراف في الحظيرة لذبحها في الخريف ميسوري الحال، لكن الناس المضطرين إلى شراء اللحم هم الذين يعانون، هم من يُذبحون. وربما أكل الشيطان لحم الخنزير، لأن الأشخاص المهمين ومن لديهم زوجات ماهرات في المنزل تربين الخنازير هم فقط القادرون.

يقول سايمون من منطقة باكيورده إنك لو حصلت على زوجة صالحة ماهرة فقد حصلت على نصف الطعام.

كان محقًّا بالفعل، كل من يعرف راكيل يقول إنه محق.

كان الجميع يعرفون أنها لم تكن جميلة فحسب، بل ماهرة أيضًا.

أدارت راكيل شؤون سايمون جيدًا، حتى ديونه. أحيانًا تقتطع من دخله قليلًا، لكن ليس بسوء نية، فقط لمساعدته على الادخار للأشياء التي لم يعرف أنها ضرورية.

كان لدى راكيل صندوق للطوارئ في صوان الملابس، مع الوقت زادت الأموال المحفوظة في الصندوق.

إذا اضطرت إلى أخذ بعضها فستفعل ولن تقلق بشأن ذلك. لكن لم يفرغ هذا الصندوق قَطُّ، لأن راكيل مرَّت بأيام أكثر صعوبة من الأيام التي عاشتها مع سايمون.

كان سايمون يبتسم دائمًا لفكرة صندوق راكيل، لكنه لم يتدخل قَطُّ في شؤونها. لم تجعله راكيل يعتقد أنها تفهم في أمور الصيد والقوارب والعمال.

لكن كانت هناك بئر خفية في منطقة باكيورده أيضًا.

كاد سايمون أن يغرق في هذه البئر ذات مرة، حينها أسرعت راكيل من دفء حجرة معيشتها وانتشلته من البرد.

عرف سايمون أن راكيل آخر من سيسقط إذا ساءت الأمور وتحطمت سفينتهما.

حيَّرته قوة راكيل وفاجأته؛ لأن قوتها لم تكن في قبضتيها، لكنها من النوع الذي لا يمكن لمسه.

أدرك ذلك في اليوم الذي عادت فيه من البلدة وأخبرته أنها عاجزة عن الإنجاب.

وقفت مرتدية معطفًا جديدًا منقوشًا بمربعات كبيرة، ومدَّت ذراعيها نحوه.

قال الطبيب ذلك، بعد سبع سنوات من الزواج، لم يكن هناك أمل في إنجاب طفل. لذا ذهبت واشترت لنفسها هذا المعطف الجديد. قالت الأمر ببساطة من دون أي دموع، وبحزم كما تفعل عندما تنظف الأرض بعد أن ينتهي عمال سايمون من جمع البطاطس.

لا أطفال! كان لديها عيب خلْقي.

وقفت في مدخل باب المكتب المطلي باللون الأزرق، هناك في مركز الصيد. في عالمه هو تحملت ذنب شيء كان يعلم أنه السبب فيه.

لأن حيواناته المنوية ميتة.

كان على وشك أن يخبرها ذلك عدة مرات، لكن الكلمات لم تُنطق.

كان يعـرف جيـدًا أنهـا ترغـب في طفـل، وكان يحـاول أن يفكـر مـاذا سـيقول بالضبـط، لكـن كلـما جـاءت الفرصـة لإخبارهـا عجـز عـن ذلـك.

فشـل مـرة بعـد مـرة، في النهايـة أثَّـر الأمـر فيـه بشـدة، إلى درجـة أنـه بـدأ يبتعـد عـن سريرهـا، حـاول دائمًـا أن ينشـغل بعملـه ليـلًا كي يعـود بعـد أن تنـام.

ربما كان هذا سبب فتحها للصندوق وذهابها إلى البلدة.

بـدا أن راكيـل أدارت كل شيء في حيـاة سـايمون، مـا يملكـه ومـا لا يملكـه.

وقفت هناك مرتدية معطفها الجديد، وكذبت والصدق ملء عينيها:

- لـن يمكننـي الإنجـاب يـا سـايمون، لا بـد أن نرتـب أمورنـا بطريقـة مختلفـة، أو لا نفكـر في موضـوع الإنجـاب بالمـرة.

في تلـك الليلـة مـارس الجنـس معهـا، في البدايـة بـشيء مـن الخـزي مثـل كلـب ممـتنٍّ، لكنهـا جعلتـه يعـرف أن هـذه لم تكـن الطريقـة التـي أرادتـه بهـا. دفـن نفسـه بجوارهـا وشـعر بالأمـان معهـا، بوجـود شـخص إلى جـواره كان مكافئًـا لـه في الجسـد والإرادة.

ظـلا مسـتيقظين بجـوار بعضهـما حتـى طلـع النهـار، وعرفـا أن يـوم العمـل سـيبدأ بمطارقـه الثقيلـة بعـد حافـة سريرهـما.

عـاش كلاهـما يحمـل مشـاعر الحـب والـدفء للآخـر، كان كلاهـما يعـرف.

أحضرت راكيل لنفسها قطًّا.

فاجأهـم المطـر، وفي أسـفل الجبـال المنحـدرة خيَّـم ضبـاب سـميك كأنـه شر جاثـم منـذ قديـم الأزل.

لم تنتمِ جبال الجنوب إلى العالم المرئي.

بـدأ النـاس يشـعلون المواقـد ويغلقـون الأبـواب ويشـتكون مـن تيـارات الهـواء التـي تهـب مـن النوافـذ غـير المُحكمـة. ارتـدوا الملابـس والجـوارب الصوفيـة والقفـازات وتهيبـوا مـن الرحلات الضروريـة إلى الحـمام الخارجي.

أغلقوا أزرار كل شيء يرتدونه جيدًا قبل الخروج.

حـين تمـر بالنـاس عـلى الطريـق، تـرى الوجـوه بيضـاء بـين حـزَمٍ مـن الملابـس.

فضَّـل النـاس التجمـع معًـا بـين أربعـة جـدران، وحاولـوا الابتعـاد عـن الخـارج تمامًـا.

انتهـى وقـت منـاداة النـاس مـن خلـف أسـوار الحدائـق المتداعيـة، ولم يعـد صـوت الحديـد مـن فتـح الأبـواب وغلقهـا مسـموعًا لأن الجميـع بالداخـل.

انتهـوا مـن جمـع البطاطـس وتخزينهـا في البيـوت، تركـوا بعـض البقايـا في الأرض للطيـور كي تأكلهـا.

عـلى منشر الغسـيل في الخـارج قـد تجـد مـلاءة سريـر أو كيـس وسـادة بـين الملابـس الداخليـة وهـو يرقـص في الريـاح، لكـن حتـى تلـك كانـت تصـدر أصواتًـا متكسرة في آخـر الليـل في رفرفتهـا البـاردة المتجمـدة. تدلَّـت متأرجحـة كأنهـا جثـث منسـية في الريـاح المثلجـة.

فـرق كبـير بـين ملابـس الشـتاء لـدى مـن يعيشـون في الشـمال وملابسـهم في الصيـف. الشـخص في الشـتاء قـد يكـون أقـل حجـمًا مـن الداخـل لكنـه أكـبر مـن الخـارج.

سـارت الحيـاة في المرفـأ ببـطء، كأنهـم يحولـون توفـير الوقـود لصيـد السـمك في الشـتاء.

تجوَّل الرجال حول كوَّات القوارب بوجوه كسيرة.

تدلَّت أيدٍ كبيرة مفتوحة بعجزٍ إلى جوار سراويل مبقعة بالزيت، أو عبثت بالغلايين أو السجائر الملفوفة يدويًّا.

أحيانًا حاولوا بجهدٍ رفع أذرعتهم أمامهم وتحريكها كي تعمل دورتهم الدموية في البرد.

حين يرون طفلًا صغيرًا يتسلل في الأنحاء بين الأكواخ وبيوت القوارب ولا يظهر احترامًا كافيًا لقبعة البحار ينهرونه سائلين عمَّا يفعله هنا.

لكن بعض الرجال كانوا طيبي القلب في هذا الوقت من العام أيضًا لأنهم يتذكرون أنهم كانوا أطفالًا في يوم ما.

تبرق أعين الرجال عادة بنظرات ساخرة، ويلقون كلمات مستفزة حين تمر تورا أو أحد من أطفال ساكني تويسنيامَّه.

يغرق المطر وجوهًا حمراء وأحذية مليئة بالماء، وفي يوم آخر تتجمَّد الأصابع من البرودة، ويسيل المخاط من الأنوف، كان هذا ما عليه الحال.

لا بد من ارتداء نعال مسننة على الأحذية في يوم، أو أحذية من جلد حيوانات الرنة أو الفقمة مثل الإسكيمو في اليوم التالي.

أغرق الرب شهري أكتوبر ونوفمبر في قاع بحر من الضباب. لكن كانت الليالي باردة وغاضبة، مع قمر منزعج يعدُ بيوم مشرق غدًا لكن هذا اليوم لا يأتي. لأنه قبل وقت طويل من صياح الديكة من أقنان آنًا للدجاج مشيرة إلى يوم صحو، سينصب الماء من سماء كارهة للحياة. ويظل الماء يسيل من الميزاب المتداعي فوق سطح بيت توسينيامَّه.

التقى الرجال في الدكان الجديد في نورفيكَّه، أو في دكان أوتَّار المظلم القديم. كانوا يقفون هناك ويتحدثون، وبعد عدة ساعات، ربما يتذكر

أحدهـم أنـه كان يفـترض بـه أن يقـوم ببعـض التسـوق. جعـل هـذا بعـض الوقت يمر، ولم يكونوا في عجلة من أمرهم.

وقف أوتّار خلف نضد البيع ليزن البضائع ويقيسها.

حسـب الأسـعار، واشـترك معهـم في التذمـر بشـأن الطقـس إذا لم يجـد شـيئًا آخـر يفعلـه.

ليذهـب هـذا الطقـس إلى الشـيطان. قـال ذلـك بصراحـة ومـرارة. هـذا مـا يقولـه حـين يضطـر إلى وضـع قبعـة ضخمـة للذهـاب إلى المرفـأ ليحـضر بعـض السرديـن أو العسـل أو أي شيء آخـر.

لأن أوتّار كان يصفف شعره بأناقة.

صفف شعره الخفيف الذي لم يكن له لون محدد بمفرق على اليمين.

وكان يـشرح بزهـوٍ أنهـم يصففـون شـعورهم هكـذا في مدينـة بـودو حيـث كان يعمـل موظفًـا هنـاك.

لكـن بالطبـع لم يكـن لديـه وقـت لتصفيـف شـعره في أيـام العمـل. لـذا كان يرتـدي دائمًـا القبعـة الصفـراء الضخمـة إذا اضطـر. كانـت القبعـة معلقـة دائمًـا عـلى المشـجب بجـوار البـاب، وعليهـا لافتـة كُتـب عليهـا "خـاص".

لكـن هـذه القبعـة كانـت تسـبب المتاعـب سـواء في الخـارج أو في مكانهـا عـلى المشـجب.

أحيانًـا كان يصـل إلى رصيـف المرفـأ مـن دون أن يتذكـر وضـع شيء عـلى رأسـه، ذهبـت تصفيفـة شـعره أدراج الرياح.

عنـد ذلـك كان عليـه أن يعـود مـرة أخـرى لتصفيـف شـعره وتهدئـة ثائرتـه، ويضيـع الوقـت الثمـين الـذي قـد يسـتغله في التجـارة وتحقيـق الكسـب، لكنـه لم يهتـم لـشيء سـوى ضبـط تصفيفـة شـعره، لا بـد مـن تغطيـة البقعـة الصلعـاء السريـة الصغـيرة، مهـما كلّفـه ذلـك.

لن يمكن حتى لصياد فقير أن يتسلل إلى الخارج للبحث عن عشاء! بدا أن القوى العليا اعتقدت أن عليهم الجلوس هنا وأيديهم في جيوبهم والتضور جوعًا حتى الموت. على الرغم من وجود مخزن للمؤن هناك على حافة رصيف المرفأ.

بصق الرجال على الأرض بجوار الباب، سواء كانوا يلوكون التبغ أم لا، وكان لديهم جميعًا الرأي نفسه.

جلست تورا على برميلٍ صغيرٍ في الركن المظلم وانتظرت. كانت القائمة التي سجلت الأغراض التي عليها أن تشتريها في قبضة يدها. شعرت بحكة من جوربها الصوفي الطويل. جعلتها ماما ترتديه هذا العام أيضًا.

شعرت بدخول الهواء مع كل شخص يدخل من الباب أو يخرج منه. شعرت بالبرد تمامًا حيث ينجذب السروال بعيدًا عن الجورب حول وسطها، وتعرى جلدها لأنها كبرت كثيرًا خلال الصيف فأصبح الجورب الطويل قصيرًا للغاية.

لم تشعر بالأمر على الفور لكنها شعرت كما لو أن إبرًا من الثلج تخترق فخذيها.

خشيت اللحظة التي يومئ فيها أوتَّار ليخبرها أنه دورها، لأنها لا تحمل أي نقود هذه المرة أيضًا. فقط الورقة المبتلة بفعل المطر والعرق في يديها. كتبت إنجريه بخطها:

نصف كيلوجرام قهوة

1 كيلوجرام زبد

2 كيلوجرام دقيق

1 جرام خميرة

1 لتر عسل أسود

مكتبة
t.me/soramnqraa

هـل مـن الممكـن تسـجيل هـذه الأغـراض في السجل حتـى أحـضر إليـك؟

إنجريه

تقلـص وجـه أوتّـار، وأظلـم قليـلًا حـين أعطتـه الورقـة، همهـم بضيـق، وأحـضر الأغـراض.

بعـد ذلـك أخـرج السجل الطويـل السـميك الـذي كان ذات يـوم يحمل نقوشًـا رخاميـة بدرجـاتٍ مختلفـة مـن اللـون الأخضر.

بـدأ يبحـث ببـطء بسـبابته عـن اسـم إنجريـه توسـتيس، وأضـاف المبلـغ إلى كل المبالـغ المسجَّلة مـن قبـل. في النهايـة أغلـق السـجل بقـوة، وتنهـد بصـوتٍ غـير مسـموع.

في أثنـاء ذلـك كانـت تـورا واقفـة هنـاك، تنقـل وزنهـا مـن سـاقٍ إلى أخـرى، وشـعرت كـما لـو أن هنـاك نمـلًا يـسري بـين جسـدها وملابسـها.

كانـت دائمًـا تشـعر كأنهـا في حاجـة إلى التبـوُّل، رغـم أن آخـر شيء فعلتـه قبـل المجـيء إلى الـدكان التبـول خلـف السـياج الخشـبي الطويـل.

لكنها تمكَّنت دائمًا من الحصول على الأغراض.

لم يرفـض أوتّـار إعطـاء أي شـخص الأغـراض التـي يحتـاج إليهـا لصنـع الخبـز.

تسـلَّلت تـورا بـين الرجـال، طفـت وجوههـم معًـا هنـاك بالأعـلى. أعـين ومزيـد مـن الأعـين، أفـواه مملـوءة تمضـغ، أفـواه تلـوك الغلايـين بـين أسـنان صفـراء، أو أفـواه نصـف فاغـرة، وتنظـر إليهـا بفضـول. كان مـن الممكـن أن يكـون الجـرس النحـاسي الصغـير فـوق البـاب علامـة جيـدة أو سـيئة بالنسـبة إلى تـورا، عـلى حسـب مـكان وقوفهـا واتجـاه وجههـا وأصابـع قدميهـا، للخـارج أم للداخـل.

مرتعدة ومقطوعة الأنفاس، توقفت سرعان ما تمكّنت من ذلك خلف السياج الخشبي كي تتبول. ثم أسرعت على الطريق وإلى أسفل التل إلى بيت توسينيامّه. قفزت فوق بِرك الوحل، وتخبطت أغراض البقالة بساقيها. انتفخ معطف المطر الأسود خلفها كأنه شراع، لأنها لم تجد وقتًا لإغلاقه.

لم تعرف حقًّا ما الذي كان سيحدث إذا لم تتمكّن من الخروج بمجرد تدوين أغراض البقالة في السجل. توقفت خيالاتها هناك.

لكن أوتّار في الدكان مثل يسوع والرب والقس والمعلم المسن وهنريك، جميعهم في واحد في الوقت نفسه.

لم تكن قادرة على احتمال الأمر! توجب عليها الفرار!

حين عادت إلى البيت، لم تعنِّفها أمها لأنها صعدت وهي تدق على الدرج مرتدية الحذاء الطويل حتى وصلت إلى الداخل. فقط أخذت البقالة وربتت على تورا للحظة بيدها الخالية، ابتسمت بوهنٍ كأنها ترغب في قول شيء ما.

لكن تورا ركضت مرة أخرى هابطة الدرج، وخرجت إلى الأطفال الآخرين على الطريق بضفيرتيها الحمراوين الطائرتين خلفها وفرحة غريبة هاربة في أعماقها.

شعرت أنها أُنقذت هذه المرة أيضًا. الآن يمكن أن تخرج الرحلة التالية إلى الدكان من رأسها بضمير مرتاح. فلتدفعها إلى أعماقنا الآن.

شعرت بالقلق ينهشها حقًّا كجرذٍ بين حين وآخر كلما اقترب النهار. خاصة حين ترقد وحدها في سريرها في الظلام الدافئ بغرفتها. لكن حين تنتهي تلك اللحظة تمامًا تنتهي كل المخاوف.

فاحت رائحة الخبز في كل مكان في البيت في المساء حين عادت بيدين خدرتين وأذنين حمراوين. سال لعابها وركضت إلى أعلى.

ركضت ساقاها الهزيلتان بسرعة إذا أرادت ذلك. ما زالت أرغفة الخبز على الطاولة كي تبرد.

لا شيء يُقارَن براحة خبز أمها. حتى هنريك تلوح في وجهه الطيبة حين يشم رائحة الخبز. أحيانًا كان يجلس إلى طاولة المطبخ ويعبث بشيء أو آخر، كان ماهرًا بيده الوحيدة التي يمكنه استخدامها، وساعد قدر استطاعته باليد الأخرى. لكن فقط إذا أراد أن يفعل ذلك.

اعتقدت الخالة راكيل أن في وسعه كسب رزقه من إصلاح شِباك الصيد لأنه كان ماهرًا. وكان في وسعه فعل ذلك لو لم تتحمَّل إنجريه مسؤولية كل شيء يحتاجون إليه في البيت. لكن إنجريه لم ترد على هذه التعليقات قَطُّ. تظاهرت بعدم سماعها ببساطة. عرفت تورا أنه لولا الخالة راكيل لما بدت الظروف جيدة بالنسبة إليهم في الوقت الذي كانت فيه أمها عاطلة عن العمل.

كانتا وحدهما هذه الليلة، هي وأمها. ذهب هنريك إلى كوخ آرنتسين. سمعت صوته من النافذة المفتوحة حين مرَّت بجواره وهم يلعبون الغميضة بين البراميل بالأسفل.

اليوم السبت وبعض الرجال كانوا هناك لقضاء الوقت.

علقت تورا ملابسها المبتلة كي تجف، ووضعت مزيدًا من الفحم في الموقد فقط لتري أمها أنها ترغب في مساعدتها.

كانت إنجريه تمارس الخياطة. تجلس منحنية على ماكينة الخياطة السوداء التي ورثتها عن الجدة.

ثم نهضت ببطء وتمطَّت ووضعت يدها اليمنى على ظهرها لدعمه. بدت شاحبة ومتعبة لكنها ابتسمت. كانت ابتسامة حقيقية، كما لو أنها تفكر في شيء جيد. ثم ذهبت إلى نضد المطبخ وأمسكت برغيف خبز طازج وقطعته بسرعة. في وسعك رؤية الخبز يستسلم

للسكين الحادة التي تمر خلاله، كان مقرمشًا. ومع كل قطعة أصدر الخبز صوتًا كما لو كان يتوسل لنفسه.

دهنت إنجريه كثيرًا من الزبد ورشَّت ملعقة من السكر لينتثر بالتساوي على شريحة الخبز. سألت:

- ماذا قال أوتَّار؟

ثم صنعت شطيرة أخرى من الزبد والسكر.

- لا، لم يقل أي شيء... أعني أنه تكلم مع الأشخاص الآخرين الواقفين هناك.

تكلمت تورا بتردد فالتفتت الأم وتطلعت إليها بالوجه الذي لم ترغب في رؤيته هذه الليلة.

- لماذا تقولين ذلك؟ لماذا لا تروين الأمر كما حدث؟

بدت الأم غاضبة وقلقة.

- ماذا يجب أن أقول؟

بدا صوت تورا ضئيلًا، لكنها مدَّت يدها إلى الشطيرة التي تناولها إياها أمها.

- اجلسي إلى الطاولة، ولا تنثري السكر في المكان!

جلست تورا إلى طاولة المطبخ، ووضعت طبقًا أسفل شطيرتها لأنها تعرف أن هذا ما أرادته أمها.

هل كان عليها دائمًا أن تفعل ما يعكر مزاج أمها؟ دائمًا ترتكب أفعالًا خاطئة. هذا حظها! وهذه الليلة، كانتا وحدهما، وكان في وسعهما قضاء وقت ممتع معًا.

- لم يقل لي أوتَّار أي شيء،، حقًّا. إذا قصدتِ أنه قال شيئًا حين طلبت تسجيل الأغراض فأقسم لكِ إنه لم يقل أي شيء!

خيَّم الصمت بينهما، والتفتت إنجريه إلى نضد المطبخ مرة أخرى. قرمش السكر وهو يُطحن بين أسنان تورا بصوتٍ عالٍ. لم تستطع فعل شيء حيال هذا لأنه شهيٌّ جدًّا وهي جائعة.

تعالَى صوت ضربات المطر على النافذة الآن. احتجزهما معًا في الداخل. بدا أن ماما فكرت في ذلك أيضًا، لم يكن لهما سوى بعضهما. لأنها التفتت فجأة ونظرت إلى تورا بحنانٍ، وقالت:

- حسنًا، ربما هذا صحيح. أوتَّار شخص طيب. ستأخذين له المال الأسبوع القادم. لأنه يفترض أنني سأكسب بعض النقود الإضافية من أعمال التنظيف في منزل المأمور، بالإضافة إلى راتبي، وسأجعلك أنتِ تأخذين له النقود.

ظلَّت تورا تمضغ وتبتسم، لكن بعيني عقلها في وسعها رؤية عشرة أرقام على الأقل في سجل أوتَّار. لكنها لم تقل أي شيء. تململت في مكانها، ولعقت السكر الذي سقط على الطبق. لعقت إصبعها وضغطتها بقوة على حبات السكر كي تلتصق به حتى يصل إلى فمها. قالت الأم:

- لا تفعلي ذلك، من المقزز أن يلعق الناس أصابعهم وهم يأكلون.

أحنت تورا رأسها وتوقفت عن لعق إصبعها. شعرت بألمٍ في بطنها وكانت الشطيرة الأخرى التي أعطتها أمها لها كبيرة أكثر من اللازم. شعرت بالبؤس لأنها لا تعرف ماذا تفعل سوى الابتسام مرة أخرى لأمها. لكنها لم تكن ابتسامة حقيقية، لم ترها الأم على أي حال لأنها التفتت إلى نضد المطبخ كي ترفع الطعام.

بعد فترة توجَّهت إنجريه إلى الطاولة التي تحمل ماكينة الخياطة، دائمًا تولي تورا ظهرها حين تجلس إلى ماكينة الخياطة.

شعرت تورا بالخواء. بدا كما لو أن ظهر ماما يخاصمها طوال الوقت.

قالت تورا وهي تحاول التقرب منها:

- هل أعد لكِ قهوة يا ماما؟

التفتت إنجريه ببطء، ونظرت إلى ابنتها كما لو أنها لم ترها حقًّا قبل ذلك. ضيقت عينيها قليلًا كأنها لا ترى جيدًا بعد اعتياد الإضاءة القوية المنبعثة من ماكينة الخياطة، وفجأة كان عليها أن ترى في الظلام.

- لا يا حبيبتي.. لكن في وسعك مساعدتي بتجربة هذه السترة، لأن لديَّ مشكلة في الكُمَّين هنا. راكيل أصغر مني حجمًا وأكثر نحولًا عند الكتفين، فلا بد أن أغلق جزءًا هنا، هل ترَين. لكن فيما عدا ذلك تبدو السترة جديدة تمامًا.

رفعت سترة الخالة راكيل المعدَّلة كي تريها لـ تورا. مسحت تورا فمها بسرعة وهرعت إلى أمها.

- نعم، ماذا تريدين مني أن أفعل؟

شرحت الأم لها ووجهتها. ارتدت تورا السترة، والتفتت إلى المرآة التي أحضرتها من غرفة المعيشة وأسندتها إلى ظهر الكرسي. وضعت الدبابيس في الأماكن التي أشارت إليها إنجريه. صنع المصباح العاري هالة باردة على الرأسين المنحنيَين معًا إلى الأمام.

بعد قليلٍ انتهت تجربة السترة، وعادت إنجريه للجلوس مرة أخرى إلى ماكينة الخياطة. ترنَّمت وهي تضغط بقدمها على الدواسة. مالت تورا إلى حافة الطاولة لمشاهدتها. لديها الجرأة لفعل ذلك الآن. جذبت الكرسي إلى أقرب ما يمكنها، وتمكنت من مشاهدة العملية. كانت الأم راضية. صارت السترة جميلة وأنهت عملها. اختفت التقطيبة التي بين عينيها، سُحبت بطريقة جميلة لإلى درجة أن تورا بدأت تشعر بدفء في أعماقها.

ثـم طلبـت منهـا أمهـا تسـخين القهـوة. وتحدثتـا عـن مفاجـأة الخالـة راكيـل حـين تـرى كيـف أصبحـت السـترة جميلـة.

لم يكن حديثهما قد انتهى بعد حين عاد هنريك إلى البيت.

لم ينتبِهـا حـين فُتـح بـاب البيـت في الأسـفل وأُغلـق، لأنهـما لم تتوقعـا حضـوره مبكـرًا ليلـة السـبت.

لم يكـن ثمـلًا كـما هـو معتـاد، رأت تـورا ذلـك. جلـس إلى طاولـة المطبـخ وأراد الكلام.

نـاول تـورا المقـص الـذي تركتـه عـلى الطاولـة بعدمـا قصَّـت بعـض الخيـوط لأمهـا. شـعرت تـورا أن المقـص مختلـف عـلى نحـو مـا، كان بـاردًا أكـثر. غريبًـا. كان تنـاول المقـص منـه مقـززًا. لـذا أخذتـه بهـدوء واحـترام مـن دون أن تنظـر إليـه.

قالت بصوتٍ عالٍ: شكرًا!

فيـما بعـد، سـألها عـن أخبارهـا في المدرسـة. لكـن حينهـا بـدا عليـه النعـاس فنهضـت إنجريـه مـن أمـام ماكينـة الخياطـة، وسـاعدته للذهـاب إلى السريـر.

حـين دخلـت أمهـا وهنريـك غرفـة المعيشـة ورأتهـما تـورا مـن البـاب نصـف المفتـوح، معًـا، شـعرت بغثيـان. دخلـت غرفتهـا سريعًـا وأغلقـت البـاب خلفهـا برفـقٍ.

كان الغرفـة بـاردة للغايـة. لكـن كانـت هادئـة ولا يراهـا أحـد. ظلَّـت واقفـة في وسـط الغرفـة، وشـعرت بالأسـف مـن أجـل المـلاك المعلَّـق داخـل الزجـاج في إطـار عـلى الحائـط. ارتـاح خـده عـلى يـده الثخينـة وهـو يحـدق إلى الـلاشيء.

كان الملاك وحيدًا تمامًا.

8

حصلت تورا على مصاصة من دكان ياني لأنها أحضرت له الطرد القادم من لوفوت مع الباخرة.

كانت تتمشى ببطء الآن عائدة إلى المنزل.

رأت أن السماء الصافية كانت معجزة، وأن طيور النورس صنعت تشكيلات من أجلها فوق دعائم تجفيف الأسماك. ردَّدت صيحات النوارس صوتًا جميلًا في رأسها. في وسعها سماع صوت النوارس وقتما شاءت وأينما شاءت، لأنها كانت تحمل هذه الأصوات معها.

لكن أحيانًا كانت الأصوات أخف وألطف من المعتاد.

كان هذا هو أحد تلك الأيام اللطيفة. يوم للبدء من جديد. يوم للتفكير في الأشياء الطيبة. يوم للجري بسرعة، للضحك بصوتٍ عالٍ، أو فقط للتمشية وحدك بصحبة المصاصة، الذهاب إلى مكان غير محدد، على الرغم من أنها عائدة إلى البيت.

يـانِّي طيبـة. كانـت عنيفـة وتتلفـظ بكلـمات سـيئة أحيانًـا، لكنهـا كانـت لطيفـة. الأمـر لـه علاقـة بعينيهـا، ربمـا. كانتـا ضيقتـين وخضراويـن، مفعمتـين بالحيويـة سـواء كانـت سـعيدة أم غاضبـة.

تشـبه وجنتـا يـانِّي التفـاح الـذي تبيعـه، ممتلئتـان وحمـراوان. لم يكـن مئزرهـا المخطـط باللونـين الأصفـر والبنـي نظيفًـا تمامًـا قَـطُّ. لطَّختـه البقـع بفعـل القلـم في مـكان الجيـوب. دائمًـا.

كان بـاب الشـقة مفتوحًـا، لكـن لم يصِـحْ بهـا أحـدٌ ليأمرهـا بخلـع الحـذاء. وقفـت تـورا فجـأة بصمـت. تقلَّصـت معدتهـا. بـدا كـما لـو أن شـخصًا هنـاك ومـع ذلـك لا أحـد هنـاك.

هل يمكن أن يكون هنريك ثملًا في منتصف النهار؟

حـين دخلـت تـورا وجـدت إنجريـه جالسـة إلى طاولـة المطبـخ ، مرتديـة معطفهـا البنـي الـرث. لم ترفـع رأسـها كـما لـو أنهـا لم تلحـظ دخـول تـورا. مـا زالـت مرتديـة الوشـاح والقفـاز أيضًـا!

كان وجهها ضبابيًّـا، أنفهـا كنقطـة حـبر حـاول أحدهـم مسـحها لكنـه لطخهـا فحسـب.

بـرزت خصلـة مـن الشـعر الأسـود الغزيـر مـن الوشـاح، وبـدت في غايـة الحيويـة رغـم كل شيء.

- لـن يَدَعـوني أعمـل. يـروْن أننـي أمثِّـل مشـكلة لأننـي لا أرغـب في المناوبـة الليليـة بعـد الآن. ليـس لـديَّ عمـل يـا تـورا.

مـلأ صـوت إنجريـه الأجـش الغرفـة. كان هنـاك نـوعٌ مـن الغضـب العاجـز الـذي لا يجـرؤ عـلى إظهـار قوتـه. كأنـه يخـشى أن قوتـه لا تكفـي. واصلـت بنـبرة ذات أنـين مقهـور سـمعتها تـورا مـن قبـل:

- لا أدري كيف سنعيش الآن.

- هل أسلق البطاطس يا ماما؟

نطقت تورا الكلمات، وقد كتمت أنفاسها.

إذا تظاهـرت أنهـا لم تسـمع شـيئًا، فربمـا يكـون شـيئًا اختلقتْـه. لـو استطاعت أن تعـد حتـى المائـة وهـي تركـض إلى القبـو لإحضـار البطاطس، فقـد يجعـل هـذا مـا قيـل شـيئًا حلمـت بـه. حينهـا سـتكون أمهـا هنـا كالمعتـاد لصنـع الصلصـة مـن أجـل السـمك عندمـا تصعـد إلى أعـلى مـرة أخـرى.

لكـن حـين عـادت إلى المطبـخ نسـيت العـد، وكانـت أمهـا جالسـة في مكانهـا كـما هـي. تشـكّت أمهـا قائلـة:

- لـو أنـكِ كنـتِ قـادرة عـلى الاعتنـاء بنفسـك ليـلًا وحـدك، كنـت سـاحتفظ بعمـلي.

شـعرت تـورا أن الكلـمات ضربـة عـلى ظهرهـا. فتحـت الصنبـور إلى أقـصى حـدٍّ ليتدفـق المـاء بقـوة في الحـوض كي لا تسـمع المزيـد. قلَّبـت البطاطـس بيديهـا في الوعـاء الـذي امتـلأ بالرمـال بصخـبٍ قـدر اسـتطاعتها. شـعرت أن الدمـوع الحبيسـة خلـف عينيهـا تضغـط عليهـما بشـدة. لكنهـا أخرجـت كل طاقتهـا في غسـل البطاطـس. كأنهـا تحـاول إظهـار أن في وسـعها الاعتنـاء بنفسـها مهـما كان عـدد الليـالي التـي سـتضطر إلى قضائهـا وحدهـا.

لكن الاتهام أصبح مهمًّا وحقيقيًّا لأن ماما هي التي أطلقته!

حقيقيًّا! ألم تفعل ذلك.. كانت تورا..

شـعرت فجـأة أن جسـدها بأكملـه بـدأ يتعـرى مـن الجلـد. لم تجـرؤ عـلى الالتفـات. كان وجههـا عاريًـا تمامًـا. بـدأ الأمـر بعينيهـا ثـم شـعرت بـه في أطـراف أصابعهـا. انتـشر سريعًـا في جسـدها بأكملـه. كان شـعورًا بـاردًا ورطبًـا، راودهـا الشـعور نفسـه حـين لمسـت جدتهـا عنـد موتهـا العـام المـاضي. شـعرت بالعـرق والـبرودة.

ربما بدأت هي أيضًا تموت على نحوٍ ما.

رائحة القرنفل؟

كلـما كان عليهـا الوقـوف في الفصـل وإلقـاء شيء مـا غيبًـا أمـام الجميع، مـع أنهـا تعـرف الـدرس، شـعرت بالتعـرق في يديهـا وإبطيهـا. ثـم شـمَّت رائحـة المـوت والقرنفـل الحلـوة.

لـن تتوقـف إنجريـه عـن الـكلام الآن. ظلَّـت تتكلـم في أثنـاء تجهيـز العشـاء. تجوَّلـت في المطبـخ بـشرودٍ مرتديـة المعطـف والوشـاح. لم تسـمع تـورا مـا قالتـه. أو بمعنـى أصح نسـيته عمـدًا بمجـرد سـماعه.

ذلك أفضل لكليهما.

انشـغلت بالفعـل بصنـع طـوف إنقـاذ كي تطفـو عليـه بقيـة اليـوم. سـتنهي الواجبـات وتجـري إلى يـانِّي في الـدكان كي تسـاعدها في وضـع الأسـعار عـلى المنتجـات.

وعدتها بذلك!

ستجعل نفسها غير مرئية اليوم.

لكـن في البدايـة عليهـا أن تنظـف المطبـخ جيـدًا كي تتمكـن أمهـا مـن أخـذ قيلولـة.

إذا لم تردهـا يـانِّي هنـاك طـوال اليـوم، في وسـعها أن تذهـب إلى عليـة المخـزن حيـث تضـع دفاترهـا.

في عليـة مخـزن العـم سـايمون نافـذةٌ لهـا أربعـة ألـواح زجاجيـة متسـخة، لكنهـا سـمحت لقليـلٍ مـن ضـوء الشـمس بالمـرور مـن خلالهـا، هـذا إذا كان هنـاك أيٌّ مـن ضـوء الشـمس بالخـارج. أرتهـا النافـذة جـزءًا صغـيرًا مـن السـماء، ولم يكـن هنـاك أي مصـدر آخـر للضـوء بالداخـل.

أحيانًا فكرت أن تأخذ معها شمعة لكنها لم تفعل.

أخافتها إنجريه من النار، وشددت على مدى بشاعة فقد السيطرة عليها. لذا عجزت عن القراءة أو الكتابة إذا لم يكن هناك ضوء قادم من الخارج. لكن لم يستطع أحدٌ منعها من الجلوس هناك في الركن تحت بقايا شراع كبير ممزق بجوار النافذة، وسماع الفئران وهي تركض بين الجدران. يمكن سماع صوت البحر وطيور النورس من هنا أيضًا.

أُلقيت هنا صناديق السمك والبراميل ومهملات أخرى من كل نوع. يمكنها أن تصنع منها أثاثًا بأنواعٍ مختلفة.

كانت كبيرة حقًّا على ذلك لكن لم يرَها أحد.

لم تصطحب تورا أي شخص إلى علية المخزن، حتى صديقتها سول. كانت سول كبيرة على هذه الأمور، فلم تشعر تورا أنها تخدعها بأي شكل .

أيضًا كان لديها هناك قطعة قماش صوفية قديمة، كي تستخدمها حين يصبح الجو باردًا، وترى أنفاسها على هيئة دخان مخيف يتصاعد من فمها، كما لو أنها غول أو تنين أُلقيت عليه تعويذة ليتظاهر بأنه شيء آخر ويصبح على طبيعته فقط إذا كان وحده. لكنها ما زالت تورا.

إذا تمكنت من الجلوس هنا لفترة فحسب، فلديها مزيدٌ من القصص في رأسها، أكثر مما يمكنها تذكره. بعضها شديد الإثارة، وبعضها له البداية نفسها لكن النهاية مختلفة.

أحيانًا عذبت نفسها بجعل النهاية حزينة. ثم بكت في غطائها الصوفي من دون ذرف دمعة واحدة، لاقت مشكلة في ذرف الدموع، كأنها حبيسة ولا تستطيع الخروج.

انتظرتها القصص مستندة إلى الحائط في ظلال الصناديق الموضوعة في المكان، بين الأشعة المتسللة من السقف. في أجمل القصص كان هناك أبٌ يعود.

كانت الأم مريضة وماتت، وحين يعرف الأب ذلك يأتي من بلدٍ أجنبي ويأخذ ابنته، حتى لو لم يرها من قبل. بسهولة ومن دون إحساس بالذنب، تُترك الأم في القصة لتموت، من الواضح أن الأفضل لها أن تصعد إلى الجنة.

أن تكون وحدها.

شكّلت هذه الفكرة سرًّا بهيجًا.

حفظت كنوزها أسفل صندوق زبد. وأيضًا ثلاثة دفاتر أخذتها من جُن، وقلم رصاص. لم تجد دائمًا وقتًا لكتابة بعض القصص. أحيانًا يخيّم الظلام، وأحيانًا تسارعت الأحداث إلى درجة أنها لا تجد الكلمات لوصفها.

أحيانًا، تشعر أنها هراء، بعد أن تراها مكتوبة في دفترها، فتشطبها.

في هذه الحالة من الأفضل أن تظل الأفكار طافية تحت الغطاء أو طائرة في الهواء فحسب. كانت الأفكار في حد ذاتها كبيرة. كانت أجمل شيء عرفته تورا. حتى إذا لم يمكنها تحمُّل فكرة أو اثنتين.

ألِّفت تورا قصة جميلة عن شخصٍ يسير وفي جيبه مفتاح. مفتاح لغرفة صغيرة مغلَقة. غرفة معزولة عن البشر. حينها يمكنها التوقف في بقعة على الطريق حيث تنعطف وتعود إلى هذه الغرفة، أيًّا كان مكانها. فتحت الباب، دخلت، وأغلقت الباب خلفها.

لم يكن هناك أصوات.

الخطر؟ لا يمكن للخطر دخول غرف مثل تلك.

إذا ذكر أحدهم اسمه على غير توقع شعرت بالخطر مرة أخرى، خطرٌ قد يجعل اليوم رماديًّا أو مظلمًا، رغم أنها درَّبت نفسها على عدم التفكير في الأمر.

إذا دخل فجأة غرفة تجلس بها وحدها، شعرت كما لو أن أحدهم ألقى عليها قطعة قماش مبتلة قذرة.

حينها تقف هناك متجمدة فحسب، حتى يحدث أمر سحري يكسر التعويذة.

أنقذت نفسها أحيانًا باختراع قصة بسرعة البرق.

كانت أميرة مسحورة أصابها شيء رهيب. لكن إذا حدث شيء ما ستبطل التعويذة ويزول الخطر. مكتبة سُر مَن قرأ

أحيانًا يمكن ليوم جيد أن يغوص في أعماق قذارة البحر إذا علَّق ملابسه الخارجية في الردهة بجوار ملابسها أو إذا وُضع طبقها فوق طبقه في أثناء تنظيف الطاولة.

في كثيرٍ من الأحيان، حين اعتقدت أنها كانت تفكر في أشياء أخرى تمامًا، شعرت بغثيان لمجرد رؤية صابون الحلاقة الخاص به طافيًا في الحوض.

بالخارج، كانت الحياة طيبة في أغلب الأوقات.

كانت حياة من نوعٍ مختلفٍ. في وسع المرء أن يهرب! يهرب من أي شيء يطرأ.

إذا كانت هناك عاصفة وما يكفي من الرياح شعرت أنها تطير. أسرعت في الركض، وأخذت قفزات أوسع فحسب. حينها، فجأة، تتحول إلى تورا التي تستطيع الطيران.

كثيرًا ما قالت خالتها راكيل وأمها: "حين تكبرين!".

عرفـت تـورا أنهـا بـدأت تكـبر بالفعـل. لأن الخطـر كان قـد اقـترب للغايـة، اقـترب أكـثر مـمًّا فعـل في السـابق. لم يكـن مجـرد أحـلام، بـل كان داخلهـا. وكان لا بـد أن تتعامـل معـه، لأن هـذا شـأنها.

هذا هو ما عليه الحال.

في الوقـت الحـالي تجـري بـأسرع مـا تسـتطيع، لا أحـد يمكنـه الجـري أسرع مـن تـورا.

تلعـب مـع الأطفـال الكبـار في فاعريـه إذا أرادت ذلـك، تمسـك الكـرة وتركلهـا بقـوة ودقـة، لـو كانـت في مـزاجٍ معتـدلٍ تسـدِّد الكـرة بزاويـة تبهـر جميـع مـن حولهـا.

لا أحـد يمكنـه الـضرب بمثـل القـوة التـي تمتـاز بهـا تـورا، عـلى الرغـم مـن أنهـا تبـدو قابلـة للكـسر إلى نصفـين لتفـوح منهـا رائحـة السـمك بوضـوح!

أبـرزت ذقنهـا الحـادة إلى الأمـام، وأمسـكت بالكـرة بيديهـا النحيلتـين الصلبتـين كالحجـر قبـل أن تلقيهـا بقـوة، وبمجـرد أن تفـارق الكـرة يديهـا تشـعر بالقـوة التـي ذهبـت مـع الكـرة. كان جسـدها مثـل زنـبرك ضيـق؛ ملأهـا ذلـك بفرحـة غامـرة!

بعد ذلك تنطلق الكرة وتظل هي..

لكنها تصيب هدفها بقوة، في المكان الذي تصل إليه.

9

خيَّم المساء هادئًا وأزرق خارج النافذة التي أسدلت تورا ستارتها. ملأت أكبر وعاء بالماء الفاتر، والآن كان موضوعًا على المقعد في نهاية السرير، وكانت رؤيته في حد ذاتها مبهجة.

دفَّأت البيت طوال فترة ما بعد الظهيرة بعد أن غادرت أمها إلى العمل، وكان هذا ممنوعًا. قالت إنجريه يكفي أن ندفئ البيت لعدة ساعات قبل الاستحمام، لأن الفحم كان غاليًا. لا يمكنهم حقًّا تحمُّل تكلفة حرق الفحم. اعتاد آينار، الساكن في العلية، على قول إن من الأفضل أن نأكله.

وضعت تورا السكين الكبير الحاد على السرير، المستخدَمة عادة لتقشير البطاطس، انعكس الضوء على نصلها بودٍّ لكن بإيحاءٍ خطر.

للشقة مفتاحٌ واحد فقط للباب البني الضخم. تكوَّن الباب من لوحين تراكمت عليهما طبقات كثيرة من الطلاء، ووُضع داخل إطار ضخم عليه طبقات أكثر من الطلاء.

استُخدم هذا المفتاح الضخم عتيق الطراز عند السفر، وإلَّا ظل معلَّقًا إلى جوار زر النور على حائط المطبخ. في كل غرفة سكين لإغلاق الباب، لم يكن قفلًا بقدر ما كان تنبيهًا.

أخرجت تورا القميص الداخلي الأبيض الجديد الذي ترتديه فقط في المناسبات المميزة. قالت الأم إن في وسعها ارتداءه لأنها لم تجد وقتًا لغسل الملابس منذ أسبوعين.

غمرت الفرحة تورا.. بالطبع يمكنها ارتداء القميص!

أصبحت كل ملابسها ضيقة للغاية عليها هذا العام، امتلأ جسدها النحيل في جميع الاتجاهات، وكان هذا سيئًا للغاية.

عليها أن تشعر بالخجل من النمو هكذا لأن أمها ستضطر إلى إنفاق الكثير من المال على ملابس جديدة ولم تُستهلك القديمة بعد. مرَّ وقت طويل قبل أن تفهم تورا عدم جدوى أن تحني كتفيها كي تضم صدرها إلى الداخل، أحنت رأسها وشعرت بالخزي.

مررت يدها على القميص الداخلي الجديد، له ظل أزرق تحت ضوء مصباح الطاولة الجانبية. كان جميلًا وأنصع بياضًا من القمصان القديمة.

خلعت ملابسها، ووقفت بجوار الموقد الأسود الصغير، وشعرت بالدفء يغمر جسدها؛ هذا جيد.

لو أن المرء يستطيع التجول من دون ملابس طوال الوقت، في دفء الموقد، على الأحجار المتناثرة على الشاطئ، في الشمس، أن تكون على طبيعتك فحسب، من دون أن يعتقد أحد أن هذا غريب أو مشين.

خطر لـ تورا أن هذا سيكون أفضل شيء في الدنيا.

دغدغت ضفائرها الطويلة ظهرها حين تحركت.

حـول البـاب صـدعٌ هـبَّ منـه فجـأة تيـار هـواء بـارد حـول جسـدها العـاري. ارتعـدت ووضعـت يدهـا في المـاء السـاخن الممـزوج بالصابـون ليسـيل ببـطء عـلى جسـدها. أرادت ضفائرهـا النـزول في المـاء، لكنهـا ستغسـلها في يـوم آخـر. سـاعدتها أمهـا عـادة في غسـل شـعرها. شـطفه كان شـديد الصعوبـة؛ احتـاج إلى كثـير مـن المـاء ولـذا يجـب غسـله عـلى حـوض المطبـخ.

التجـول عاريـة.. دائمًـا.. كانـت هـذه فكـرة سيئة. لا يجـب أن تخـبر أي أحـد بذلـك، لا سـول ولا الخالـة راكيـل.

كانـت الخالـة راكيـل تتحـدث بصراحـة عـن كثـير مـن الأمـور التـي لا تذكرهـا أمهـا.

حـين تجلـس ثلاثتهـن للـكلام في المطبـخ، كانـت إنجريـه تـزم فمهـا أحيانًـا، وتقـول:

- أوف، راكيل، تذكري وجود الطفلة.

كانت الخالة راكيل من نوعٍ مختلفٍ.

في وسـعها أن تفعـل أي شيء، بالطبـع، لديهـا زوجٌ يملـك قاربًـا وتجـارة في صيـد السـمك، ومزرعـة وبيتًـا أبيـض صغـيرًا في فاتـان وحظـيرة خـراف؛ بالطبـع مـن السـهل عليهـا أن تضحـك.

كثـيرًا مـا قالـت أمهـا إن الخالـة راكيـل طفلـة كبـيرة، لكـن تـورا لم تفهـم لماذا تهتـم أمهـا لكـون الخالـة راكيـل طفلـة كبـيرة، بمـا أنـه لا يوجـد أطفـال في باكيـورده.

عرفت راكيل كيف تضحك ضحكًا مزلزلًا.

قـد تتفاجـأ عنـد سـماعها تضحـك للمـرة الأولى، تدفـق قـدر كبـير مـن الضحـك مـن فمهـا، وفي الوقـت نفسـه، مـن بطنهـا. وكان شـعرها الأحمـر المتمـوج يشـبه السـحاب حـين تلقـي رأسـها إلى الخلـف وتضحـك

مـن صميـم قلبهـا. هنـاك قصـة تُـروى أنهـا ضحكـت كثـيراً في زفافهـا مـن دون أن تتمكـن مـن السـيطرة عـلى نفسـها إلى درجـة أن سـايمون أجـاب بــ "نعـم" بالنيابـة عـن كليهـما في أثنـاء المراسـم في الكنيسـة، وذلـك لأن القـس كان يضـع طقـم أسـنان جديـدًا، ولم يتكلـم بوضـوح حـين سـألهما إن كانـا يريـدان أن يصبحـا زوجًـا وزوجـة.

فجأة سمعت تورا خطوات على السلم.

تمالكـت نفسـها بسرعـة، ووضعـت السـكين بـين البـاب والإطـار، لا يتوقعـون زوارًا. أنصتـت وهـي ممسـكة بقطعـة الصابـون عـلى صدرهـا بكلتـا يديهـا. تقطـر المـاء بتتابـعٍ منتظـمٍ وبـلا صـوت تقريبًـا مـن رقبتهـا وأنفهـا عـلى الأرض الخشـبية، بـينَ حـين وآخـر تسـقط قطـرة عـلى صدرهـا.

فتح أحدهم باب المطبخ.. **هو!**

لكـن يُفـترض أن أمامـه سـاعات مـن العمـل في الأسـفل في مخـزن داهـل! غاصـت في الركـن عـلى الأرض عنـد نهايـة سريرهـا.

إذا حـاول أحدهـم مـع بابهـا، فيمكنـه أن يفتحـه قليـلًا قبـل أن توقفـه السكين.

من الممكن إزالة السكين من الخارج، الآن تسمعه يسير في المطبخ.

نادى من المطبخ الخالي:

- إنجريه!

كان ثملًا، في منتصف النهار.

سمعته الآن في غرفة المعيشة. تأوَّه وحاول خلْع حذائه.

لـو أنـه فقـط اسـتلقى في السريـر سـينام عـلى الفـور. كانـت سـتسـمع تأوُّهـه وشـخيره عـبر الجـدران الرفيعـة. حينهـا سـيكون في وسـعها الانتهـاء

مـن الاسـتحمام، تغسـل الجـزء الأسـفل وقدميهـا. لـن يمكنهـا أن تفعـل ذلـك قبـل أن ينـام.

سمعت خطواته متجهة إلى السرير.

ظلـت تـورا جالسـة بـلا حـراك في الركـن. تزايـد الظـلام في باطـن الموقـد كـما تبـين مـن الفتحـات حـول بابـه. لكنهـا لـن تتمكـن مـن النهـوض ووضـع مزيـد مـن الفحـم في الموقـد الآن.

شيء مـا أخبرهـا أنهـا يجـب ألَّا تجعلـه يعلـم أنهـا بالبيـت. يجـب ألَّا تكـون هنـا. يجـب أن تكـون عـلى الطريـق أو عنـد الخالـة أو في فاعريـه. في أي مـكان مـا عـدا هنـا، إلى أن ينـام هنريـك.

إذا نـام هنريـك سـيكون البيـت كلـه لهـا وحدهـا، يمكنهـا التظاهـر بأنـه غـير موجـود، يمكنهـا إغـلاق جميـع الأبـواب والجلـوس في المطبـخ والشـعور أنهـا نظيفـة ومتجـددة تمامًـا. أو يمكنهـا إضـاءة النـور فـوق طاولـة المطبـخ وقـراءة ذلـك الكتـاب اللطيـف الحزيـن الـذي اسـتعارته مـن جُـنْ.

يمكن أن يظل العالم جميلًا.

ظلـت جالسـة القرفصـاء حتـى تخشـبت فخذاهـا، وجـف المـاء مـن جسـدها بأكملـه، وبـدأت ترتجـف مـن الـبرد. لم تسـمع صـوت الشـخير حتـى الآن، ربمـا كان ثمـلًا إلى درجـة عـدم القـدرة عـلى الشـخير؟ ربمـا مـات؟ هـل سـتحزن مـن أجلـه؟ إلى حـدٍّ مـا.. لأن مامـا سـتحزن.

هنريـك كان هنريـك. لم يكـن في وسـعها التفكـير في شيء آخـر. دائمًـا نادتـه هنريـك. الأطفـال الآخـرون نـادوا الرجـل في منزلهـم بكلمـة بابـا. شـعرت تـورا بالسـعادة فجـأة لأنهـا لم تنـادِه بابـا. لم تعـرف السـبب. ربمـا كان الأمـر متعلقًـا بيـده القاسـية. شيء متعلـق باختـلاط الحلـم والحقيقـة عـلى نحـو محكـمٍ ومظلـمٍ إلى درجـة لا تُحتَمـل.

شعرت بشيء ثقيل للغاية يضغط على جسدها بأكمله، ويصل إلى الجزء الأسفل.

تمنَّت لو أن الوقت صيف ومنير طوال اليوم وهي في هذا الموقف. في الوقت نفسه أرادت الاختباء في الشتاء المظلم في أعمق ركن تجده.

بالتأكيد يمكنها أن تقف لتضع الفحم في الموقد، لا بد أن هنريك نائم الآن.

لم يبقَ في الموقد سوى شرارة ضعيفة. جمعت بعض الورق ووضعته على الشعلة ثم وضعت الفحم.

أصبحت الغرفة شديدة البرودة، وكانت ترتجف لأنها لم تجفف جسدها.

طفت رغوة الصابون في وعاء الاستحمام كأنها بيوض ضفدع. برد الماء. مع ذلك عصرت قطعة القماش، وأخذت تغسل الجزء السفلي من الأمام والخلف. فعلت ذلك بسرعة وهدوء وقد حبست أنفاسها، تكوَّن جلد الإوزة على جسدها أينما مسحت بقطعة القماش المبللة عليه. ثم جاء دور قدميها.

كانت أمها دقيقة للغاية فيما يخص كيفية الاستحمام على نحوٍ صحيحٍ. الوجه في البداية ثم الأذنان ثم الرقبة ثم الصدر ثم الذراعان ثم الظهر ثم الجزء السفلي، كما أسمته.

في النهاية ساقاها النحيلتان وقدماها إلى أعلى حتى الركبتين، لم تشكِّل أواخر الخريف ووقت ارتداء الأحذية الطويلة فارقًا بالنسبة إلى أمها.

لم تجرؤ على الغش.

كما لو أن أمها كانت قادرة على رؤية إتقانها في الاغتسال عبر ملابسها.

نقلت الوعاء إلى الأرض، ووضعت قدميها داخله. حينها سمعته عند باب غرفة المعيشة.

شعرت كأن رأسها تمدَّد، تضخم من دون شكل محدد وطفا، ولم تقدر على السيطرة عليه. ما من فكرة أخرى!

تسارع نبضها في عروق رقبتها بشدة، وشعرت بتضخم لسانها داخل رأسها الذي لم يعد موجودًا.

- تورا..

صوت يتكلم بتلعثم ويحاول الاقتراب.

لم ترد. لا أحد في الوجود يُدعى تور. لقد طفت إلى العدم، لا شيء سوى سكون ضخم.

بدأت السكين تتحرك. شاهدتها وظلت تشاهدها. شاهدت الباب يُفتح. شاهدته وهو يدخل كالجبل الضخم. ظلَّت ممسكة بقطعة الصابون إلى جسدها. حاولت تغطية نفسها بذراعين نحيلتين وقطعة صابون.

ثم لم يعُد في الغرفة سوى صوت التنفُّس. صوت التنفس كان صوت الليل في البيت. الوقت الآن نهارًا لكن..

لم يكن للرجل وجه، سقط وعاء الاستحمام، كانت الذراع السليمة مستعدة للقيام بالعمل الذي تؤديه كلتا الذراعين. في وقت ما سمعت صوتًا يردد قريبًا من رأسها:

- لا تخافي. فقط سـ. لن أدخله كثيراً حقًّا.. فقط سـ.

القطة المسلوخة على الطريق.

انتهى الأمر، لم يكن هناك مكان للاختباء، لم يكن هناك داعٍ إلى ذلك.

كانت اليد نفسها التي أنقذتها من حافة رصيف المرفأ. كانت اليد نفسها التي أمسكت بها في قمة هاستهامران، التي دفعتها على الأرجوحة بين الأشجار خلف المنزل، اليد نفسها التي ضربتها وساعدتها في أمور كثيرة. أحاطت بها، نمت حولها، داخلها. أصبحت مثل سربٍ من قناديل البحر، عديمة الشكل وحارقة ومتشبثة بها وكانت في كل مكان.

حين عاد إلى غرفته، متخبطًا في ملابسه المتهدلة حوله، كان لا يزال بلا وجه. فقط تعبير مبتسم ثابت عالق في الهواء بينه وبين الكومة التي على السرير.

فهمت تورا أنها ماتت بشكلٍ ما.

لكنها استخدمت قطعة قماش لإزالة جميع الأدلة شبه المتخثرة من البطانية الصوفية على السرير. ظلّت تفرك وتفرك كي تزيل كل شيء.

القطة المسلوخة. أمسك بها كلب بارتالسين، وسحبها في الوحل والقذارة. ومن وقتها وهي ملقاة في الحفرة هناك.

قالوا إن هذا خطأ القطة، فلا أحد يملكها أو يرعاها. ولهذا سلخها الناس. ولهذا سحبها الكلب إلى الوحل.

كان هذا ما عليه الحال. قرر أحدهم ذلك منذ وقت طويل مضى. لا أحد يمكنه إنكار الالتفاف على ذلك.

10

كانت باكيورده، مزرعة سايمون، أسفل قمة فاتان، حيث غابات البتولا والمستنقعات البرية قريبة من الحقول العليا. أُقيمت مباني المزرعة على سفح الجبل، مطلية بالأبيض ونظيفة، ولها نوافذ زجاجية مزدوجة في كل من المطبخ وغرفة المعيشة. تميزت الحظيرة بلونها الأحمر ونافذتها المستديرة بالأعلى عند علية القش.

قالوا إن عم سايمون واتته الفكرة حين كان عند أخته في منطقة وادي جودبران، وقلَّد نافذة الحظيرة التي رآها هناك.

ورث سايمون المزرعة والأرض ورصيف المرفأ. لم يكن مغرورًا بالضبط لكنه لم يكن شديد التواضع أيضًا. وظَّف الناس للعمل في مواسم الزراعة والحصاد وحافظ على المزرعة.

امتلك المال اللازم لفعل ذلك، هكذا غمغم الناس. جنى سايمون كثيرًا من المال. لم يذهب للصيد بنفسه بل وظَّف صيادَين وربَّانًا. كان يتعامل مع الأوراق وشراء السمك والعقود. حصل على كل شيء

بسهولة، كما اعتقد الناس في منطقة فاعريه. قالوا إن في وسع سايمون من باكيورده، والقس، توظيف أشخاص لإنجاز العمل. لكن راكيل كانت مسؤولة عن محصول البطاطس. فعلت كل شيء ما عدا حرث الأرض. كان لدى القس عددٌ كبيرٌ من الأبقار لإنتاج الحليب، وعاملٌ خاص لذلك. أما سايمون فحظيرته ممتلئة بالخراف التي يتركها لترعى في الجبال صيفًا، وهكذا كان هناك فرق بين ما يفعله القس وما يفعله سايمون، بالطبع!

لا أحد يمكنه اتهام راكيل أنها جالسة لشرب القهوة طوال النهار. اعتنت راكيل بالخراف بنفسها وأطلقت على كلٍّ منها اسمًا. وحين يأتي موعد الذبح في الخريف استأجرت أفضل جزار من برايلاند، وقلبت في الدم وهي تبكي وتصرخ وتبعد أي شخص يقترب منها.

في نهاية كل شتاء ركعت على ركبتيها في الحظيرة لمساعدة الشياه على الولادة. تسحب الكائن الصغير المغلَّف بالمخاط ثم تظل تبكي طويلًا، وتمسح بظهر يدها أسفل أنفها. كانت راكيل ملتزمة بفترة صوم خاصة بها على النقيض من أي تقاليد معروفة، لم تأكل لحم الخراف في موسم ذبحها.

في العلية، حيث كان من المخطط أن يهيمن أطفالها، احتفظت بنولٍ للنسيج، كبير وأخضر اللون. حين تعمل عليه تغيب تمامًا عن العالم.

اشتعل حماسٌ كبيرٌ بشأن مَن يفوز بمساهمة راكيل في مسابقة اليانصيب التي تقيمها الكنيسة كل عام وتوجِّه دخلها إلى إرسالية البحارة. كانت الجائزة عدة أمتار من السجاد المنسوج في قطعة واحدة بألوان متناسقة وليست عشوائية من قصاصات مبعثرة كما تفعل النساء الأخريات حين ينسجن السجاد. لا، كانت قطعة فنية في

الألـوان والتصميـم. خطـوط واضحـة وأشـكال متطابقـة تكـرر نفسـها بعـد كثـير مـن خيـوط النسـيج.

قبـل وصـول الكهربـاء إلى الجزيـرة، كان في العليـة اثنـان مـن مولـدات الكهربـاء يعمـلان معًـا في الشـتاء بهسـيس منتظـم. في وسـع مـن يسـلكون الطريـق المختـصر بـين أوفارجورديـن وفاعريـه عـبر المزرعـة سـماع صـوت راكيـل المـرح وهـي تنسـج بالأعـلى.

يختفـى الصـوت أحيانًـا لكـن يبقـي الضـوء المشـع مـن النوافـذ الكبـيرة، هـذا يعنـي أن راكيـل واقفـة ترتـب العلـب والخيـوط بجـوار بعضهـا، وتختـار الألـوان وسـمك الخيـط بعنايـة. إذا احتاجـت إلى لـون أو سُـمكٍ معـين، تجـري مـن مزرعـة إلى أخـرى، وتحـاول تسـوُّل الخيـوط أو التبديـل مـمًّا لديهـا، أو تحـضر الوعـاء الكبـير مـن القبـو وتبـدأ صباغـة الخيـوط بنفسـها بشراسـة.

صرخـت في أوتَّـار المسـكين في الـدكان عـدة مـرات لأنـه لم يوفِّـر الألـوان التـي تحتـاج إليهـا، تضايـق أحيانًـا لكنـه لم يقـل شـيئًا إلى أن تصبـح راكيـل وحقيبتهـا خـارج الـدكان، قـد يقـول:

- أعتقد أن زوجة سايمون متطلبة للغاية.

لكن إذا حدث وسمعه أحد الزبائن أصلح ما فعله، وقال:

- لكنهـا متواضعـة. في أحيـان كثـيراً تكـون ودودة وتسـاعد النـاس، لكـن إذا غضبـت تـرد بلسـان لاذع. في الوقـت نفسـه هـذا ليـس مناسـبًا بالنسـبة إلى شـخص حصـل عـلى كل شيء بسـهولة، مثـل راكيـل. إنهـا حتـى ليسـت مـن عائلـة طيبـة. لكـن مـر عـلى ذلـك وقـت طويـل. لـن أتحـدث عـن الألمـان مـرة أخـرى. إنجريـه المسـكينة.. عـلى أي حـال حـدث ذلـك منـذ وقـت طويـل. وراكيـل أيضًـا تدفـع نقـدًا! لكنهـا توبِّـخ الصياديـن هنـاك في مركـز الصيـد الـذي يملكـه سـايمون. توبخهـم لأنهـم لا يمسـحون أقدامهـم عنـد

دخـول المكتـب. أطلقـت عليهـم وصـف الأوسـاخ، وسـألتهم مـا إذا كانـوا مولوديـن في مسـتنقع! هـل يمكنـك تصديـق ذلـك؟ هـذا ليـس صوابًـا. وسـايمون، يقـف هنـاك مبتسـمًا فحسـب، ويقـول لهـم إن عليهـم تنفيـذ مـا تقولـه راكيـل لأنهـا مديـرة النظافـة هنـا! أنـا مختـص بالسـمك فقـط، هكـذا يقـول. تخيـل؟

بـدأ الثلـج يتسـاقط بكـثرة حـول البيـوت، وصـار الضـوء المشـع مـن النوافـذ أزرق اللـون ووحيـدًا عـلى سـطح الثلـج بمجـرد انتهـاء النهـار.

بـدأت الـبرودة تتمكّـن مـن توسـينيامّه أيضًـا. اجتاحـت الأروقـة، وهبّـت عليـك مـن ثقـب مقعـد الحـمام الخارجـي. نـسي الجميـع كيـف اشـتاقوا إلى هـذه الـبرودة حـين كان الضبـاب أثقـل مـا يكـون في أواخـر الخريـف. رفضوهـا الآن، بعدمـا عـادت. تجمعـوا متلاصقـين وارتجفـوا وذهبـوا إلى الأقبيـة كي يحـضروا مزيـدًا مـن الفحـم.

قبل فترة الكريسماس وظّفت راكيل تورا لمساعدتها في الخَبز.

دهنـت تـورا الصـواني بالزبـد بوجـه متـورد وسـعيد. فاحـت في المطبخ الرائحـة الشـهية لفطائـر السـكر التـي وُضعـت عـلى النضـد كي يـبرد. صُنـع هـذا لصبيحـة يـوم الكريسـماس. اعتـادت راكيـل عمـل مأدبـة كبـيرة للأصدقـاء والأقـارب. يـأتي النـاس ويذهبـون طـوال اليـوم، حسـب أوقـات عملهـم ومهـام عنايتهـم بالأطفـال. بالطبـع كان أكـثر مـن يأتـون مـن الأصدقـاء، لأن العائلـة لم تكـن تضـم سـوى تـورا وإنجريـه فقـط، هـو لم يذهـب إلى هنـاك قَـطُّ.

اعتقـدت تـورا أنـه يخـشى الخالـة راكيـل، ولم يحـب سـايمون لأن لديـه ذراعـين سـليمتين يعمـل بهـما. لكنهـا لم تكـن متأكـدة مـن ذلـك.

تأكـدت تـورا مـن دهـان الصـواني جيـدًا. وضعـت ورق الزبـدة بإحـكامٍ في الصينيـة قبـل وضعهـا عـلى الطاولـة.

- كنت أفكر في دعوة ياني من الدكان هذا الكريسماس. إنها تسكن هناك في توسينيامّه وليس لديها من تحادثه. ليس معنى أنها أنجبت طفلًا ابن حرام أنها إنسانة سيئة.

احمرَّ وجه تورا.. ابن حرام!

- أرى أنها معتنية بنفسها، ولا تحصل على مساعدة من أي جهة.

- كيف ذلك؟

شعرت تورا أن صوتها يعود مرة أخرى.

- إنها تجني مالًا بنفسها من الدكان.

- كيف ذلك؟ كيف أنجبت ابن الحرام ذاك؟

ضحكت راكيل، وألقت على تورا نظرة سريعة.

- بالتأكيد بفعل الحب، مثل أي طفل آخر. لكن الأب لم يرِد أن يتزوج ياني.

سألت تورا بجرأة:

- لماذا لم يرِد أن يتزوجها؟

- أنت تكثرين من الأسئلة. أعتقد أنه كان متزوجًا بالفعل. يقولون إنه ليس من هذه الأنحاء. يقولون إنه جاء مع عروض السينما المتجولة. وقد يكون هذا صحيحًا. أنا آخر من يسمع هذه الحكايات. لا أحد يأتي ليخبرني بهذه الأمور. ربما يفهمون أن..

توقفت راكيل فجأة عن الكلام، وبدأت في إعادة ترتيب الصواني التي دهنتها تورا.

طار الدفء والشعور بالارتياح في باكيورده فجأة عبر النافذة، هكذا اعتقدت تورا. لاحقتها الكلمات والعار إلى داخل مطبخ الخالة راكيل.

العار!

العـار الـذي أعطـى الأطفـال الحـق في أن يصيحـوا بهـا في الطريـق قائلـين: "شـعر تـورا نـار، شـعرها أحمـر قـانٍ.. نامـت أمهـا مـع رجـلٍ ألمـاني".

كانـت كلمـة **ألمـاني** أسـوأ كلمـة في الوجـود، أسـوأ حتـى مـن أن تكـون مـن مسـاكن معسـكرات نورسـون، وأسـوأ مـن أن تكـون مـن أن تكـون "سـكّيراً" في موسـم الصيـد، أسـوأ مـن أن تكـون ابـن حـرام مثـل طفـل يـانّي في الـدكان.

كانت الصقيع نفسه.

كانت تورا الألمانية الوحيدة على الجزيرة.

ذات يـوم غضـب منهـا أولَـه كثـيراً لأنـه لم تعـره ممحاتهـا الجديـدة. حينهـا كان لديهـم حصـة إمـلاء. قـال لهـا:

- يا ابنة الألماني البخيلة!

حينهـا شـعروا بخطـوات جُـن بـين مكاتـب التلاميـذ، واختفـى الصـوت بـين أولَـه وتـورا.

لم تقـل جُـنْ شـيئًا، ولم تنظـر حتـى إلى تـورا، لكنهـا قرصـت أذن أولَـه إلى درجـة الاحمـرار، وانتصـب شـعر مؤخـرة عنقـه وقتًـا طويـلًا.

رغـم غرابـة الموقـف، اكتشـفت تـورا في هـذه اللحظـة مـدى سـوء أن تكـون ابنـة الألمـاني، لأنهـا لم تـر جُـنْ غاضبـة بهـذا الشـكل قَـطُّ، كان ذلـك كافيًـا لجعـل أحشـائك تتقلـص.

ظـل أولَـه يكتـب لنهايـة الحصـة مـن دون أن يرفـع رأسـه، ومـن دون أن يمحـو أي كلمـة خاطئـة.

نظرت راكيل إلى الفتاة الواقفة بجوار طاولة الخبز.

ثم قالت بلطفٍ:

- أنت لم تتضايقي.. لأنني استخدمت الكلمة؟

شعرت تورا بضغط الدموع في عينيها. كان ذلك بسبب الحنان في صوت الخالة.

خرجت الكلمات منها بدلًا من الدموع، كأن بابًا كان مغلقًا عليها، منتظرة أن يُفتح شق صغير في الباب كي تخرج:

- من كان أبي؟

لم يكن صوتها على طبيعته، بدا منهكًا ومتقطع الأنفاس.

تجمدت راكيل عن الحركة كأن أحدًا ضغط زرًّا لإطفائها. ولم يُسمع حتى النفس الخفيف الذي كان يخرج من زاوية فمها عندما تستغرق في عمل شيء تحبه.

- ماذا... ماذا تقصدين؟

كأن الكلمات خرجت منها فقط لكسب الوقت.

- أقصد أبي الحقيقي، من هو؟

شعرت تورا أنها ألقت نفسها في البحر المفتوح، أهم شيء الآن أن تظل طافية. لم يكن هناك وقت للعودة. مسحت راكيل يديها بعناية على مئزرها الأبيض وجلست ببطء على أقرب مقعد.

- ألم تخبرك أمك أي شيء عن أبيكِ؟

تبادلت أعينهما نظرة شك، كل منهما غير متأكدة من الأخرى.

- لا.. لدى ماما كثير... كثير مما يشغلها. ليس لديها وقت!

خرجت الكلمات الأخيرة بسرعة شديدة كأنها قطعة خشب طافية وجدتها تورا لتتعلق بها.

حتى إذا كان هذا الحوار خيانة لأمها كان لا بد لها أن تعرف. عليها أن تتحلى بالقوة للمعرفة، ما دامت كل كلمات السباب تُلقى عليها في أي وقت، ولا يمكنها فعل أي شيء حيال ذلك.

جلست راكيل وعيناها مثبتتان على تورا طوال الوقت كأنها تجبر نفسها على عدم الإشاحة ببصرها. وقالت:

- أخرجي الكعك من الفرن يا تورا! وتعالَي اجلسي. سيكون هذا أكثر من مجرد يوم للخَبز.

فعلت تورا ما قالته راكيل، لكنها شعرت أن ذراعيها مقيدتان إلى جسدها بمطاطٍ رخو. أن قدميها تتشبثان بالسجاد المتناثر كلما خطت خطوة.

قالت راكيل بتردد:

- كان أبوك رجلًا عاديًّا، أسود الشعر، أزرق العينين، عريض الكتفين. رجلًا وسيمًا. أحب أمك وأحبته، لم يكن جنديًّا عاديًّا.

توقفت راكيل عن الحديث، ونقلت بصرها إلى الموقد، ثم قالت منفجرة بسرعة وحسم:

- لكنه أُرسل إلى هنا كي يغزونا، وهكذا **كان** عدوًّا! لا يهم حسن أخلاقه أو شكله أو كيف أصبح أبوكِ! في ذلك الوقت كان عدوًّا! حتى لو أحب أمكِ و.. لم يمر على جدك يوم سعيد بعدها. أصيب بالسل ومات كما تعلمين. وفي الربيع انتهت الحرب. كانت جدتك تبكي، واضطرب كل شيء بعد أن عُرف أنكِ قادمة في الطريق. يجب أن تفهمي يا تورا! كان وقتًا عصيبًا من نواحٍ مختلفة. سادت الكراهية. اضطر الناس إلى تعلم الكراهية والنجاة. وفيما بعد، حين حل السلام بحثوا عن كبش فداء لتفريغ هذه الكراهية. أدخلت أمك نفسها

في هـذه الظـروف، وحتـى الآن لا أعـرف إذا كانـت قـد أخرجـت نفسـها منهـا حقًّـا.

كانت كلمات راكيل الأخيرة مسموعة بالكاد.

حل الصمت في مطبخ راكيل لبعض الوقت.

سألت تورا همسًا:

- لكن من كان؟ أين.. أين هو الآن يا خالة راكيل؟

- انتظري لحظة.

سعلت بخفة، وقالت:

- كان مـن المفـترض أن يذهـب مـع أمـك إلى أوسـلو لأن لديـه أصدقـاء حيـث مـن الممكـن أن تعيـش هنـاك حتـى تولَـدي. لأن هنـا لم يكـن مكانًـا مناسـبًا بالنسـبة إليـكِ. اعتقـدا أن الحـرب سـتنتهي كـما اعتقـد الجميـع. وحينهـا سـيذهبان إلى برلـين حيـث لديـه أسرة وبيـت.

- ثم؟

- لم يتمكَّنا من ذلك، في تروندهايم تخلَّصوا من أبيكِ يا تورا.

- تخلَّصوا منه؟ من فعل ذلك؟

- لم نعـرف ذلـك قَـطُّ. لم يكـن مـن المهـم معرفـة مثـل هـذه الأمـور بعـد الحـرب، لم نعـرف كيـف تـم التخلـص مـن الأعـداء. المهـم بالنسـبة إلينـا أنهـم اختفـوا! لكـن مـن الممكـن أن أحـدًا مـن قومـه هـو مـن فعـل ذلـك.

- من قومه؟

- نعـم، لأنـه لم يكـن مـن المسـموح لـه أن يفعـل مـا فعلـه، لأنـه غـادر فحسـب كي يوصـل أمـكِ لأصدقائـه. وهـذا لم يكـن أمـرًا

مسموحًا به لرجل ألماني يرتدي الزي العسكري. وصل لأمكِ خطاب أسفل باب المكان الذي تقيم فيه، مليء بالكلمات البذيئة، يخبرها أنه ميت.

- ميت!

كأن تورا استوعبت الأمر للتوِّ.

- نعم يا تورا. واضطرت أمكِ إلى عبور نصف النرويج كي تعود مرة أخرى إلى بيتها. كانت تسير على قدميها أغلب الوقت، لأن النقود كانت معه، وأنتِ كنتِ في بطنها، ولا أعتقد أن الشمس كانت تظهر كثيراً في ذلك الوقت.

- لكن هل هو ميت يا خالة راكيل؟ هل **ما زال** ميتًا؟

نظرت راكيل إلى الفتاة بحيرة، ثم نهضت ودارت حول الطاولة كي تصل إلى تورا.

- حبيبتي تورا ... حبيبتي تورا! تعلمين كم نحبكِ، جدكِ المسكين مات، لكنكِ تتذكرين جدتكِ. كانت طيبة، أليس كذلك يا تورا؟ لم تسمح لأي شخص أن يؤذيكِ.

حاولت راكيل الابتسام. لكنها شعرت بعجزها عن توصيل كلماتها إلى تورا.

- لم يكن جدكِ شريرًا. أمكِ إنجريه هي التي أرادت الرحيل من هنا. تأذَّت من كلام الناس. في كثير من الأوقات كنت أفكر ما الذي سيحدث لو كان أبوكِ الحقيقي أحد أبناء فيلار، مثل سايمون.. لو كان نرويجيًّا.

لم تسمع تورا أي شيء. فقط رأت فم راكيل يتحرك بسرعة. أسرع وأسرع، شعرت أنها ستختنق وهي تنظر إليه.

لـذا كان ذلـك شـيئًا حلمـت بـه في عليـة المخـزن التـي تجلـس بهـا. اختلقـت قصـة وحلمـت بهـا، حتـى أنهـا منحتـه اسـمًا ووجهًـا وكل شيء.

بابا.

لكن لم يكن هناك بابا، لم يوجد قَطُّ. مات قبل أن تولد!

هـذا يعنـي أنهـا لا تملـك أي شيء. هـل كُتـب عليهـا ذلـك؟ التـوى فمهـا وشـعرت برغبـة في البـكاء، لكـن الدمـوع لم تـأتِ. ثـم نهضـت مـن عـلى المقعـد حيـث كانـت راكيـل واقفـة وقـد أحاطتهـا بذراعيهـا، وعـبرت الغرفة بسرعـة نحـو البـاب. لم تتذكـر أن سـترتها معلقـة في الردهـة. خرجـت إلى الثلـج وأغلقـت البـاب خلفهـا.

شـعرت أن هنـاك فجـوة كبـيرة داخلهـا. لم يعـد هنـاك فائـدة مـن الصعـود إلى عليـة المخـزن واختـلاق القصـص.

مات!

بالنسـبة إلى تـورا كان مـا حـدث هـذه المـرة أسـوأ مـن الخطـر. لأن ذلـك كان أمـرًا رائعًـا وضـاع.. إلى الأبـد. مـن الممكـن أن تجـبر نفسـك عـلى نسـيان كل شيء فظيـع. يمكنـك الهـرب منـه، يمكنـك العـدو عـبر حقـول القـس بسرعـة الريـح والـصراخ بمـرح في الهـواء مثـل شـخص مجنـون. أن تلعـب الكـرة وتقذفهـا بأقـصى قوتـك إلى درجـة أن ينـوح الطفـل الـذي تصيبـه، حتـى لـو لم يصـل طولـك إلى كتفـه. كان في إمكانهـا أن تجلـس دافئـة عـلى قماشـها الصـوفي في عليـة المخـزن تصاحبهـا كل أنـواع الخطـر في العـالم، وتتطلـع إلى السـماء الرماديـة إلى أن يختفـي كل شيء، إلى أن يصبـح كل شيء غائمًـا وغـير مهـم. لكنهـا لم تسـتطع التأقلـم مـع هـذا. كانـت هـذه سـعادتها، الـشيء الوحيـد الـذي اهتمـت أن يكـون لديهـا، مـات وضـاع إلى الأبـد.

شعرت تورا برغبة مؤلمة وثقيلة لضرب أي شيء. ركل، أو قتل أي شيء. **هم**، الذين فعلوا بها ذلك!

ثم اكتشفت فجأة أنه لا فائدة من لوم بيت الشباب القديم على ما حدث. لقد كانوا البشر! هم من يجب إلقاء اللوم عليهم. هم الذين يجب أن تخشاهم وتهرب منهم.

البشر هم من تسببوا في موت كل شيء.

وجدتها راكيل جاثمة بجوار جدار الحظيرة، كأنها جوال تبنٍ منسي. تساقط الثلج والبرَد بقوة، لسع وجهيهما وأيديهما كالسياط، التصق بشعريهما.. وبعد لحظة دفعته هبة ثلج أخرى جديدة.

كان الطقس سيئًا، باردًا، لكن كلتاهما لم تشعر بذلك، لديهما أمور أخرى للتفكير بها.

للمرة الأولى منذ وقتٍ- طويلٍ لم تكن راكيل واثقة من طريقة تعاملها مع الأمور.

لاذت كلتاهما بالصمت، قادت راكيل تورا إلى الداخل، وأدفأتها وألبستها ثيابًا جافة، وأحاطتها بذراعيها طوال الوقت.

كان الطريق إلى توسينيامّه طويلًا للغاية.

قالت راكيل بحزمٍ:

- لم يبق سوانا، ثلاث إناث في هذه العائلة.

وكانت تعرف أنها هي التي يجب أن تبدأ بقول شيء ما.

- لدينا الكثير لنتكلم عنه.

صبّت القهوة التي أعدتها لنفسها، وأخرجت كعكتين من التي خبزتهما إنجريه -للكريسماس- أخرجتهما من العلبة مباشرة. لم تتفوّه

إنجريـه بكلمـة. عرفـت أن شـيئًا مـا ليـس عـلى مـا يـرام بمجـرد أن رأت الفتـاة وراكيـل تدخـلان مـن البـاب.

خـرج هنريـك مبـاشرة بمجـرد حضـور راكيـل كالعـادة. كانـت راكيـل هـي التـي أرقـدت تـورا تحـت اللحـاف، وأعـدت القهـوة وقدمتهـا مـع الكعـك بجـوار سريرهـا.

- لا أعـرف هـل أنـا التـي تحدثـت بمـا لا يجـب اليـوم يـا إنجريـه، أم أنـكِ أنـتِ التـي أخطـأتِ بعـدم إخبـار الفتـاة عـن أبيهـا؟ لكنهـا عرفـت الآن مـن أبوهـا. وأنـا أريـد أن أسـمع بـأذنَي أنـكِ توافقينني في كل مـا قلتُـه، كي لا تقـولي فيـما بعـد إنني كذبـت. لأنـك أنـتِ أمهـا. أنـتِ التـي يجـب أن تخبريهـا أننـا عانينـا بسـبب هـذا الأمـر، وأنهـا لا يجـب أن تشـعر بالعـار طـوال الوقـت بسـبب هويـة أبيهـا، الـذي كان يجـب أن يكـون موجـودًا لـو أن الأمـور سـارت في منحاهـا الصحيـح. وأن الـرب والرجـال والشـيطان مسـؤولون عـن الحـرب والجثـث المتناثـرة في العـالم. لا يجـب علينـا نحـن النسـاء أن نشـعر بالعـار بسـبب ذلـك. لسـنا المتسـببات في ذلـك. نحـن مـن علينـا أن نـرى مـا وراء الأكاذيـب والصمـت وأن ندعـم بعضنـا. هـل تسـمعين يـا إنجريـه؟!

حـين عـاد سـايمون إلى البيـت ليـلًا، مبتـلًا ومرهقًـا، بسـمك الهالَبـوت للكريسـماس، والمركـب والطاقـم سـالمين، كانـت راكيـل لا تـزال تخبـز في المطبـخ، لأن الجلسـة في توسـينيامَّه اسـتغرقت وقتًـا طويـلًا.

بـرز شـعرها الأحمـر مـن كل مـكان خـارج ربـاط الـرأس الـذي تضعـه حـين تخبـز. وجههـا مشـدود وملطـخ بالدقيـق. فمهـا الصغـير مزمـوم وهـي تنظـر إلى زوجهـا في عبـوس.

لاحـظ سـايمون أن الأجـواء في المطبـخ عـلى وشـك الانهيـار، لكنـه تسـلل إليهـا مـن الخلـف عـلى أي حـال، ليخفـف عنهـا بأحـد الأحضـان الصغـيرة

الملطخة بأحشاء السمك التي أحب إغاظتها بها قبل أن يبدل ملابس الصيد.

- اغرب من هنا! أرغب في التقيؤ اليوم كلما رأيت رجلًا. سأظل أخبز كعك الكريسماس حتى أستطيع رؤية الأمور على نحوٍ مختلفٍ.

ضحك سايمون قليلًا لكن غضبها أشعره بعدم الثقة، شيء كبير حدث، كان يعرف راكيل.

خلع ملابسه المبتلة، وملأ وعاء الصلب المجلفن الكبير بالماء، وأدخله إلى غرفة المؤن المخصصة نوعًا ما للاستحمام. لديهما حوض حديث من البورسلين مجهز بالماء الجاري الساخن والبارد، لكن إذا اقتضى الأمر الاستحمام ملآ الوعاء الكبير بالماء وأخذاه إلى هناك. فكر حتى أن يطلب تركيب حوض استحمام في ذلك المكان عند حلول الصيف. لم يمتلك كثير من الناس حوض استحمام مثبتًا في فاعريه، لكن المرء ليس عليه أن يعلن عن الأمر بالطبع.

فرك سايمون نفسه جيدًا، وبالطبع لم يستطع أن يطلب منها أن تفرك ظهره أو تحضر له الملابس. في النهاية حمل الملابس المتسخة إلى الصندوق في الردهة. عندما عاد إلى المطبخ حكى لراكيل عن رحلة الصيد على الرغم من أنها لم تبادله أي كلمة منذ عاد إلى المنزل ولم تنظر إليه. لكنها واصلت الانشغال بما تفعله، وتظاهرت أنها لا تسمعه. ثم ذكر شيئًا عن خطاف الصيد الصدئ الملعون الذي اخترق راحة يده.

التفتت راكيل، وخرجت من الغرفة، وعادت ومعها ضمادة من الشاش ومطهر ولفت الضمادة على يده كأنه ولد صغير.

احترق الكعك إلى درجة أن سايمون والقطة حصلا على صينية كاملة مع القهوة.

وفي أثناء حدوث ذلك انفجرت راكيل. روت له القصة الحزينة وسلوك الفتاة تورا الغريب بجوار جدار الحظيرة.

غفر لها أنها لامته على جميع ما في العالم من حروب وبؤس وأبوة على الرغم من أن هذه الكلمة كانت أكثر ما يتمناه.

حين ذهبا للنوم في النهاية، كانت راكيل مثل مرجة مرتعشة بفعل مطر الربيع الدافئ، أرضٌ وزهور. وتقبَّل سايمون كل شيء. وملأ يده الخشنة والجرحُ في راحتها بجميع روائع الأرض التي منحتها له. مع أنهما كانا في الأسبوع السابق للكريسماس.

كان سايمون رجلًا سعيدًا.

11

كان في توسينيامَّه دائمًا جمهور لكل صوت أو حركة.

لم يعرف أحد كيف سيتطور ذلك الصوت. دائمًا كانت هناك عناصر مفاجئة وعوامل غير آمنة، وفي كثير من الأوقات حملت الأصوات الليلية بواعث سرية ومعاني محجوبة في أصوات المساء والليل. أحيانًا قد تكون مخطئًا تمامًا إذا حاولت تفسير أصواتٍ لا تعنيك.

كان الضحك والبكاء يسيرَين، وكذلك السباب والترانيم المسيحية. كانت أصوات الصنابير والخطوات والهمس وكشط الأرض والجدران الأصعب في فهمها.

بعض السكان لم يكن لديهم الكثير كي يخفوه، كما بدا الأمر. تركوا الأصوات تخرج بحريةٍ في مسقط السلم أو خلال النوافذ. كثرت تلك الأصوات في أثناء النهار.

حين تُطفأ الأنوار في الليالي الطويلة قبل الكريسماس، بدا أن بطانية صوفية أُلقيت فوق الأصوات لكتمها.

ذات ليلـة نحـو السـاعة الحاديـة عـشرة ليـلًا فتـح أحدهـم البـاب الأمامـي بعنـفٍ، وارتقـى السـلم في خطـوات سريعـة وحازمـة. أيًّـا كان هـذا الشـخص فهـو لم يبـذل أدنى جهـد للسـير بهـدوء. انتصـف الأسـبوع في منتصفـه حـين يعمـل كثـير مـن الرجـال في وظائـف إضافيـة أو يتواجـدون في فاعريـه.

كانـت تـورا وإنجريـه وحدهـما في البيـت، إنجريـه تخيـط فسـتانًا جديـدًا لـ تـورا لترتديـه في الكريسـماس، صُنـع مـن ملابـس راكيـل القديمة، لكـن لونـه أخـضر ودافـئ. اعتقـدت تـورا أنـه سـيعجبها رغـم أن القـماش يسـبب الحكـة.

سـاد الهـدوء في شـقة إليسـيف طـوال المسـاء، فتكلمتـا عـن إمكانيـة أن تكـون إليسـيف في أحـد اجتماعاتهـا، وأن سـول جعلـت الأطفـال ينامـون باكـرًا كـما تفعـل دائمًـا حـين تكـون وحدهـا معهـم.

أطلَّـت تـورا برأسـها قليـلًا مـن البـاب رغـم أن إنجريـه طلبـت منهـا العـودة إلى الداخـل عـلى الفـور. تعرَّفـت بسـهولة عـلى طـرف معطـف القابلـة والحـذاء المطاطـي الـذي ارتدتـه دائمًـا فـوق نعليهـا.

إذن إليسـيف عـلى وشـك الـولادة! خـرج هوشـتاين الأب منـذ قليـل لكـن لم يهتـم أحـد لذلـك.

تنهـدت إنجريـه، ونظـرت بقلـقٍ إلى السـقف بينـما عـلا صـوت الأنـين القـادم مـن أعـلى أكـثر وأكـثر. لم تكـن إليسـيف مـن النـوع الـذي يسـتغرق وقتًـا طويـلًا في ولادة طفـل، لديهـا روتـين، المسـكينة، هكـذا فكـرت إنجريه.

غـيَّرت طائفتهـا المسـيحية منـذ ولادة الطفـل الأخـير، انضمَّـت إلى تجمـع العنـصرة الخمسـيني البروتسـتانتي، وقُبلـت في التجمـع بنعمـة الـرب، التـي تُوهَـب فقـط للمُختاريـن. عُمِّـدت في نهـر هيسـتافيكه بمجـدٍ وفرحـة كبـيرة. عـلى الكومـود الخشـبي الـذي ورثتـه عـن قريـب لهـا وضعـت وعـاء زجاجيًّـا أخـضر، واحتفظـت فيـه بـ "بـذور المـنِّ" بعيـدًا عن

متناول أصغر أطفالها اللذين كانا دائمَي التجول في الغرفة. سحبت كل يوم بذرة عليها مرجع إلى مقطع من الكتاب المقدس، وأوقفت أهل بيتها بالترتيب كما وجَّه الكتاب المقدس. كان الأمر شديد السوء إذا اتضح أن الفقرة من العهد القديم. حاولت إليسيف بين حين وآخر أن تشرح للرب أنها تعجز عن القراءة بصوتٍ عالٍ لأطفالها الأبرياء المساكين عن الفجور والرجم وأعمال الشيطان، وشعرت أحيانًا أن الرب ترفَّق بها لأنها كانت تسحب بذرة أخرى تمجيدًا للرب، وتفتح لتقرأ مقطعًا جديدًا بأسرع ما يمكنها.

كثيراً ما سمعت تورا إليسيف وهي تقول إنها تترك كل أمورها بين يدَي الرب. لكن من السهل أن ترى أنه لولا وجود سُول كان الرب سيحمل عبء كل الأعمال التي تؤديها. هناك كثير من الأعمال لتأديتها في بيت إليسيف.

لم تفهم تورا كيف يجرؤ شخص على ترك أمر رهيب مثل الولادة بين يدَي الرب، ثم لا يفكر في الأمر أكثر من ذلك.

يبدو أن إنجريه اعتقدت إن أيدي النساء يجب أن يساعدن في الأمر أيضًا، لأن القابلة حين نزلت مسرعة وطلبت منها المساعدة، ارتدت مئزرًا نظيفًا وصعدت الدرَج على الفور.

من ساعدن إليسيف في تلك الليلة تحاكيْن كيف ظلَّت راقدة تصلي ساعات طويلة مع توالي نوبات المخاض. صلَّت من أجل ولد جميل بصحة جيدة ومنذور لمجد الرب، كي تستطيع أن ترسله مبشرًا للناس الذين لم يهتدوا بعد.

لكن في الساعة السادسة صباحًا مزقت صرخة حيوانية الهواء، واخترقت رؤوس جميع سكان تويسنيامَّه، وفسَّرها كلٌّ منهم بطريقته الخاصة.

لم تعُد إليسيف قادرة على التمسُّك بالسماء أكثر من ذلك، اضطرت إلى إطلاق الشيء الوحيد الذي قد يساعدها: الصرخة البدائية. الصرخة الحقيقية الأولى في تاريخ العالم. اندفع الهواء من شخص يقاسي كربًا رهيبًا، تركه الرب وحيدًا مع ألمه. هذه المعركة غير المكتوبة في أي مكان، لأن قادة الجيوش لا يصرخون أبدًا من أجل حياة جديدة.

وُلدت طفلة ميتة زرقاء اللون معوجَّة الرأس.

تحرك الجميع بهدوء حين عُرف الأمر.

بالنسبة إلى التجمع الخمسيني البروتستانتي، كانت إليسيف في المقام الأول واحدة منهم. تمنوا لها الخير بعد أن خاضت معركتها. دعوا الأطفال السبعة الذين كانوا أحياء، وأعدوا لهم مشروب الكاكاو بالماء، وسألوهم إذا كانوا قد حصلوا على ملابس جديدة.. للكريسماس، فهز المساكين رؤوسهم، وأكلوا وشربوا وارتدوا من فائض الملابس الموجودة في الخزائن أو الصناديق.

ذلك الصباح حين خرج توشتاين بتابوتٍ خشبي صغير وضعه على كتفه، سار الأطفال والنساء الذين تمكَّنوا من الحضور خلفه. كانوا صامتين، لم ينشدوا أي ترنيمة قبل أن يبدأ القس. وقف على كومٍ مرتفعٍ من التراب المتجمد مرتديًا حذاء أسود خفيفًا للغاية، وبدأ ينشد المقاطع الأولى من الترنيمة وحده. بعد ذلك بدأت النساء يشعرن بالحالة ويشاركن في الإنشاد بصوتٍ منخفضٍ، همهمة بدت كأنها تهديد فارغ ضد قوة غاشمة أكثر من كونها مجرد ترنيمة.

12

كانـت إنجريـه تنظـف المطبـخ تنظيفًـا شـاملًا، وتـورا جالسـة في غرفتهـا والبـاب مفتـوح، تجيـب عـن 25 سـؤالًا عـن "شـعوب قـارة آسـيا وحيواناتها وثقافتهـا". دخـل البخـار المتصاعـد مـن المـاء السـاخن مـن البـاب المفتـوح، شـمَّت رائحـة المبيِّـض القويـة مـع رائحـة الصابـون الجميلـة.

كانــت إنجريــه تقــف عــلى مقعــد فــوق طاولــة المطبــخ، بــين يديهــا المفرودتـين وبـين السـقف قطعـة مـن القـماش الرمـادي لتنظيـف سـطحه المصفـر القـذر. وكان الفـرق واضحًـا للغايـة بـين المـكان الـذي غُسـل بالمـاء والصابـون والمـكان الـذي مـا زال يتشـبث بـه دخـان سـتة أشـهر مـن التبـغ والطهـي والتدفئـة بالفحـم.

- كيـف يمكـن أن يخلـف ثلاثـة أشـخاص فقـط كل هـذا الكـم مـن القـذارة!

تنهدت إنجريه وتمطت لتقيم ظهرها.

اهتـزت طاولـة المطبـخ والمقعـد فوقهـا بشـكل مخيـف حـين أخـذت خطـوة إلى الأمـام. ثـم هـدأ كل شيء واسـتطاعت الحفـاظ عـلى توازنهـا وتـوازن الكـرسي. لم يُسـمع سـوى صـوت قطعـة القـماش المبللـة وهـي تمسـح بإيقـاع منتظـم. مـن حـين إلى آخـر عصرتهـا أو اسـتبدلتها، ثـم عـادت إلى مـا غسـلته بمـاء الشـطف. ثـم أصبحـت حركاتهـا أسرع وأخـف، وشـعرت بالراحـة كلـما نظفـت مسـاحة أخـرى.

لم تسـتطع تـورا المُـضي في حـل واجبهـا عـن البـلاد والشـعوب والثقافـة الآسـيوية. في النهايـة ألقـت عـلى أمهـا نظـرة سريعـة، وأخرجـت الموسـوعة مـن حقيبتهـا. أعارتهـا جُـنْ موسـوعتها الخاصـة. كان الكتـاب يغطـي كل مـا يبـدأ بحـرفَي الألـف والبـاء؛ لذلـك كان مـن المناسـب للغايـة أن تطلـب اسـتعارته اليـوم تحديـدًا.

لكن تورا لم تبحث عن آسيا. وضعت بالفعل علامة على حرف الباء.

كان الكتـاب أمامهـا كأنـه حـيٌّ عـلى نحـو غريـب، لكنـه بعيـد وغـير مألـوف في الوقـت نفسـه.

تتبعـت بسـبابتها الحـروف العريضـة حتـى وجـدت مـا تبحـث عنـه، كان عنوانًـا يضـم تحتـه كلـمات وخرائـط وصـورًا وحروفًـا صغـيرة. برلـين. "العاصمـة السـابقة، تقـع في ولايـة براندُنـبِرج، عـلى نهـرَي هافـل وسـبريا" هكـذا قـرأت تـورا.

كانـت الخريطـة نقشًـا مـن ثلاثـة ظـلالٍ رماديـة مـع الكثير من الأسـماء الأجنبيـة. وضعـت سـبابتها عـلى منطقـة في ضواحـي المدينـة: شونهاوسـين-واسـتقرت هنـاك بـكل مخيلتهـا. هنـاك كان بيـت جدتهـا لأبيهـا، هنـاك مثـل نقطـة خفيـة عـلى الـورق، بـين زقـاق فرانكفورتـر جرفسـفالدير ستراسّـه. ابتسـمت تـورا.

نطقت الأسماء الأجنبية بفمها لكنها لم تُصدر أي صوت.

ثم انزلقت إصبعها على سطور النص. قرأت عن مبانٍ وشوارع. بحثت عن الشوارع في الخريطة، ثم أغمضت عينيها، وفكرت في شيء آخر، فتحتهما بعد برهة، وحاولت أن تعثر على الاسم على الخريطة بسرعة، وتستظهر لنفسها المكتوب في النص.

جاءتها جدتها قبل ذلك بيوم وهي جالسة في علية المخزن تقرض قلم رصاص. كان ذلك في أثناء تفكيرها في الليلة التي عرفت فيها بموت أبيها. عرفت أنه كان من برلين، وأنه تكلم عن أخيه وأمه. هذا كل ما عرفته إنجريه عن أهله، ولم تعرف عنوانه، أخبرها لكنها لم تتذكر.

اقترحت راكيل البحث عن أقاربه. عرفت أن آخرين فعلوا ذلك. قالت راكيل إن الوقت قد حان لفعل ذلك بعد عشر سنوات من السلام.

لكن إنجريه هزَّت رأسها، وحدقت إلى يديها.

- إنهم يعيشون حياتهم، وأنا أعيش حياتي.

خرجت الكلمات قاسية مفعمة بالمرارة واليأس.

وأضافت:

- هنريك، الذي أعيش معه هنا، بالتأكيد لن يعجبه ذلك..

- نعم يا إنجريه، لكن ليس غريبًا أن ترغب الفتاة بمعرفة أهلها من جهة أبيها! الناس الذين تنتمي إليهم! أرى أن علينا مساعدتها في أن تعرف.

- لا!

قالتها إنجريه صارخة.

اعتدلت راكيل في جلستها، وأغلقت فمها.

- أتمنى ألَّا تندمي ذات يوم.

جلسـت تـورا تحـت اللحـاف وهـي تنظـر إلى المرآتـين. لم يكـن في وسـعها فعـل شيء حيال كونهـا تشـعر بـسرور لرؤيـة خالتهـا تتكلـم أكـثر مـن رؤيـة أمهـا تتكلـم.

إذا نظـرت إلى أمهـا؛ شـعرت بكتلـة في معدتهـا تتحـرك حتـى تصـل إلى حلقهـا، نـوع مـن الشـفقة.

جعلها ذلك تشعر بالارتباك وعدم الأمان.

وهـذا مـا جعـل تـورا تشـعر دائمًـا بعـدم الأمـان، لأنهـا لم تسـتطع تجـاوز أمهـا. لكـن إذا وجـدت قليـلًا مـن الأمـان في طريقهـا التقطتـه بيديـن حريصتـين؛ أنهـا تعـرف أن ذلـك سـيدوم فقـط سـاعة أو اثنتـين.

وهـي راقـدة عـلى السريـر هـذه المـرة شـعرت كأن راكيـل أغرقتهـا في البحـر. في الوقـت نفسـه هـي التـي انتشـلتها ووضعتهـا عـلى قـارب في أمـان، لأن راكيـل كانـت الوحيـدة التـي تتكلـم معهـا.

وكانت الجدة على قيد الحياة!

جاءتهـا، كبـيرة مثـل الحيـاة، بـين عـوارض السـقف وتكلَّمـت مـع تـورا، كانـت حزينـة عـلى ابنهـا، لم تنسـه قَـطُّ. كانـت سترسـل لتـورا تذكـرة سـفر إلى برلـين بمجـرد انتهـاء المدرسـة، لأنهـا رأت أنَّ مـن الأفضـل أن ترتـاد تـورا المدرسـة في النرويـج حيـث تعـرف اللغـة. اتفقـت تـورا مـع ذلـك. أيضًـا كي تنتقـل لا بـد مـن اتخـاذ إجـراءاتٍ كثـيرة، كان وقـت وجـود جدتهـا أفضـل وقـتٍ قضتـه في عليـة المخـزن.

حـين عـادت إلى البيـت في الظـلام، عرفـت بالضبـط مـا كانـت تعنيـه إليسـيف بسـلام الـروح.

لم يخطر على بالها إدخال الرب في الأمر.

سـاعدت تـورا أمهـا في تنظيـف الجـدران، شـطفت وجفَّفـت حسـب توجيهـات أمهـا المقتضبـة، وأنهـت واجبهـا عـن بـلاد آسـيا وشـعوبها، حتـى لـو لم يكـن عـلى الوجـه المطلـوب.

قالت إن الخالة راكيل ستعطيها بعض قطع الجبن في الكريسماس، التفتت أمها إلى الجهة الأخرى، قاربت على الانتهاء الآن.

سال العرق على جبهتها.

أكملت تورا: قالت لي إنني سآخذها كأجرٍ لمساعدتي لها في الخبز.

فات الأوان، أدركت تورا أنها أتت على ذكر **تلك** الليلة.

لم تقُل إنجريه أيَّ شيء عن والد تورا منذ ذلك الحين، بدا أنها أغلقت الموضوع، ولم تعرف تورا كيف تسأل مرة أخرى، كانت خائفة من فتح الجرح ونزف الدم.

لكن لم يستطع أحدٌ منْع تورا من قول: فيلهالم، بينها وبين نفسها. خبَّأت الاسم قريبًا جدًّا منها، كأنه طير نورس صغير جريح لا يجب أن يعرف أحدٌ عنه شيئًا، لأنهم إذا عرفوا سيقتلونه.

في النهاية جلست إنجريه وتورا إلى نضد المطبخ تشربان الشاي، صامتتَين وراضيتَين بأيدٍ متورمة محمرَّة وأعين متعبة. تسرَّب البخار المتصاعد من الغرفة المنظفة للتوِّ من النافذة التي فُتح منها شقٌّ صغيرٌ، طافيًا إلى الخارج في الليل البارد، ومتجمعًا تحت الأفاريز في بقع صغيرة أنيقة متموجة. أصدر المبنى صريرًا رقيقًا حزينًا، حين هبَّت رياح باردة وصار الوقت متأخرًا.

انطفأ النور في شقة تِلوَ أخرى في مبنى توسينيامَّه. رفعت تورا وجهها الصغير الحاد بأنفها الكبير وعيناها إلى عينَي إنجريه. لقد أنجزا الكثير. فاحت رائحة النظافة، لذلك كان أمام تورا كعكة على صحن له حافة ذهبية لأنها استحقتها. يكفي لهذه الليلة، لأن الطريق إلى برلين كان طويلًا جدًّا.

13

بـدا أن إليسـيف لم تفهـم مـا حـدث مـع المولـودة، رفضـت تمامًـا أن تفـرغ ثدييهـا المتفجريـن بالحليـب. وتناوبـت إنجريـه والنسـاء الأخريـات في توسـينيامَّه زيارتهـا لإعادتهـا إلى رشـدها. حتـى القابلـة حاولـت أن تفـرغ الحليـب بالعنـف، لكـن إليسـيف أنَّـت وقاومـت وتشـبَّثت بالخرقـة كريهـة الرائحـة التـي وضعتهـا تحـت ثـوب نومهـا كي لا يمكـن تحريكهـا مـن مكانهـا، قالـت نائحـةً إن هدايـا الـرب لا يجـب إهدارهـا، لكـن هـذه الكلـمات لم يكـن لهـا أي معنـى لأن الهدايـا كانـت تتدفـق بغـزارة، أمـا الأطفـال الذيـن كان عليهـم مواصلـة العيـش، فلـم يحصلـوا عـلى شيء.

ورفضـت الاغتسـال أيضًـا، لم ترغـب حتـى في النهـوض مـن السريـر، وكانـت القابلـة تحـاول إظهـار غضبهـا وتـصرخ وتقـول إنهـا سـتعاني مـن التهابـاتٍ عديـدة في جزئِهـا الأسـفل بأكملـه إذا لم تنهـض وتنظـف نفسـها جيـدًا، لكـن إليسـيف قالـت إن الـرب يعطـي ويأخـذ، ومبـارك اسـمه إلى الأبـد!

في الوقت نفسه ساءت رائحة بطانيتها الصوفية أكثر فأكثر وتشعَّث شعرها حول وجهها القذر. لكن جسدها من الداخل كان ينظف نفسه بين كل الآلام التي يعانيها. نزفت بلا عائق. في البداية صار غطاء السرير أحمر، انتشر اللون في الملاءة الرمادية بأكملها، ثم تحوَّل اللون إلى البني الداكن أكثر فأكثر. لكنَّ المساحة القريبة من جسدها كانت دائمًا ينبوعًا من الدم الأحمر الطازج. كما لو أن جسدها اليائس حاول إبقاء القنوات مفتوحة. مجَّدت إليسيف الرب طوال الوقت، حتى في خضم قُرحها الجلدية، لم تذرف دمعة واحدة، وأصرَّت على أنها ليست في حاجة إلى تناول الطعام.

بعد نحو أسبوع اقتحمت القابلة فجأة مطبخ إنجريه كعاصفة من الغضب.

لقد التهبت القُطب التي خاطت بها إليسيف، رأت ذلك حين اضطرَّت إلى إمساك إليسيف بعنفٍ كي تستطيع فكها.

اضطرت إنجريه ويوحنا والقابلة إلى استخدام العنف لأنه لم يعُد هناك طريقة أخرى.

فعلت القابلة ما توجَّب عليها، واضطررن إلى حرق حشية السرير هناك على الشاطئ.

لكن حين انتهى الأمر بَكَيْن جميعًا ما عدا إليسيف، لأنهن لم يشهدن ولادة كتلك قبل ذلك.

تجوَّل توشتاين في الأنحاء تائهًا ككلبٍ مضروبٍ، ومع الوقت لم يعُد يتحمَّل دخول الغرفة التي تنام بها زوجته.

كانت سول هي التي تدخل بالطعام والشراب، وتهدئ أمها قليلًا، وتتحايل عليها لتأكل ما يكفي كي لا تضعف، كي لا تموت. وكلما فتحت

شقًّا صغيراً في الباب داهمتها رائحة مثيرة للغثيان من الدم القديم والجديد، ممزوجة برائحة بول نتن وحليب متخثر.

ليلة الكريسماس جلست تورا وسول معًا في الحمام الخارجي.

دقَّت أجراس الكنيسة معلنة الكريسماس وهما جالستان هناك. بكت سول قليلًا، لكن من دون ما يكفي من الطاقة للانتحاب. جلست تورا على الثقب المجاور، ولم تقل شيئًا. كان كثيراً عليها أن ترى سول تبكي.

حين انتهيتا تمخطت سول في قطعة من ورق الصحف، ولم تهتم حتى بتطريتها بين أصابعها قبل التمخط فيها.

في أثناء سيرهما في الفناء في الجو المثلج، لمست تورا ذراع سول الباردة، وحين وقفتا في الشرفة الأمامية وهما تنفضان الثلج عنهما قالت تورا بحزم:

- تعالَي مع يورجن حين ينام الصغار، سأوقد شمعة للملاك في غرفتي.

للحظة أشرقت سول ثم انطفأت مرة أخرى، هزَّت رأسها وارتقت السلم بسرعة. حين وصلت إلى أعلى التفتتْ، وتطلعت بنظرة يائسة إلى وجه تورا الشاحب. أنار الضوء المتوهج من السقف كلَّ تفصيلة في وجه تورا، لكنه ترك وجه سول في الأعلى هناك وحده في الظلال المعتمة.

وصل الكلام بشأن إليسيف إلى القس.

في ظهيرة الخميس سُمعت لهجة جنوبية مترفقة في المبنى. تعرَّفت تورا عليه من لهجته، وكذلك سول، لا بد أن آينار عرف صوته أيضًا لذا صفق بابه بقوة أكبر من اللازم.

مرَّت على إليسيف ثلاثة أسابيع وهي راقدة، ونُزعت أوراق التقويم حتى شهر يناير. في الماضي حين كانت إليسيف ما زالت شابة دنيوية ولدت بنتًا سمتها ببساطة: سول، "شمس".

لكن لم يكن هناك كثير من ضوء الشمس في حياة الفتاة ذات الأربعة عشر عامًا، ساد الظلام في الخارج والعتمة الحالكة بالمنزل.

ألقى القس التحية، وأرسل يورجن لاستدعاء توشتاين. جاء توشتاين ووقف في المطبخ وقد غمره الخزي، صامتًا وممسكًا قبعته بين يديه، عندما رأى زائره المهم في البيت. حتى إنه لم يعرف كيف يدعو القس إلى الجلوس. أدار قبعته مثل العجلة الآن، وقف هناك بكل ما لديه ليقوله للقس، لأنه معهم الآن في خضم بؤسهم. لكن كما لو أن الكلمات لم تعرف طريقها للخروج، أيضًا لم يكن متأكدًا كيف سيفهم شخص ذكي ومثقف مثل القس الأمر.

- كل هذا من تزمُّتها وتحوُّلها عن طائفتها، صدقني أيها القس، هذا سبب كل ذلك الجنون.

وبهذا قال ما يريده، لكن النتيجة كانت ما خشيه: لم يفهم القس قصده.

قال القس بشرود:

- زوجتك امرأة طيبة ومسيحية ورِعة، وليس لديَّ شكٌّ في هذا الأمر.

لم يطل البقاء في غرفة المريضة، ترك الأمر للنساء، غرف المرضى من اختصاص النساء. بالطبع تكلم قدر ما استطاع عن التعزية الروحية لكن المرأة لم تتجاوب كثيرًا. أنشدت الترانيم طوال الوقت، وأربك هذا القس بالطبع.

في النهاية اصطحب توشتاين إلى الخارج، وأغلق الباب خلفه. أراد أن يتكلم مع توشتاين وحده، قال القس:

- لا بد من إبعاد الأطفال عن المكان.

قال توشتاين هامسًا:

- إلى أين يمكنهم الذهاب؟

لم يعـرف القـس لكنــه سـيجد حـلًّا، كان هـذا مـن اختصـاص مركـز حمايـة الطفـل، وهـو بوصفـه قسًّـا، يمكنـه فقـط أن يذهـب إلى زيـارات منزليـة، وأن يؤكـد أنهـم يحتاجـون إلى المسـاعدة لرعايـة الأطفـال، وأن الأطفـال لا بـد أن يظلـوا في منـزل بديـل لفـترة.

بعـد ذلـك عـاد إلى الداخـل، وتكلـم مـع الأطفـال بلطـفٍ، وربـت عـلى رأس سـول وسـألها متـى سـتأتي لتثبيـت معموديتهـا.

عـلى جميـع بسـطات الـدرج فُتحـت شـقوق واسـعة في مداخـل الأبواب وترصـدت أعـين وآذان في كل زاويـة. لم تمـضِ نصـف سـاعة حتـى عُـرف مـا دار بـين توشـتاين والقـس في مبنـى توسـينيامَّه بأكملـه. عـاد توشـتاين مـرة أخـرى لعملـه في إصـلاح شِـباك الصيـد وقـد غمـرت الكآبـة وجهـه تحـت لحيتـه الخفيفـة.

أنهت تورا وسول غسيل الأطباق.

وضعتـا دلـوًا كبـيرًا عـلى مقعـدٍ مسـتندٍ إلى حـوض الغسـيل المجلفـن. كوَّمـت سـول الأطبـاق السـاخنة بحـركات بطيئـة وهادئـة.

جفَّفـت تـورا الأطبـاق بمنشـفة مهترئـة للغايـة، لـذا أصبحـت مبتلَّـة منـذ فـترة طويلـة، لكنهـا حاولـت أن تكـون غـير مرئيـة، ولم تسـأل عـن منشـفة جافـة. شيء مـا أنبأهـا أنـه بالتأكيـد لا توجـد كُومـة مناشـف نظيفـة في درج المطبـخ مثـل تلـك التـي لـدى أمهـا.

اختفـت تعبـيرات وجـه سـول. يحـدث ذلـك دائمًـا إذا انشـغلت بكثـيرٍ مـما تفكـر بـه. تكوَّنـت خطـوط عميقـة أسـفل غرتهـا التـي شُـذِّبت حتـى خـط الشـعر تقريبًـا. كانـت يداهـا كبيرتـين عـلى نحـوٍ غـير طبيعـي وكان هـذا مفيـدًا.

استغرقت سول وقتًا طويلًا لغسيل الملابس. كانت الأكبر، وكانت بنتًا، وأيضًا طيبة، هذه لعنتها في سدوم، أرض الآثام، أنها غير قادرة على قول لا، غير قادرة على التمرد.

كلَّفت تورا أحد الأطفال الصغار بكنس الأرض. فعل ذلك بطريقته الخاصة لكن لم يوبِّخه أحدٌ على ذلك، قطعت تورا لحم الضأن المملَّح إلى قطعٍ صغيرة على النضد، وبدَّلت سول ملابس أصغر طفل.

لم ينبس أحدٌ بكلمة.

توقَّفت الترانيم في غرفة المعيشة، لذا فربما نامت.

دخل يورجن وتور خجِليْن وصامتيْن لأن جميع سكان توسينيامَّه عرفوا بزيارة القس لبيتهم. في النهاية تركت سول الأطفال الصغار يلعبون بصندوق الأعواد الخشبية المخصَّصة لإشعال النار. وجلس الخمسة الأكبر سنًّا إلى طاولة المطبخ يتشاركون الخزي على لوحة لعب مرسومة باليد. أحضروا أزرارًا وأعوادَ كبريت مكسورة ولعبوا معًا. ربحت سول وتورا دائمًا وأغاظ هذا يورجن، أضفى هذا بعض اللون على وجهه الشاحب، وأعطاه شيئًا آخر ليفكر فيه إلى جانب حقيقة أنه سيذهب إلى بيت بديل.

جلست تورا هناك وقد غمرها شعور غريب بالرضا. تكاد تشعر بالسرور، لأنها لم تعد الطفلة الوحيدة المعيبة.

في تلك الليلة، حين ذهبت تورا وسول إلى فاعريه لشراء الحليب، ومع كلٍّ منهما سطل يتأرجح، قالت سول بصوت مفعم بالثقة:

- لن يحدث ذلك!

- ما الذي لن يحدث؟

- لن نذهب إلى أي مكان.

- لا؟

لم تكن تورا متأكدة، ولم تعرف ماذا تقول.

- لن يرغب بنا أحد، نحن كثُر!

قالت تورا:

- أنت على حقٍّ.

تبادلتا النظر ثم بدأت سول بالضحك، ضحكت ضحكًا صادرًا من القلب فاجأ تورا، لكنها ضحكت بدورها، في إمكانها أن تفعل ذلك على الأقل. ثم أرجحتا سطلَي الحليب وركضتا إلى أسفل التل.

لم تصل شاحنة الحليب بعد لأن جرافات الثلج سدَّت الطريق في منطقة سكارات.

وقفتا في الزحام، تجمَّع كثيرٌ من الأطفال والكبار قرب الحائط ليحتموا به، فوق رؤوسهم ثُبِّتت لافتة كبيرة مكتوبة باليد: "منفذ بيع الحليب".

تدافعوا وتزاحموا لأنهم بدؤوا بالارتجاف، لكنهم فعلوا أي شيء لتمضية الوقت، كانوا كثيرين، ستة منهم من بيت توسينيامَّه.

انتظروا وشعروا بالبرد معًا.

أخيراً وصلت الشاحنة، اتَّسم الأطفال من توسينيامَّه بالقدرة على الوقوف في أول الطابور دائمًا عندما يوزَّع الحليب من أعلى الصفائح المنقولة، كي يأخذوا من سطح الحليب، لأن القشدة كانت في الأعلى، عرف الأطفال ذلك من دون أن يخبرهم أحد.

منهم من كان يدفع، ومنهم من كان يسجل في الدفتر الموضوع على رفٍّ خشبي غير مطلي فوق نضد بيع الحليب.

14

كانت سول محقَّة.

من المستحيل أن تجد بيتًا بديلًا لعددٍ كبيرٍ من الأطفال مثل عددهم، خاصة في وقت الشتاء، وفي فترة وجيزة.

أمسك أربع نساء ضخمات الحجم إليسيف بقوة وحمَّمنها، لكنها لم ترغب في النهوض من السرير.

ذات يوم جلست إنجريه بجوارها على السرير، وحاولت أن تكلمها عن الوليدة التي ماتت، حينها التمعت نظرة إليسيف، وشكرت الرب على حكمته في هذا الأمر، إلى درجة أن القشعريرة غمرت جسد إنجريه، كانت سول الوحيدة القادرة على التواصل مع هذه المرأة المسكينة.

في آخر يناير كان المطر غزيرًا، في الربيع أو الخريف ساد كثيرٌ من التدافع والتزاحم فيما يتعلق بالأحذية في الردهة خارج شقة إليسيف،

لكن هذا العام من حُسن حظهم أن الجو كان معتدلًا فأنهى وجود الثلج المتجمد في شهر يناير!

ظلَّت إليسيف غائبة عن الوجود، في بعض الصباحات ساعد توشتاين في توزيع الأحذية لكن النتيجة كانت سيئة. لم يتمكَّن الأطفال الأربعة من الوجود في المدرسة في الوقت نفسه في هذا الطقس السيئ. وحاولت سول أن تعدِل بين الأطفال في التغيُّب عن المدرسة، وساعدت يورجن في الواجبات لأنه كان بطيءَ التعلُّم كي يتمكَّن من الاستفادة من دروس المعلمة جُنْ.

فيما عدا ذلك كان على آخر الناهضين من السرير البقاء بالبيت في خزي، لأن حذاء كبيرًا واحدًا واثنين من الأحذية طويلة الرقبة هي كل ما يملكه الأطفال الأربعة الكبار في هذا البيت. بالنسبة إلى الصغار فقد كانوا محظوظين لأن الأحذية تؤول إليهم من الكبار، وهكذا كان في وسعهم الخروج، لكن الأطفال الكبار لديهم أربعة أزواجٍ من الأقدام الكبيرة وثلاثة أحذية فقط. خرج ثلاثة منهم فقط إلى المزرعة وإلى جُنْ وعلامات تصحيحها الحمراء.

ثم بدأت سول بالبقاء في البيت طوعًا للقيام بالأعمال المنزلية والعناية بالأطفال الثلاثة الصغار وبأمها. كان توشتاين دائمًا في عمله في إصلاح شِباك الصيد، ونادرًا ما كان يُرى في البيت.

لم تعلق جُنْ إطلاقًا على الغياب. لكن ذات يومٍ أحضرت إلى سول فجأة حقيبة مليئة بالكتب والواجبات، كان ذلك أفضل حل ممكن على المدى الطويل.

بقيت عند إليسيف فترة طويلة في الغرفة كريهة الرائحة.

في اليوم التالي أكدت للقس ولمركز حماية الطفل ولكل المسؤولين في فاعريه، أن الأطفال ليسوا هم الذين يحتاجون إلى الإبعاد، إليسيف هي المريضة المحتاجة إلى المساعدة.

وما كانت القابلة تسميه "سحرًا" والقس يسميه "ضعف امرأة طيبة فيما يتعلق بأبنائها" سمَّته جُنْ "انهيارًا"، قالت كل ذلك من دون أن يرمش لها جفن، كتبت خطابات رسمية وتحدثت هاتفيًّا، ونفذت ما أرادته.

وجدوا مكانًا لـ إليسيف في مدينة بوداو، لم يتلفظ أحدٌ باسم المكان بصوتٍ عالٍ.

لكن في دكان أوتَّار قال الناس، وهم يشترون الزبد والقهوة، إن إليسيف قد جُنَّت، وكان لا بد من وضعها في مكان آخر.

وألقوا باللائمة على التبشيريين، الذين يتجوَّلون الآن على الأرجح في أماكن أخرى ليدفعوا النساء إلى الجنون، من العار أن يُسمح لهم بالتجول هكذا.

حين أتوا كان لا بد من إلباس إليسيف ثيابها وأخذها من سريرها بالقوة. بدأت بالصراخ في وجه توشتاين وجُنْ وإنجريه وتهديدهم بعقاب الرب الذي يحل على كل من يلمس أبناءه.

من الواضح أن الممرض من بوداو رأى الكثير من الحالات السيئة لأنه كان هادئًا وثابتًا كجبلٍ، ولم يوجِّه إليها كلمة واحدة، بمجرد وضعها في النقالة انهارت وبدأت في البكاء.

ظلَّت سول مع الأطفال الصغار في المطبخ، لكن حين سمعت بكاء أمها دخلت إلى غرفة المعيشة. ظلَّت واقفة قليلًا كما لو أنها تقاوم نفسها ثم توجَّهت إلى النقالة، وانحنت مقتربة من وجه إليسيف هامسة:

- ماما، ستذهبين إلى مكانٍ أفضل كثيرًا، هناك أشخاصٌ يترنَّمون معكِ ويقرؤون الإنجيل طَوال اليوم، وفي وسعك الصلاة في سلامٍ من دون أن يسخر منكِ أحدٌ يا ماما، وحين تتحسَّن

حالتـكِ سـنأتي ... سـنأتي لاصطحابـك، بالتأكيـد! خـذي بـذور المـنِّ معـكِ يـا مامـا.

أدخلـت كيسًـا ورقيًّـا رماديًّـا كبـيرًا أسـفل بطانيـة إليسـيف، وأمسـكت يدهـا لتودِّعهـا، كان وجههـا مثـل وجـه امـرأة طاعنـة في السـن وهـي واقفـة هنـاك، مـن دون ابتسـامة ولا دمـوع.

أدار الكبـار وجوههـم للحظـة لأنهـم رأَوا وسـمعوا فتـاة في الرابعـة عـشرة مـن عمرهـا، بعينـين تتجـاوزان سـنِّها وباسـم مهـين لهـا: سـول! "شـمس".

15

تكلمت جُنْ ذات يوم عن .. الكراهية. حاولت تورا التعرف على الكراهية في أعماقها.

لكنها لم تجدها .. لم تجدها كما وصفتها جُنْ، حيث من المفترض أن توجد الكراهية شعرت فقط بالخواء، خواء.. مثل التحديق إلى الشمس بعينين ضيقيتين حتى ترتسم دوائر غائمة تومض أمام العينين ويصبح ضوء الشمس أبيض وبلا معنى.

كلمتهم جُنْ عن الحرب.

انكمشت تورا، وبدأت بالتظاهر بالاستغراق في ترتيب علبة أقلامها وقد انحنى رأسها، انتظرت كلمة "الألمان"، أرادت أن ينتهي الأمر فحسب.

قالت جُنْ:

- الحرب النووية! هذا أسوأ ما ارتكبه الإنسان. الذين يتابعون ما يجري في العالم يخشون اندلاع حرب النووية.

ظلَّت تتكلم عن الانفجارات النووية وعواقبها الرهيبة. يتوهج الانفجار النووي بإضاءةٍ أقوى من الشمس بمئات المرات. كان الانفجار النووي في صحراء نيفادا يشبه كرة من النار بارتفاع خمسة عشر ألف متر إلى السماء! وكل ما حوله تأثَّر بالإشعاع النووي!

استرخى جسد تورا الجالسة إلى المكتب القديم الذي تشاركته مع سول، وضعت يديها المتعرقتين في حجرها، وشعرت بارتياحٍ كبيرٍ.

الحرب النووية! هذا أسوأ بكثير من الألمان! قالت جُنْ هذا الآن وسمعها الجميع.

من دون سبب، ومن دون حتى أن تشعر بجوعٍ شديدٍ، تطلعت إلى تناول الطعام في علبة غدائها الزرقاء والحليب في ترمسها. كلما نظرت إلى جُنْ شعرت في أعماقها بدفء وارتياح.

في اليوم نفسه الذي أخبرتها فيه إنجريه أنهم أعادوا توظيفها في المصنع مرة أخرى من أجل مناوبة الليل، قالت جُنْ إن سمك القد وصل إلى منطقة فسترولس بانكين، وإن الصيد كان كثيراً.

حينها فهمت تورا أن أمها ستعمل في مناوبات ليلية طويلة.

حدقت إلى وجه المعلمة حتى رأت رأس جدتها الأرستقراطي يطفو مباشرة فوق ياقة بلوزة جُنْ.

جلست تورا متخشبة مثل تمثال، وحدقت حتى تمكَّنت من تصديق أن اليوم حمل قليلًا من الدفء رغم كل شيء.

قطةٌ لا يملكها أحد.

لا أحد يهتم.

كانت القطة مسربلة بخزيها.

في النهاية سُحبت إلى أعماق حفرة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

16

وقـف الرجـال في دكان أوتّـار يطلقـون السـباب، ويطالبـون بحصـول الصياديـن عـلى الوقـود مـن دون ضريبـة.

كان بعضهـم قـد جنـى بعـض المـال بعـد أن اشـتروا نحـو خمـس عـشرة أو عشريـن شـبكة صيـد مصنوعـة مـن النايلـون عـلى أمـل وصـول كثـير مـن الأسـماك.

في العام الماضي، اصطادوا ثلث كمية الأسماك باستخدام شِباك النايلون.

نظـر آلمـر، وهـو ينفـث دخـان سـيجارته، إلى الأرفـف شـزرًا، وقـال بطريقـة همجيـة:

- عـلى أي حـالٍ لـن يكـون هنـاك كثـير مـن الأسـماك قريبًـا، منـذ سـنوات وكبـار الصياديـن أصحـاب الشـباك الجرّافـة المطوِّقـة يسـتحوذون عـلى الأسـماك الكبـيرة، لم يبـقَ الآن سـوى الأسـماك الصغـيرة. لقـد أخافـوا سـمك القـد في البحـر بأكملـه فلـم يعـد يجـرؤ عـلى الاقـتراب مـن الشـبكة. دائمًـا مـا اعـترض كبـار الصيادين

أولئك الصغار الذين يصطادون بشباك ضعيفة. لقد قسموا أسماك القد في المياه الضحلة فيما بينهم فلم يتبق للصيادين الصغار سوى الفتات.

أخذ آلمر نفسًا آخر من السيجارة، بصوتٍ مسموع ذي معنى.

حاول أوتَّار أن يقول:

- لكنهم جعلوا منطقة هوبستايجان محمية.

- نعم كي يتمكَّن الفقراء، الذين لا يستطيعون جمع المال لشراء مراكب صيد بطول ستين قدمًا مزودةٍ بشِباكٍ جرافةٍ مطوِّقة وأجهزة رصد صدى الصوت، أن يصطادوا كما يحلو لهم راضين كأنهم في حكاية خرافية. أوف! في منطقة بمساحة طابع بريد.

انشغل رجلان من طاقم سايمون بحمل صناديق المؤن، لم يكن لديهما وقتٌ لمناقشة الرجل العجوز من منطقة هيستافيكه وهو يتحدث بهذا الأسلوب.

لكنَّ أحدَ الرجلين لم يستطع تمالك نفسه.

حين عاد مرة أخرى لإحضار صفيحة الزيت التي لم يستطع حملها في المرة الأولى، اندفع من الباب نصف المفتوح وقال:

- في وسع آلمر بالطبع أن ينظم إضرابًا! ما الذي يمنعه! إنه حر! وفي هذه الحالة يمكنه أن يعيش من الدخل الذي يجنيه من المدرسة. إنه ليس في حاجة كي يعمل بكل جهده في الصيد ثم ينزف إذا اختفى السمك.

ترك الرجال الآخرون آلمر وشأنه بعد هذا الانفعال، وعادوا مرة أخرى إلى نضد البيع وإلى أوتَّار، وبدؤوا في الحديث في أمور مختلفة تمامًا.

- سيحتاج داهل إلى عمالٍ أكثر في الأسبوع القادم، لأنه ينتظر مركبًا ستأخذ السمك إلى أمريكا.

هذه أخبار طيبة.

لكن الصيادين الصغار الذين يصطادون بخيوط الصيد يدويًّا عبسوا، على الرغم من أنهم لم يحاولوا المقاومة. لكن ترددت بينهم كلمات مفعمة بالمرارة، ووصلت المناقشات الحادة في فاعريه حتى داخل المطابخ. تدخلت الزوجات أيضًا في الموضوع، حتى الأطفال تفوَّهوا بالبذاءات، ونزفت الأنوف؛ إذ أصبح من الواضح أن هناك جبهتين؛ جبهة تؤيد كبار الصيادين والجبهة الأخرى البقية أجمعين.

تأزَّمت الأمور أحيانًا، حتى في مركز الشباب لا تجرؤ حتى على التحدث عن السمك يوم سبت لأن الأمر يمكن أن ينتهي بمشاجرة.

مع ذلك حصل 783 من كبار الصيادين على رخصة الصيد للموسم. بينما مستخدمو الشبكات العمودية الثابتة والحبال ذات الخطافات الممتدة إلى مسافات طويلة والصنارات يعملون كأنهم خميرة لا تجد عجينًا لكي تخمِّره، وهدَّدوا بأنهم سيمتنعون عن الصيد إذا لم تؤجل السلطات الموعد القانوني للصيد بالشباك الجرافة المطوِّقة.

لم تهدأ أيدي الصيادين من الحركة في جيوبهم؛ فهم يرغبون في الصيد بشدة. لم تكن الظروف مستقرة، مع ذلك اشترى بعضهم جهاز راديو، أيًّا كان مصدر المال لشرائه.

تزايد هبوب الرياح ورتَّب الرب الطيب إجازة من الصيد بسبب الطقس السيئ ووقتًا طويلًا لسماع الراديو، مع أن ذلك لم يكن مراد من يريدون جني الأرباح.

انقسمت الآراء ما إذا كان الرب الطيب أم الرب الشرير هو المسؤول عن أسعار الأسماك. أحدهم ألقى باللوم على كبار المسؤولين

في أوسلو. وصل أحد أنواع سمكة القد إلى 76 أورا، ووصلت كل من سمكة السمور وسمكة الحدوق إلى 61 أورا.

اشتكت النساء من أسعار القهوة التي وصلت 17 كرونة وسبعين أورا، لكن شعرن بالامتنان لأن هذا الطقس السيئ لم يأخذ أحبابهن أو قواربهم، فقد اختفت ستة قوارب في منطقة فينمارك.

يا إلهي! في هذه الحالة لا يجب الشكوى من الأسعار.

كان العمل كثيراً للغاية في مصنع داهل.

لم يكن داهل رجلًا قاسيًا، لكن أحب أن يتم العمل على نحوٍ سليمٍ، وكان هذا أفضل للجميع، خاصة الجالسين للعمل في التعبئة، لأنهم يتقاضون أجرهم بالقطعة وليس بالساعة. جعل داهل المشرف يذكِّر "السيدات" دائمًا بهذا الأمر، ولم يتدخل بنفسه في ذلك.

لم يكن المشرف هوكون هيمالجلوت (الأحول) يستمتع بالمهمة كثيراً، ولم ينجزها بقسوة. كان محبوبًا ومهذبًا، وشجَّع النساء على العمل إذا أبطأن لسببٍ ما، وبالتالي ينخفض أجرهن إلى أقل من 13 كرونة.

أما الرجال فيتقاضون راتبًا ثابتًا 15 كرونة و 50 أورا.

لكن التروس استمرت في الدوران، وهذا هو المهم. والنساء اللاتي استطعن البقاء دافئات في غرفة العمل اعتبرن أنفسهن محظوظات. عرفت فريدا وجراتا وهانسينا وإنجريه ذلك. وقفن في صف لغسل أيديهن في الحوض المتصدع بعد انتهاء العمل، يغسلنها جيدًا بالصابون للتخلص من الرائحة الكريهة وهن يتناولن الشطائر.

استراحة لمدة نصف ساعة كاملة ثمينة!

اتسعت غرفة الاستراحة بالكاد للكراسي الستة المصنوعة من الخيزران والطاولة الكبيرة المربعة. بجوار الباب حوض ومرآة، يرين

فيها ظلًّا رماديًّا لا ملامح له حين يضعن أغطية الرأس البيضاء أو يمشطن شعورهن في نهاية مناوبة العمل.

من ناحية أخرى، سطع الضوء فوق الطاولة على الوجوه الشاحبة العاجزة وحوَّل كل خط إلى ندبة عملية جراحية سيئة الالتئام، وكل بثرة إلى شيء مقزز يُفقد الشهية.

خلعت إنجريه المعطف الواقي، وجلست إلى الطاولة أمام ترمسها، واستمعت بشرودٍ إلى مزاحٍ جريتا الخشن مع فريدا.

مضغ، كلمات قصيرة، إحاطة الأكواب الرمادية بالأيدي لتدفئتها.

في الدقائق الأولى لم تكن هناك طاقة لأي شيء آخر.

العمل لأربع ساعات، تفصلها خمس دقائق للراحة بين كل ساعة، ترك أثرًا على أكتافهن وأعناقهن وضبابًا على أعينهن.

بعد برهة، نطقت فريدا بكلمة أو اثنتين:

- داهل ليس شديد السوء، الأجر الذي يمنحه ليس سيئًا.

انقضى نصف وقت استراحة الطعام. لسعت تيارات الهواء التي تهب من الباب والنوافذ سيقانهن. دار بخاطر إنجريه بازدراء أن ملابس جريتا خفيفة للغاية، وأنها تتباهى كثيراً بقوامها.

دخلت هانسينا الحمام، وهمهمت جريتا شيئًا بخصوص ضرورة إحضار شخص يمكنه العمل أسرع في المناوبة.

أبطأت هانسينا وتيرة العمل، مما خفض أجر الجميع.

تبادلت الاثنتان الأخريان النظرات، واصلتا المضغ، ولم تقولا أي شيء. سُمعت بعض الأصوات من الردهة، دخل بعض الرجال. شعرت إنجريه براحة هائلة. لم تكن مستعدة لتحمل سماع انتقادات جريتا لهانسينا اليوم.

استقرت الأسماك في أكوام لتعبئتها وهذا ما كان مهمًّا بالنسبة إلى إنجريه الليلة. لم يساعد كثيراً أن اليوم السبت وأن الرجال يمكنهم الحصول على عطلة.

عرفت إنجريه أنها لم تكن الوحيدة التي ينتظرها عمل في المنزل.

ذكرت فريدا أنها لم تتمكَّن من غسل الملابس قبل مغادرتها لأن أحد أطفالها تقيَّأ، وكان عليها الاعتناء به. كانت أمها المريضة تعيش معها أيضًا وزوجها في الخارج للصيد.

لدى هانسينا بقرة مصابة بالالتهاب في ضرعها، وهي تعيش في الجهة الأخرى من الخليج، وثُقِب إطار دراجتها القديمة. ستكون ليلة طويلة بالنسبة إليها إذا لم تجد شخصًا يعبر بها الخليج.

- سنجني الكثير هذه المرة.

ثرثرت جريتا مع الرجال، وضعت ساقًا مغطاة بجورب النايلون فوق الأخرى، وأبرزت صدرها. خلعت جوربها الصوفي الطويل دائمًا في أثناء وقت الاستراحة.

تعجبت إنجريه من قدرتها وحماسها.. يا إلهي!

لكنها كانت الوحيدة غير المتزوجة من بينهن، لديها طفل يعيش عند جدته في برايلاند، كانت جريتا حرة مثل عصفور.

طعنت الكلمات إنجريه في صدرها: "حرة مثل عصفور!".

- غدًا سأحصل على عطلة وقت الصباح، أقسم على ذلك! سأشرب القهوة وآكل المخبوزات! على أي حال، كان يجب أن أكون رجلًا!

كانت جريتا في مزاجٍ للكلام اليوم. استنشقت دخان سيجارتها بطاقة عظيمة، وتطلعت إلى أصغر الرجال بنظرة ذات مغزى. سأل:

- ماذا تعنين؟

- أفكر أن من تجهز السمك المخلي، ليست مضطرة أيضًا إلى أن تكون عبدةً ليلة السبت، وتشعر بطعم الدم في فمها ثم تحصل على قروش زهيدة في النهاية.

قالت هانسينا التي جاءت لتوها:

- هل ستعيدين الكلام في هذا الأمر مرة أخرى؟

استندت إلى الحوض لأنه لم يكن هناك كرسي متاح. عرض أحد الرجال عليها أن تجلس على ركبته، لكنها ضحكت ورفضت. قال أحد الرجال الأكبر سنًّا:

- عليكِ أن تحصلي على عضو آخر أعلى من مستوى ركبتك وتكفِّي عن الجلوس هكذا، حينها ربما يعرف داهل أنكِ رجل ويجعلكِ تعملين عمل الرجال.

جمد وجه جريتا للحظة، وارتسمت عليه تعبيرات قبيحة قاسية، ردَّت:

- إذن أنت تعتقد أنه يجب أن يكون لديك خصيتان بين ساقيك لتحصل على راتبٍ جيد!

تناثر اللعاب على زاويتي فمها، وتصاعد الشرر من عينيها. نسيت تمامًا إبراز ساقيها المغطاتين بجورب النايلون. سحقت سيجارتها في المنفضة المصنوعة من الصفيح بعنف إلى درجة أن الرماد تطاير على شطيرة الجبن الخاصة بـ هانسينا. نهض الرجال وخرجوا ضاحكين. جاء من الردهة صوت يقول:

- عليكِ أن تحصلي لنفسك على رجلٍ ثابت، فلن تضطري حينها إلى العمل من أجل العيش وأخذ مكان شخص **يعجبه** كسب المال!

رأت إنجريه بتعجب كيف أوشكت جريتا على البكاء. سمعت نفسها تقول:

- ما قالته جريتا صحيح، نحن النساء نجلس هنا مع السمك في حين يأخذ الرجال يوم عطلة. لا بد أن يكون لدينا خمسة أشخاص من أجل التعبئة.

قالت فريدا:

- نعم، لكننا أربعة فقط.

ردَّت جريتا بغضبٍ:

- هل هذا شيء يجب أن نقبل به؟ أليس لدينا مشرف لنشكو إليه؟

استعدَّت فريدا للمغادرة، أوشكت استراحتهن على الانتهاء.

قالت إنجريه:

- نحن لسنا منظَّمات، ليس لديه أي التزام كي يمثلنا.

قالت جريتا وهي تنخر:

- هذا هراء، أنتن تسمحن لهم بالتنمر عليكن، كأنكن حمقاوات.

قالت فريدا بسخرية:

- وأنت لا تفعلين ذلك؟

حل الصمت في الغرفة.

- إذا توقفتِ عن تدخين السجائر كي لا نضطر إلى أكل شطائرنا برمادها وإذا كففتِ عن الكلام حينها ستكون الأمور أفضل كثيراً في المصنع!

التفتت جريتا إليها بسرعة، علا الانكسار وجهها لكنها لم تقل شيئًا.

نظرت هانسينا إلى الأخريات برجاء:

- أعتقد أننا متعبات، من الأفضل أن نلزم الهدوء الآن. علينا أن نحمل العبء معًا، لا يهم كم نحتد على بعضنا، لا يجب أن يصل الأمر إلى استغلال وقت الاستراحة والطعام كي تنهش إحدانا الأخرى.

كانت جريتا آخر من خرج من مكان الاستراحة. صاحت من خلفهن:

- لا يُطرد الرجال إذا لم يكن هناك سمك لتعبئته.

صاحت فريدا ردًّا عليها:

- الرجال هم المعيلون.

صاحت جريتا:

- وأنا كذلك.

وكانت لها الكلمة الأخيرة.

ثم انتقمت من السيجارة، لكنها كانت قد أطفأتها بالفعل. طحنتها وسحقتها وجعدتها في منفضة السجائر المصنوعة من الصفيح.

حين خرجت إنجريه إلى الردهة أدركت أن غرفة الاستراحة أكثر دفئًا مما اعتقدت. هبَّ تيار الهواء من كل اتجاه، باردًا كالثلج ورطبًا.

أغضبها هذا على نحوٍ لم تجد له تفسيرًا. وقفت هناك منتظرة جريتا في عناد. شعرت بالبؤس والقنوط. لكن في أعماقها كانت تتسلق على لوحٍ من السخط، جريتا التي تسببت في ذلك.

بررت جريتا حين لحقت بـ إنجريه:

- أريد فقط نصيبًا من الحياة أنا أيضًا، هل تفهمين يا إنجريه؟

- نعـم أفهمـكِ، والأخريـات يفهمنـكِ أيضًـا، فقـط ليـس لديهـن القـوة.

تابعت إنجريه بهدوء:

- أنا أيضًا أعول أسرتي.

صُدمـت جريتـا، لأن هـذه الاعترافـات لا تحـدث كل يـوم. ربتـت عـلى ظهـر إنجريـه بمـودة، وقالـت:

- كنـت أتمنـى أن نتقابـل خـارج هـذه الجـدران يـا إنجريـه، أعتقـد أننـا متشـابهتان.

ابتسمت إنجريه.

- ربما..

تكمل جريتا:

- أريـد حيـاة، وأريـد قليـلًا مـن الرفاهيـة. كنـت أخطـط لـشراء معطـفٍ مـن الفـراء، نعـم حقًّـا. سأسـير في فاعريـه في هـذا الطقس السـيئ مرتديـة فـراء اشـتريته لنفـسي! سـيرَوْن! هـؤلاء الحـشرات. رأيـت الإعـلان في الصحيفـة: "معاطـف مـن الفـراء الأسـود والبنـي بـ 400 كرونـة، وجـودة أعـلى بـ 850 كرونـة"، لكـن أعتقـد أننـي سـأضطر إلى شراء النـوع الأرخـص.

أشرق وجهها، وتركت عيناها إنجريه، وانجرفتا في نظرة حالمة.

رسـت السـفينة تورسـتاين يـارل عـلى المرفـأ مـن أجـل التحميـل. رأتهـا إنجريـه هنـاك مـن خـلال آخـر نافـذة وهـما تسرعـان في الردهـة الضيقـة. إذن يجـب أن يلغـي **بعـض** الرجـال عـلى الأقـل خططهـم لليلـة السـبت.

17

امتلك آلمر من هيستافيكه قاربًا بمحرك يبلغ طوله سبعة أمتار.

كان لديـه منـذ سـنوات طويلـة، واعتقـد أنـه هديـة مـن يـد الـرب السـخية.

لم يكـن القـارب في حالـة رائعـة تمامًـا طـوال الوقـت، لكـن المحـرك كان جيدًا.

اصطـاد آلمـر بنفسـه أحيانًـا، فلـم يكـن في وسـعه أن يعيـش دائمًـا عـلى عملـه كحـارسٍ في المزرعـة.

لا يجـب أن تـأكل وحسـب مـن الدخـل الـذي يأتيـك مـن البلديـة، هكـذا رأى آلمـر، كان يجـب ادخـار مـا تحصـل عليـه مـن أجل الكريسـماس هـذا العـام كي يتوفـر لديـك مـا تأكلـه في العـالم التـالي.

كان آلمر شاكرًا على أي حال، واستمر في ممارسة الصيد.

في الوقـت نفسـه كان وجـود القـارب مفيـدًا إذا أراد أحـدٌ التوجُّـه إلى جزيـرة سـتوراويه أو إلى الـبر الرئيـسي إذا لم تكـن المواصـلات العامـة متاحـة. يحـدث في كثير مـن الأحيـان أن تكـون ولادة إحداهـن متعـسِّرة، فمثـلًا يـأتي الطفـل بقدميـه أولًا، وبالتـالي لم تسـتطع القابلـة العجـوز تـولي الأمـر، حينهـا يتدخَّـل آلمـر للمسـاعدة عـلى الفـور، لأنـه يقـول لا يمكـن انتظـار المواصـلات العامـة، ويشـغل القـارب للمسـاعدة.

فكـر منـذ فـترة طويلـة في شراء قـارب جديـد أفضـل حـالًا لكنـه لم يملـك المـال، فظـل الأمـر فقـط فكـرة في ذهنـه. لكـن المخجـل أن مقصـورة القـارب كانـت مـن دون بـاب، وهكـذا كانـت المـرأة في حالـة المخـاض ترقـد وقدماهـا ظاهرتـان في الـبرد مـن فتحـة بـاب المقصـورة الضيقـة.

في الأسـفل فاحـت رائحـة وقـود الديـزل والقهـوة المغليـة والشـحم والموقـد، عـلى جانبَـي الطاولـة شـبه المنحرفـة في مقدمـة القـارب مقعـدان طويـلان ضيقـان مطليـان باللـون البنـي، وفوقهـا مفـرش مخـدوش وممزق، يمكـن بالـكاد تبـين نقـوش أزهـار زينتـه فيـما مـضى، تقـشَّرت الطبقـة العلويـة مـن المفـرش وانتـشرت بـه البقـع البنيـة.

عُلِّقـت منشـفة المطبـخ المنقوشـة بالمربعـات الحمـراء، دائمًـا فـوق الموقـد، اكتسـب لونهـا مشـقة الحيـاة، وأصبحـت جـزءًا مـن موجـودات القـارب.

لم يقل أحدٌ أي شيء عنها ما عدا راكيل.

- أعطيتـك منشـفة جديـدة في الكريسـماس يـا آلمـر، مـاذا فعلـت بهـا؟

قال آلمر:

- صحيح، لكنها كانت جميلة للغاية، فوضعتها في درج في البيت.

- حسنًا، لكنني كتبت على علبة الهدايا أن هذه المنشفة للقارب.

- هاها، نعم هذا ما كُتب ولكن..

- لـن أشرب قهـوة عـلى هـذا القـارب إذا كنـت لا أسـتطيع غسـل فنجـاني وتجفيفـه، بمنشـفة نظيفـة! هـل تفهـم هـذا؟

- لا يهمني هذا!

- لكنك لم تغضب لقولي هذا يا آلمر!

- همممم!

- لقد أغضبك ذلك، أنا أراك، لا تكن سخيفًا!

- هه!

حاولـت راكيـل إصـلاح الأمـور مـرة أخـرى، وعـدت بمنشـفة للـدرج ومنشـفة للقـارب، حتـى إنهـا سـتخيط حرفًـا مـن اسـمه عليهـا.

لكن آلمر أدار المحرك بحركة غاضبة، واتجه بسرعة إلى فوجين.

عندما وصلوا إلى العمق قليلًا التفتَ إلى المقصورة، وصاح:

- هل وضعت الإبريق يا إنجريه؟

لم ينظر إلى حيث جلست راكيل، نظرت إليه راكيل باستفزاز.

- لديك بحر صاخب لتعبره.

تظاهـر آلمـر بعـدم سـماعها، وظـل ممسـكًا بالدفـة بتوتـر. لم تعُـد تـورا مسـتمتعة، لأنهـا تعـرف أنـه ليـس مـن الجيـد اسـتفزاز آلمـر.

لم ترغب أن يفسد أحدٌ هذه الرحلة.

كانـت راكيـل متجهـة إلى برايلانـد لعـلاج أسـنانها، ولم ترغـب في الذهـاب وحدهـا. لم يكـن لـدى إنجريـه عمـل لباقـي الأسـبوع ودفعـت راكيـل نفقـات الرحلـة، وتكلمـت مـع جُـنْ كي تحصـل لـ تـورا عـلى إجـازة مـن المدرسـة.

ارتـدت الخالـة راكيـل معطفهـا الضخـم المنقـوش بالمربعـات.. فكـرت تـورا أن شـكلها جميـل، ثـم نظـرت إلى معطـف أمهـا قديـم الطـراز الـذي أعيـد ضبطـه ليلائمهـا، وسـبق كيُّـه وتنظيـف البقـع في حافـة ذيلـه الليلـة السـابقة. لكـن تـورا اعتقـدت أن البقـع مـا زالـت هنـاك بطريقـةٍ مـا، كـما لـو أن جميـع مـن سـيقابلونهم في برايلانـد اليـوم سـيفكرون: ألم يكـن هنـا بقـع، في هـذا المـكان؟

ارتـدت راكيـل جوربًـا مطاطيًّـا عصريًّـا فـوق حذائهـا، وكان يُسـمَّى بولاريـر، أخـضر اللـون. لكـن أمهـا ارتـدت حـذاء ذا رقبـة، عريضًـا وقصـيرًا ومبطنًـا بقـماش صـوفي. كان الحـذاء نفسـه الـذي تسـتخدمه في المصنـع، واعتقـدت تـورا أن رائحتـه نفـاذة للغايـة.

هـل شـعرت بالخجـل؟ مـن أمهـا؟ لا! لكنهـا شـعرت بالضعـف في أعماقهـا حـين رأت الفـرق بـين خالتهـا وأمهـا.

ارتـدت تـورا فـوق فسـتانها سـترة ضُبطـت لتلائمهـا، حصلـت عليهـا في الكريسـماس. خيـط جوربهـا الصـوفي الأزرق الطويـل بطريقـة غبيـة مـن الداخـل، كان يتـدلى في ثنيـات مثـل الأكورديـون أسـفل سـاقيها، عـلى الرغـم مـن أنهـا رفعتـه إلى مـا تحـت إبطيهـا. لم يكـن الأمـر مهـمًّا لأنـه لا أحـد يمكـن أن تقـارن نفسـها بـه عـلى قـارب آلمـر.

لكنها تمنَّـت أن ترتـدي أمهـا ملابـس جميلـة. تمنَّـت أن يكـون لديهـا أمٌّ مثـل.. الخالـة راكيـل.

بـدا أن هنـاك بريقًـا يحيـط بالخالـة راكيـل، ليـس فقـط بسـبب ملابسـها لكـن لأنهـا مفعمـة بالحيويـة طـوال الوقـت، سـواء كانـت غاضبـة أم سـعيدة. كـما لـو أن موجـات الطاقـة تشـع حولهـا عـلى الـدوام. كانـت جميـع الأعـين تتجـه إليهـا بمجـرد دخولهـا إلى غرفـة مـا، رأت تـورا هـذا الأمـر أكـثر مـن مـرة.

كان هـذا غـير عـادل! عـلى الرغـم أنهـا تمنَّـت الأفضـل لخالتهـا. فقـط لـو أن أمهـا كانـت سـعيدة قليـلًا.

هـل يعقـل أن يكـون الأمـر بهـذه البسـاطة؟ هـل تجعـل السـعادة النـاس عـلى هـذا القـدر مـن الجـمال؟

وصلـوا أخـيراً إلى مـا بـين الجـزر، وثبَّـت آلمـر الدفـة وهبـط درجتـين إلى أسـفل ليـشرب القهـوة معهـن،

اهتز القارب بعنفٍ.

كانـت الرائحـة قويـة، وفنجـان القهـوة كبـيراً وعميقًـا، لكنـه ممتلـئ إلى منتصفـه فقـط، ومـع ذلـك تناثـرت القهـوة عـلى المفـرش.

أمسـك آلمـر قطعـة سـكر بـين إصبعـين خشـنتين، لا يمكـن أن تعـودا للـون الجلـد مـرة أخـرى. لقـد عمـل طـوال حياتـه في التشـحيم وإشـعال النـار، وتأثـر جلـده وروحـه بهـذا العمـل.

كان شـكل قطعـة السـكر الأبيـض الثلجـي غريبًـا بـين أسـنانه الصفـراء. لكنهـا سرعـان مـا اكتسـبت لـون الرجـل نفسـه، لأنـه امتـص القهـوة خلالهـا بفمـه مثـل قمـع جشـع.

ظلـت تـورا جالسـة تحـدق حتـى وكزتهـا إنجريـه بمرفقهـا. حصلـت المرأتـان أيضًـا عـلى حصتيهـما مـن القهـوة المُـرَّة. وضـع آلمـر ملعقـة صدئـة في علبـة الحليـب المجفـف، وسـكب في فنجـان تـورا كثـيراً مـن هـذا المسـحوق الأبيـض الغريـب. قـال وهـو يمـزح بفـم نصـف مفتـوح:

- هذا للسيدات الصغيرات فقط.

بعـد ذلـك اختفـى مـرة أخـرى عائـدًا إلى مـكان الدفـة وانشـغل بعملـه. وتمكَّنـت السـيدتان الآن مـن الـكلام مـن دون قلـق وقـد غطـى صـوت المحـرك عـلى صوتيهـما.

استندت تـورا إلى المقعـد الخشـبي القـاسي بيديها المسـطحتين وأصابعها متجهـة إلى الخـارج. هكـذا احتفظـت بتوازنهـا في القـارب المتمـوج. بـدا أن الإيقـاع يمتـد إلى وركيهـا ويديهـا ويثبتهـا بأمـان في مكانهـا. وصلـت قدماهـا إلى الأرض هـذا العـام، العـام المـاضي حـين ذهبـت مـع أمهـا إلى فاستَبيجْدا تذكـرت أنهـا ظلَّـت تمـد أصابـع قدميهـا لتصـل إلى أسـفل.

جعلهـا اندفـاع المـاء عـبر مقدمـة القـارب والتلاطـم المنتظـم تشـعر بالنعـاس. مـا زال الوقـت مبكـرًا للغايـة، لم تبلـغ السادسـة بعـد. الحافلـة هـي التـي تحـدد موعـد بـدء السـفر. وآلمـر دائمًـا يقلـع في الوقـت المناسـب. كان بطيئًـا ودقيقًـا لكنـه يمنـح نفسـه مـا يكفـي الوقـت، كان يفضِّـل البقـاء نصـف سـاعة في المـاء لانتظـار الحافلـة عـن تدمـير المحـرك بالقيـادة السريعـة.

هكذا كان القارب يُعَد مكانًا للانتظار ووسيلة للمواصلات.

لم يكـن هنـاك مـكان في منطقـة جرونفـول للاحتـماء بـه في انتظـار الحافلـة للانتقـال إلى المـكان المنشـود.

كان آلمـر قـد اسـتيقظ منـذ وقـتٍ طويـلٍ بالفعـل لإشـعال مدافـئ المدرسـة، بحلـول الوقـت الـذي نـزل فيـه إلى القـارب.

وافقـت جُـنْ عـلى الاسـتيقاظ مبكـرًا قليـلًا، وتولَّـت مهمـة إبقـاء المدافـئ مشـتعلة طـوال الصبـاح. كانـت أفضـل مـن المعلـم القديـم بشـأن أمـور كهـذه. لقـد كان معلـولًا وضعيفًـا طـوال عمـره إلى درجـة أنـه لا يمكـن أن يُطلـب منـه المسـاعدة في أي شيء ليـس لـه علاقـة بالقـراءة والكتابـة. كان يمـر فقـط بـين الصفـوف ويتمخـط في منديلـه النظيـف، كـما قـال آلمـر.

الآن تولَّـت امرأتـان الأمـر بعـده. تكاثـر النـاس وأصبحـوا في حاجـة إلى أكـثر مـن معلـم واحـد.

كانـت إحـدى المعلمتـين نسـخة مـن المعلـم القديـم، ولم تكـثر مـن الـكلام. ثـم حصلـوا عـلى الفتـاة الجميلـة مـن الجنـوب، التـي كانـت مبتسـمة عـلى الـدوام. صغـيرة الحجـم وممتلئـة وغريبـة، وتضحـك عـلى الـدوام! حتـى إنهـا تُسـمع وهـي تضحـك في الفصـل مـع الأطفـال!

كانـت تمـشي أحيانًـا بقميـص النـوم في الردهـة البـاردة وهـو قـادم لإشـعال المدافـئ.

لكنها تصيح:

- صباح الخير!

كأنها ترتدي التنورة والكنزة بالكامل.

كانت طبيعية بصورة مباركة.

أحبها آلمر من أعماق قلبه، واحتفظ بهذا الشعور كي لا يأخذه منه أحد.

أحـضر لهـا السـمك البلطـي وسـمك القـد حسـب المتوفـر في الموسـم، ومـرة طلبـت منـه الدخـول كي يعلِّمهـا سـلق السـمك بطريقـة أهـل الشَّـمال. لم ينـسَ آلمـر تلـك اللحظـة قَـطُّ. ظلَّـت كأنهـا صـورة ملونـة داخـل جلـد رأسـه الخشـن، حتـى امتـدت إلى دورتـه الدمويـة، وفي جميـع أنحـاء جسـده القـوي المتـين.

ولم يثرثـر بشـأن الأمـر كثـيرًا، إلَّا لذكـره عـلى نحـوٍ عـارض للمعـارف، لكنـه تجنَّـب أن يجعـل منـه شـيئًا مميـزًا، تمامًـا مثلـما يتجنـب الصيـاد الماهـر ذِكـر غابـة طائـر الطيهـوج الجيـدة بالاسـم.

كانت جُنْ بالنسبة إلى آلمر مثل يوم الأحد في الصيف، كان يحتاج إليها.

شـعر أنـه بعيـد كل البعـد عـن الشـيخوخة، أكمـل السـابعة والأربعـين مـن عمـره في أكتوبـر، في وسـعه الوقـوف في قاربـه وتأمـل أفـكارة الخاصـة.

بدا الأمر مثل امتطاء حصان.

تابعت تورا تموجات المركب بكامل جسدها، مالت بشدة إلى الخلف على الجانب المنحدر من مقدمة القارب، وثبتت نعل حذائها بقوة على دعامة الطاولة.

وصلوا إلى مدخل الفيورد. اندفع المحيط على ألسنة اليابس المسطحة. لا يقف في طريقه شيء بعد الآن؛ شعرت تورا بشيء من الغثيان في معدتها.

كان الجو دافئًا على نحوٍ خانقٍ في المقصورة. هدر موقد المركب بقوة، بين الحلقات الحديدية الصدئة، تمكّنت من رؤية وميض من اللهب، حين تغذت النار من الأنبوب القادم من خزان الزيت.

كانت الخالة راكيل هادئة تمامًا، وجهها شاحب مثلما كان وجه إنجريه على الدوام.

نظرت تورا إلى خالتها وتساءلت فيما إذا كانت تشعر بالغثيان. بدا الأمر غريبًا، لكنها لم تعتقد قَطُّ أن لخالتها أي نقاط ضعف؛ كانت هي التي تحسن صنع كل شيء. حالتها المزاجية رائعة وسريعة الرد، تمكّنت دائمًا من إصلاح أي موقف، وقلب الأسود إلى أبيض، وكانت هذه المرة الأولى لتواجدها مع خالتها على قارب في بحرٍ هائجٍ.

ذهبت راكيل هنا وهناك، في رحلات لشراء الأغراض، وزيارة المعارف والأقرباء.

كأن راكيل لديها أقارب أكثر من إنجريه وتورا رغم انتمائهن إلى العائلة نفسها.

نادرًا ما ذهبت إنجريه وتورا إلى أي مكان.

في الصيف، استعارت تورا أحيانًا زورق تجديف من المرفأ ومارست التجديف بين الجزر.

جدفت وجدفت، حتى آلمتها يداها، وأقبل البحر الكبير عليها مثل كائن الـ تْرُولْ الأسطوري، يتدافع نحو الزورق بحواف متحركة بطيئة حادة، حتى إذا كان الطقس هادئًا، مخيفًا ورائعًا في الوقت نفسه.

شعرت بسعادة غامرة وهي وحدها. إذا جاءت الأمواج بسرعة نحوها ولم تجرؤ على التجديف أكثر إلى أبعد من ذلك وحدها، ولم تجرؤ في الوقت نفسه على أن تستدير بالزورق كي تعود.

لم تعرف أمها شيئًا عن هذه الرحلات، لأنها لم تكن أمرًا مهمًّا لتزعجها به.

نعم كانت راكيل متعبة بالفعل، أسندت رأسها إلى الجدار، وابتلعت ريقها عدة مرات، همهمت وهي تحاول الابتسام:

- لم يكن يجب أن أشرب تلك القهوة.

قالت إنجريه:

- هل أنتِ متعبة؟

شعرت إنجريه بالقلق، حمل صوتها النبرة ذاتها إذا كان شيء في البيت على غير ما يرام. بدأت تورا ترتجف داخليًّا حين أدركت أن أمها جلبت نبرة صوتها معها في الرحلة.

قالت راكيل ببؤس:

- نعم، أنت تعرفين طبيعتي.

- لقد نسيت.

تعجبت إنجريه من نفسها لقول ذلك، وتابعت:

- لم نخرج معًا منذ وقتٍ طويلٍ.

أومأت راكيل فحسب، لم يكن لديها طاقة لأي شيء آخر، بدا من غير الطبيعي رؤية الخالة راكيل على هذا النحو.

جلست إنجريه ووجهها شاحبٌ كالعادة، ظهرها منتصبٌ، وقد أحاطت حقيبتها البالية بيديها. بدت هادئة وشبه مسرورة، رغم كل القلق الذي غلَّف نبرة صوتها. إنجريه لا تسافر كثيراً، لكن حين أرادت راكيل صحبةً للسفر معها ودفعت نفقات الرحلة بأكملها لم يستطع هنريك قول أي شيء.

كانت عينا إنجريه غائمة قليلًا لكن على نحوٍ مختلفٍ عن عينَي راكيل، شعرت إنجريه بالأمان وقليلٍ من التعب. كانت في قارب آلمر، وعلى غير توقُّع، تركت الحياة تمور داخلها.

تناوشت المشاعر تورا وهي تراقب أمها، فاضت تلك المشاعر ونسيت خالتها لوهلة، وظلَّت جالسة فقط تراقب وجه أمها خلسة.

فجأة نهضت راكيل وهي تترنَّح، وارتقت الدرجات الثلاث إلى سطح القارب. دفعت آلمر من طريقها تقريبًا، ولم تكد تبعد رأسها عن فتحة الباب حتى أفرغت كل ما داخلها. تقيَّأت بشدة وأصدرت أصواتًا مريعة، بدت أنها آتية من عالم آخر، من راكيل أخرى.

قفزت إنجريه وأسرعت خلفها، وتبعتها تورا. حين أصبحت أمها على سطح القارب سندت راكيل، أمسكتها بقوة بينها وبين سور القارب المنخفض. انثنت راكيل على نفسها ببؤسٍ، لا يصدر عنها الآن سوى أصوات قسرية من الحلق، أصبحت فارغة من الداخل، وحاولت تهدئة معدتها.

أجلستها إنجريه على غطاء الكوة. سحبت غطاء من المشمع وأحاطت به أختها كي تحميها من الرذاذ الأسوأ، ثم ربطت وشاحها حول قبعة راكيل ولم تلاحظ أن شعرها قد انفك وتشوش حول وجهها.

- كفى كفى، انتهى أسوأ ما في الأمر. اجلسي هنا واستريحي في الهواء النقي. ستتحسَّن الحال ما دمتِ قد أخرجتِ كل ما في بطنك. كفى كفى.

جلست تورا بجوارها، وأمسكت خالتها من الجهة الأخرى. وظلت ثلاثتهن جالسات تحت القماش المشمع والبحر يرش رذاذه على سطح القارب الصغير. اندفع تحت سور القارب من جهة وتدفق من الجهة الأخرى. من وقت إلى آخر كان على آلمر إيقاف المحرك وانتظار مرور الأمواج العالية. سمعت تورا الموجة قادمة وشعرت بالقلق من أجل راكيل. جلست إنجريه هناك وقد أسندت ظهرها في أمان. شعرت تورا بقوة أمها العنيدة من خلال جسد خالتها.

فكرت تورا أنها تتمنى أن يبقين جالسات هناك فوق غطاء الكوة في قارب صيد صغير لبقية حياتهن، حتى في طقسٍ عاصف كهذا.

غطست مقدمة القارب في البحر كأنها تبحث عن شيء بالأسفل، كأنها فقدت شيئًا أو نسيته في يوم ما، ثم خرجت مرة أخرى مثل مخلوق بحري فضولي. تلقَّت ضربات من عناصر ليست مستعدة لها. تحركت إلى الجانب أولًا، ثم جهة اليسار، ثم جهة اليمين. حاولت دائمًا أن تتجه إلى الناحية التي تحميها من العاصفة.

لكن آلمر كان أيضًا مصدر قوة على القارب. كان يراقب الهبَّات المفاجئة بدقة ويتوقعها، ويحاول التحرك بالقارب بمهارة وسط البحر الهائج، كنَّ جميعًا بين يديه وتحت رعايته. يحرك الدفة ببطء حتى تمر الموجة ويبقى منتظرًا، وكان هذا كافيًا، هذا كل ما يحتاج إليه.

قذفت بهم موجة إلى أعلى لكن ظل الأمر على ما يرام. اقتحم زبد البحر سطح القارب، وأصاب حذاء خالتها المطاطي، وتناثر الرذاذ على سيقانهن وترك بقعًا على ركبهن حيث تطاير قماش المشمع جانبًا. سالت بسببه الدموع وتخشَّبت الوجوه، كأنك ذروت ملحًا في عينيك.

تخـدَّرت يـدا تـورا في قفازهـا الجديـد الرقيـق. لم يكـن هـذا القفـاز مناسـبًا لهـذا الطقـس، كان لمجـرد المظهـر، لكنهـا شـعرت بالسـعادة والـدفء داخلـه عـلى أي حـال.

تولَّـت مامـا كل شيء، كانـت امـرأة مختلفـة عـن تلـك التـي في البيـت؛ لقـد اعتنـت هنـا حتـى بالخالـة راكيـل! رأتهـا تـورا ملكـة، كأنهـا وُلـدت مـن جديـد في هـذه العاصفـة وشـعرها الغزيـر يقاتـل في معركـة مـع الريـاح.

نعم، تمامًا، لقد وُلدت من جديد!

لم يكـن للأمـر أي علاقـة بالكنيسـة، الأمـر متعلـق بـأن يكـون المرء قويًّـا وصلبًـا، ويتعامـل مـع جميـع الأمـور من دون تسـوُّل المسـاعدة.

تكونـت قطـرة مـاء ثقيلـة تحـت ذقـن أمهـا. لاحظـت تـورا أنهـا تجاهلتهـا وظلَّـت تتطلـع بهـدوء إلى البُعـد في تلـك العاصفـة، ارتعـدت تـورا لكنهـا شـعرت بـدفء غامـر.

- صار البحـر هائجًـا، لكـن سـتصلن إلى الحافلـة في الوقـت المناسـب، لا تقلقـن! ولا يجـب أن تبقـين هنـا في هـذا الطقـس العاصـف، ادخلـن إلى المقصـورة حتـى إذا أردتـن التقيـؤ. مـن الآمـن أكـثر للسـيدات والأطفـال البقـاء بالداخـل في طقـس كهـذا.

أدخـل آلمـر رأسـه في بـاب المقصـورة بـين حـين وآخـر لطمأنتهـن. أصابتهـن قطـرات الـبرَد مـن حـين وآخـر لكنهـن لم يلحظـن ذلـك، لقـد بللتهـن ميـاه البحـر عـلى أي حـال.

حينهـا! في منتصـف المسـافة بـين المنـارة وشريـط اليابسـة، في الأعـلى هنـاك في السـماء، تمكَّنـت تـورا مـن رؤيـة نجمـة لامعـة وحدهـا في السـماء، كانـت معجـزة! علامـة عـلى التغيـير.. بشـارة.

تابعت القارب وحركات الأمواج بجسدها بأكمله، تركت الأمواج تقذف بها من جهة إلى أخرى، لم يكن هناك مزيد من الغثيان. بدا أن الرياح والبحر يمران مباشرة عبر رأسها. شعرت بهما يضغطان على جفنيها ويلسعان وجنتيها ويجمدان أذنيها. كان فمها نصف مفتوح، وشعرت بمذاق البحر الملحي الغريب، مذاق الموت الملحي الغريب، لكنه لم يعُد مخيفًا بعد الآن.

جلست تورا وشعرت بيقين.. يقين حدوث تغيير داخل أمها، لأنه من الآن فصاعدًا سيختلف كل شيء، لأن أمها كانت أقوى من الخالة راكيل إذا اقتضى الأمر!

18

- لن أعود إلى البيت اليوم إذا لم يتحسن الطقس.

هكذا قالت راكيل، ضبطت قبعتها، وأزالت الثلج قبل أن تستقل الحافلة. كانت شاحبة ومنهكة وهي تلتقط عدة حزم رمادية من شبكة الأمتعة في المقدمة.

ابتسم السائق، رأى أمورًا أسوأ، وسمع مثل هذه العبارات من كثير من الناس عند وصولهم إلى الشاطئ.

- لا نهتز كثيراً على الحافلة إذا كان في ذلك مواساة لكِ.

وانتظر بصبر بينما أخرجت راكيل حافظتها، وأحصت النقود الواجب دفعها.

كان على مجموعة من الصبية أن يستقلوا القارب للذهاب إلى المصنع في سورفيورد كي يعملوا في تقطيع ألسنة سمك القد، وشعروا أن الأمر يجري ببطء. ظلوا يدفعون تورا في ظهرها، حينها دخلت إنجريه بينهم.

شعرت تورا بدفء جميل مفاجئ يغمرها.

حين جلست بجوار أمها على الكرسي اللزج، والمحرك يدفعهم إلى الأمام شعرت أنها تترك الأرض وتطير في السماء.

هي وماما، والخالة راكيل. أصرَّت الخالة راكيل أنهن لن يعدن للبيت اليوم.

تنبَّأت الأرصاد بهبوب عاصفة شديدة.

جلستا في غرفة الانتظار الخضراء عند طبيب الأسنان، وحصلت راكيل على حشوٍ لضرسها التالف، وقالت إن هذا يكفي لهذا اليوم.

تكلمت إنجريه معها مثلما يتكلم المرء إلى أطفال من طبقة أعلى، بلطفٍ لكن بحزمٍ، وحاولت إقناعها.

لكن راكيل عادت إلى طبيعتها مرة أخرى، مرَّت ساعات على إصابتها بدوار البحر، اتخذت القرارات ورتبت الأمور كعادتها.

كان من المفترض أن تذهب تورا إلى المدرسة، وهنريك سيغضب. إلى أين سيذهبن؟ ليس لديهن أقرباء في برايلاند.

- سأستأجر غرفة لنا في فندق.

- قالتها راكيل بسهولة، واعتمرت قبعتها أمام المرآة. ظل فم إنجريه فاغرًا لوهلة وهي تنظر إلى أختها.

- يا إلهي يا راكيل! هل جُننتِ!

- لا، ولن أُجن أيضًا.

كان لـ راكيل ما أرادت، وسارت مع تورا وإنجريه في الطقس السيئ إلى الفندق الوحيد بالبلدة. وضعت يدها في خصرها كما هي معتادة، واتصلت هاتفيًّا برقم بيتها.

كان على سايمون إخبار جُنْ وهنريك. ألقت بشعرها الأحمر إلى الخلف وبهذا انتهت من أمر الجزيرة بأكملها، في حين جلست تورا وإنجريه على المقاعد أمام النضد الطويل في منطقة الاستقبال، منتظرتين.

تذمرت إنجريه بهمسٍ عن فكرة راكيل المجنونة، تجاهلت تورا نبرة صوت أمها النائحة، لم ترغب أن تؤثر فيها، ربما هذا فقط ما تبقى من أمها القديمة.

ارتدت المرأة خلف النضد نظارة سميكة معلقة على طرف أنفها الحاد، وكانت تنصت بوقاحة إلى كل ما قيل على الهاتف في الحجرة الخلفية.

فكرت تورا أنها تشبه البومة في كتاب القراءة؛ برز أنفها حادًّا في وجهها كأنه منقار، وراقبتهن عيناها من كل اتجاه.

كما لو أنها تخشى أن يأخذن شيئًا ويغادرن. أمعنت النظر فيهن من دون حرجٍ من خلف عدستَيها السميكتَين. حدقت إلى الحذاء الطويل والمعطف القديم والبقع التي تسبَّبت فيها مياه البحر، وشعر إنجريه البارز من الوشاح، وضفيرتَي تورا المشعثتين. عدَّلت جلستها في مقعدها من حين إلى آخر لتتمكَّن من رؤية المشهد بأكمله، كان النضد عاليًا وهي قصيرة.

لكن لا شيء يمكنه أن يسلب تورا فرحتها بتغيُّر أمها.

فلتنظر البومة كما تشاء! وفجأة بدأت تورا تضحك، وكزتها إنجريه من الجنب. تحركت المرأة خلف النضد بسرعة، وأبعدت عينيها عن تورا. همست إنجريه بعصبية:

- ما الأمر؟

كأنها خشيت أن يطردهما شخصٌ ما في أثناء حديث راكيل في الهاتف.

- لا شيء، أنا أضحك فحسب.

- كُفي عن السخافة!

فجأة أصبح ورق الحائط الحريري واللوحة المعلقة رماديين وغائمين في عينَي تورا.

- لا، لا، سيكون هذا مكلفًا بالنسبة إلى سايمون!

علّقت إنجريه معطفها، وجلست مرتبكة على طرف السرير الواسع في الفندق.

- سايمون! كلام فارغ. هل تظنين أن سايمون هو من سيدفع مقابل هذا؟ من قال ذلك؟

كانت راكيل منحنية أمام حقيبتها تخرج الأغراض التي تحتاج إليها. حدقت إليها إنجريه، وأجابت:

- بالطبع، من سيدفع غيره؟

قالت راكيل:

- أنا بالطبع.

واعتدلت في وقفتها، تتبادلان النظرات كأنهما نسيتا وجود تورا. همست إنجريه غير مصدقة:

- ماذا تقولين، هل لديكِ مال خاصٌّ بكِ؟

- بالطبع لديَّ، أتقاضى أجرًا على كثير من الأمور.

- كلامك غريب!

تماسكت إنجريه، وتجاوزت تعالي أختها.

- أؤدي كثيرًا من المهام وأجني مقابلها مالًا، في البيت أنظف وأرتب كل شيء، أعتني بالخراف والبطاطس، أنسج وأخيط،

حتى إنني أنظف الأرض في المصنع وفي مكتب سايمون. وأيضًا تلك الممرات القذرة.

قاطعتها إنجريه بضيقٍ:

- هكذا! **هذا** ما تقصدين، هذه المهام تؤديها كل امرأة لنفسها ولأسرتها! لم أقصد ذلك.

- لكنني **أقصد** ذلك.

التفتت راكيل إلى إنجريه وواجهتها، رفعت أحد حاجبيها واخشنَّ صوتها:

- هل يمكنك أن تخبريني لماذا لا أستطيع أن أحسب أجرًا لنفسي لقاء ما أفعله وهو ما كان سايمون سيدفعه لامرأة أخرى كي تفعله إذا لم أفعله؟ إذا لم أكن زوجته؟

نقلت تورا بصرها بحيرةٍ بينهما، وتمنَّت أن ينتهي هذا الجدال.

سألت إنجريه وهي تضحك بشدة:

- هل تقصدين أنكِ تطلبين مرتبًا؟

كان الأمر غريبًا بالنسبة إليها.

- لا أنا لا **أطلب**. أنا التي أقدِّر وأقوم بجميع الحسابات، ليس في المصنع بالطبع. أحسب مرتبي وأدفع لنفسي.. وأحسب المبلغ الذي أتقاضاه وفقًا للربح الذي يتحقق. وهذا المرتب ليس كبيرًا! لكن يجب أن يكون لي مالي الخاص، يجب أن أعرف ما الذي يمكنني إنفاقه بنفسي، لا يمكنني أن أطلب من سايمون من أجل كل أورا. سأُصاب بالجنون، وسايمون سيصاب بالجنون أيضًا!

كانت راكيل التي تضحك الآن.

همهمت إنجريه، ولم تقصد أن تسمعها راكيل، كأنها تتكلم عن شيء قرأته في مجلة بعيدة كل البعد عن حياتها ولا تود أن تشغل ذهنها به:

- نعم، هكذا يكون الحال حين يملك المرء ما يكفي من المال.
- لا داعي إلى كلامٍ لا معنى له، سنستمتع ونمرح نحن السيدات الثلاث، سنغتسل ونرتدي ملابسنا وننزل إلى المطعم للغداء!

ظلَّت راكيل تتنقل في الغرفة هنا وهناك لترتيب شؤونها، لكن تورا شعرت أن كلمات أمها الأخيرة كان لها تأثيرها في الخالة راكيل.

قالت راكيل:

- الحمام في الردهة، لنستحم اليوم قبل النوم. لكن الآن أنا جائعة للغاية وأريد أن آكل!

تكوَّن الطعام من قطع اللحم! ثم الحلوى، فيما بعد سيشربن القهوة.

كن وحدهن في قاعة الطعام. اعتقدت تورا أن الثريا المعلَّقة في السقف حكاية خرافية في حد ذاتها. أرجعت رأسها إلى الخلف بشدة على مؤخرة عنقها بين حين وآخر كي تتمكن من النظر جيدًا.

لا بد أن هذا هو ما عليه الحال في برلين.

ورق الحائط، مصابيح على شكل شمعدان على الحائط، الأبواب، الألوان، الصور، واللوحات. نظرت تورا إلى كل الأشياء خشية أن تغفل شيئًا أو تنسى شيئًا. شعرت أنها تتحوَّل إلى شخصٍ آخر وهي جالسة هناك. كما لو أنها رأت الأشياء وشمَّت رائحتها بطريقة مختلفة تمامًا عن طريقة فعلها لذلك وهي في البيت.

فجأة رأت أمها ورأت نفسها بين كل هذه الأشياء، شعرت أنهما غير ملائمتين للمكان، كانتا غريبتين.

شعرت في أعماقها بتمزق لكنها لم ترد له أن يتمكن منها.

لم تملك إلَّا أن تتذكر رحلات تسوقها إلى دكان أوتَّار. فجأة شعرت أنها بائسة وقذرة، مع أنها تعلم أن ملابسها كانت نظيفة في الصباح قبل مغادرتهن. كان الناس مختلفين، الظروف مختلفة بالنسبة إلى الناس أيضًا!

غامرن بالخروج في الطقس السيئ مرة أخرى، لكن ليس هناك مشكلة بعد أن تمتعن بالشبع والدفء، وعرفن أن لديهن مكانًا لقضاء الليل.

أرادت راكيل أن تشتري "بعض الأغراض"، من متجر واحد اشترت كنزة وخيوط حياكة.

رأت تورا في واجهة المتجر سترة زرقاء، كان ثمنها 59 كرونة. نظرت إلى سترتها الرثة المخيطة في المنزل، أطلق عليها الأطفال لقب الشبح، لأنها ارتدت سترة بيضاء.

ثرثرت الاثنتان الأخريان في أثناء سيرهما فاضطرت إلى العدو للحاق بهما. لم تريا المعاطف، لم ترد تورا إزعاج أمها بالأمر. يا له من سعيد الحظ الذي يستطيع شراء شيء كهذا. أيضًا السراويل من قماش الجبردين! كثير من البنات امتلكنها في فاعريه، كان القماش الناعم يبرق وهن يحركن سيقانهن تحت المصباح، حين تنظر إليه عن قرب ترى ظلالًا جميلة، ويسقط الثلج عنها من تلقاء نفسه.

دخلن متجر قماش، أرادت راكيل شراء قماش لتخيط بلوزة جديدة، ناقشت البائعة في المتجر، وقررت شراء قماش أخضر منقوش بالنقط، بدا شفافًا مثل نسيج العنكبوت، هكذا رأته تورا.

وقفت إنجريه وحدها في نهاية نضد البيع وبين يديها قماش بني أحمر، تحسست أصابعها القماش المزغَّب بشرود.

بعد أن قصَّت راكيل القماش الذي تريده التفتت إلى أختها لتقول شيئًا .

بدت كأنها رأت إنجريه فجأة.

غمر الحنان وجهها المستدير، أغمضت عينيها قليلًا، وحاولت أن تقول شيئًا ما، ارتعشت شفتاها للحظة:

- هذا قماش جميل للغاية، سيلائمك كثيرًا يا إنجريه!

قالت البائعة من دون أن يسألها أحد:

- ثمن المتر 12.5.

ونظرت إليهما بترقب.

نظرت إنجريه إلى الجهة الأخرى كما لو أنها ارتكبت عملًا غير قانوني. قالت ببساطة:

- نعم.

وارتدت قفازها للمغادرة، حدقت راكيل إلى القماش للحظة، وقالت للبائعة بحزم:

- من الصعب أن يجد المرء شيئًا يعجبه هذه الأيام، أعطني ثلاثة أمتار من هذا القماش.

وقفت إنجريه، وشابكت أصابع يدها العارية مع أصابع يدها التي ترتدي القفاز وأرختها مرارًا، ثم سعلت بخفة وقالت:

- ستبدين أجمل في شيء أخضر اللون، مثل ذلك، هناك بالأعلى.

وأشارت إلى الأرفف العلوية كيفما اتفق.

نظرت راكيل إلى وجه إنجريه بسرعة. تعجبت تورا أنها للمرة الأولى ترى راكيل أقصر من ماما كثيراً، وأنها تضطر إلى النظر إلى أعلى لمقابلة نظراتها، كان هذا هو الوضع الصحيح، كما اعتقدت.

التغيير.

قالت راكيل للبائعة بسرعة:

- نعم، وأعطني أيضًا خيطًا وسحابًا باللون نفسه. إنجريه، استديري بظهرك.

أخذت شريط القياس من على النضد، اعترضت إنجريه بصوتٍ منخفضٍ:

- أنا أطول منكِ كثيراً.

لكن راكيل لم ترد، أخذت القياس من الرقبة إلى أسفل، وأخبرت البائعة بطول السحاب، طافت عينا إنجريه على الأرفف من دون هدف، من دون قول أي شيء.

حين وصلن إلى غرفتهن في الفندق أعطتها راكيل لفافة القماش، وقالت:

- هذه دفعة مقدَّمة لتنظيف المنزل الذي ستقومين به من أجلي خلال الربيع، وأيضًا مقابل القصاصات التي أعددتِها لي من أجل نسج السجاد!

امتلأت عينا إنجريه بالدموع للحظة.

راقبتهما تورا وهما يحضنان بعضهما.

هذا ما فعلتاه أيضًا حين ماتت جدتها، لكن كان هذا منذ زمن طويل.

- أنتِ طيبة جدًّا، لن أستطيع رد صنيعك أبدًا، لم يكن له داعٍ، كما أنه باهظ الثمن، وهنريك سيقول..

قاطعتها راكيل بابتهاج:

- لا يهمنا ما يقوله الرجال، أنتِ تستحقين هذا، ما قلتِه اليوم كان صحيحًا: من السهل عليَّ أن أتكلم عن الإنفاق والحسابات وإعطاء أجر لنفسي، لأن سايمون يكسب جيدًا، هذا هو الفارق! الوحيد على ما أعتقد، نحن أختان، ويسعدني أن أعطيك شيئًا كهذا. لا تستكثري عليَّ هذه الفرحة، أيضًا ليس لديَّ أطفال.. لديَّ أنتما فقط.

توقفت راكيل عن الكلام، وأخرجت منديلًا من جيب معطفها وتمخطت.

ذُهلت تورا، لم تعرف أين تضع يديها مع أن أحدًا لم ينظر إليها، ولم يهتم أين تضعهما. كأن شيئًا جميلًا لامعًا نما من الجدران والأرض، أتى طائرًا من السقف وهبط فوقهن، كأن العالم بأكمله صُنع من زجاج. لن يمكنها التحرك ولو لخطوة لأنها إن فعلت سيتهشم كل شيء. شعرت بظلام الغرفة كأنه قطن يحيط بجسدها. سمعت المرأتين تتكلمان معًا بصوتٍ منخفضٍ عن الأمور اليومية. وقفت تورا عند النافذة وتركت صوتيهما يتسللان إلى أذنيها من دون أن تسمع الكلمات، فلم يعُد لها معنى. كانا مجرد صوتَين: آمنَين، منخفضَين، وواثقَين، لكنها فهمت أن الكلمات دارت حول علاقتهما في الماضي، وكيف كانت الحياة معًا، الأمور التي لن يلاحظها أحدٌ سواهما: أيام الصيف، الخدوش والكدمات، السير إلى المدرسة في الصباحات العاصفة، الحزن المشترك وأمسيات الكريسماس، الأوقات التي كرهتا فيها بعضهما حين التقتا في الردهات كما تكره الأخوات بعضهن، ثم اكتشفتا أن من الأفضل لهما أن يتحالفا في المعارك. لم تكشف الكلمات ذلك، أو ما قالتاه، لا، كان صوتاهما، صوتين قادمين من الأعماق، يعبِّران عن الطيبة والحب المتبادل.

فهمت تورا أن خالتها حتى لو كانت تضحك إلى حد الانفجار، فلديها أحزانها أيضًا. لم يكن من السهل أن ترى تلك الأحزان في امرأة لديها مال للإقامة في فندق وشراء أقمشة للملابس.

ليت المرء يسافر دائمًا في طقس عاصف!

تسرَّب من النافذة صوتٌ مثل عزف على آلة الفلوت، تردد حول كل شيء في الغرفة، تردد داخلها أيضًا، كانت الريح فحسب، عرفت هذا، لكنها كانت مسحورة، وتحوَّلت إلى نغمة حقيقية!

كانت مستلقية على السرير الكبير في غرفة الفندق، جميع الأنوار مطفأة. استطاعت أن تسمع في أعماقها صوت رنين كريستالات الثريَّا المعلَّقة في قاعة الطعام. كانت تعزف صوتًا رقيقًا عاليًا، رنينًا غريبًا تداخل مع صوت الفلوت.

استطاعت بالكاد رؤية معالم أثاث الغرفة لأن الأنوار من الجهة المقابلة من الشارع ألقت توهجًا ناعمًا أصفر خلال النافذة المغطاة بالثلوج.

كان ثلاثتهن في السرير الكبير، ثلاثة أجساد، شعَّ الدفء المنبعث من الجسدين الآخرين في جسدها مثلما تلفح رياح الصيف بشرتها، بأمان، من دون أيدٍ، من دون خطر.

لا صرير عبر الأرضية، لا أحد يحاول فتح مقبض الباب.

فقط عزف الفلوت والأنوار خلال سقوط الثلج والإحساس الهش بالأمان.

بين حين وآخر، سمعت أصواتًا من الغرف البعيدة، أصواتًا لا تطالبها بشيء، لم تعرف حتى بوجودها.

نامت تورا في غرفةٍ بابها مقفلٌ للمرة الأولى في حياتها، كان هناك أمرٌ سحري بشأن ذلك.

قالت خالتها:

- اقفلي الباب.

توجَّهت تورا إلى الباب وأقفلته بالمفتاح الصغير، هكذا ببساطة! يمكنكِ صد العالم خارجًا.

حتى صليب النافذة الذي قد يخيفها إذا استيقظت في الليل بدا ودودًا هنا.

كان تقاطع هذين القضيبين الخشبيين كالصليب بريئًا، ولم ير شيئًا.

ودفء السرير؟ لم يكن به شيء متوتر أو مقرف، لا شيء لمسحه أو طيه جانبًا.

لم يكن هناك رائحة سوى رائحة الجلد، مثل الطحالب التي تدفئها الشمس. كان شعر خالتها منبسطًا على الوسادة، ومتغلغلًا داخل جدائل تورا التي حلَّتها من رباطها.

ما زالت تورا قادرة في أعماقها على سماع صوت خالتها المرِح وهي تعد نفسها للنوم، وتقول:

- من الجيد أنكِ ورثتِ شعري، وإلَّا فلن يرثه أحد.

كان صوت خالتها جريحًا، لكنه مسرور في الوقت نفسه. مشَّطت شعر تورا بحركاتٍ معتنية ومتمهلة، ليس بسرعة وشرود كما اعتادت أمها، قبل أن تبدأ تورا في تمشيط شعرها وتجديله بنفسها. هذا يعني أن شعرها أحمر ليس لأنها ابنة ألماني! لم تكن الأغنية التي ألَّفها الأطفال عنها صحيحة: "شعر تورا نار شعرها أحمر قانٍ.. نامت أمها مع رجل ألماني"! لقد ورثت هذا الشعر من خالتها راكيل!

أرادت تورا أن تسأل عن هذا الأمر كي تؤكداه لها لكنها لم تجرؤ.

كانت ماما سعيدة للغاية هذه الليلة، متغيرة تمامًا. كانت تبتسم، ولم ترغب تورا في إفساد هذه الحالة؛ لذا لم تقل أي شيء عن الحرب أو عن الألمان، عند ذلك ستنغلق أمها على نفسها، وتذبل مثل الأزهار في الخريف.

ملاءات السرير الباردة وغير المألوفة، أنفاس أمها وخالتها المنتظمة، حمتهنَّ الغرفة، وضعت الحدود حولهن وأبعدت أي شيء عنهن، جعلت الغرفة الخواء يغرق في اللامعنى وجعلت الليل ثمينًا.

أم أنها لم تكن الغرفة في حد ذاتها، ربما كانت هناك غرف كثيرة جيدة مثلها في العالم؟ ربما كان هناك كثير من الأبواب التي يمكن قفلها؟

هل كانت الليالي مقززة والظلام مخيفًا في توسينيامَّه فقط؟

تنفَّست راكيل وإنجريه بطريقة مختلفة، تخلل تنفُّس أمها فترات توقف مفاجئة، كما لو أنها نسيت التنفس من حين إلى آخر، كما لو أنها لم تعرف كيف تجعل رئتيها تعملان بحرية. كانت أنفاس راكيل منتظمة وآمنة، وكان هذا حالها في أثناء النوم أيضًا.

تقلبت إنجريه في أثناء نومها، وأولت تورا ظهرها النحيل. شعرت تورا بضغط جسد أمها الدافئ عليها، قريبًا، قريبًا منها.

تقلَّبت راكيل في اتجاه تورا، وهبَّت أنفاسها بخفة على وجنة تورا، وارتاح ذراعها على الغطاء كأنه جناح نورس، وتميز بقوة ونعومة، حتى في أثناء النوم، كان أبيض في الظلام.

كن مثل الخراف التي اختبأت خلف صخرة حين بدأت العاصفة، في مكان غريب صنعن أمانهن ودفئهن، لأنهن تُركن وشأنهن.

يعرفن أن صقيع الآخرين سينفجر ويعود إليهن خلال الجلد والجسد. لذا كان من المهم نشر كل الدفء الذي بداخلهن ليعود

إليهـن عـشرات الأضعـاف. هنـا لم يختبـئن مـن بعضهـن مثلـما يفعلـن في الديـار. هنـا لا يقاطعهـن شيء مثلـما يحـدث حـين تذهـب مامـا إلى العمـل أو يعـود هـو إلى البيـت، هنـا لا أحـد يـصرخ في الردهـة أو يتكلـم عـن الحـرب.

لكنهن مضطراتٍ إلى العودة غدًا.

حينهـا سـيتوجَّب عليهـن الخـرس، وإخفـاء كل الأمـور التـي تصيبهـن بالغـم بداخلهـن، إخفاؤهـا جيـدًا إلى درجـة نسـيانها، هـذا مـا هـو عليـه الحـال.

في البيـت لم يُسـمح لهـن بمنـح بعضهـن بعضًـا الـدفء الـذي احتجـن إليـه، كـن فقـط كالخـراف الخائفـة في الجبـال البريـة.

لوهلة تسلل اليأس إلى تورا.

لكنهـا حاربتـه، إلى اللحظـة التـي تخيلـت فيهـا جدتهـا لأبيهـا تمـر أمـام السريـر بشـعرها الأبيـض وتجاعيدهـا الناعمـة. رأت وجههـا العطـوف، وسـمعتها تتكلـم عـن أبيهـا. أصبحـت الغرفـة غرفـة الجـدة، حتـى صليـب النافـذة .. كل شيء! كانـت في برلـين، واصطحبـت معهـا خالتهـا وأمهـا إلى برلـين! وكانـت الجـدة قـد رتَّبـت لهـن الأسرَّة، ولم تـرِد إيقاظهـن للاطمئنـان عليهـن؛ لا، لـذا مـرَّت فحسـب، بهـدوءٍ بثوبهـا الأزرق الـذي أصـدر نسـمة خفيفـة وهـي تتحـرك. ورأت الجـدة أنهـن بخـير، وأنهـن بعيـدات تمامًـا عـن منطقـة فاعريـه والجزيـرة.

كاد الأمـر أن يكـون حقيقيًـا، ناضلـت كي تجعلـه حقيقيًّـا بـكل ذرة في كيانهـا، كي تبعـد يـوم الغـد عنهـا.

في نومهـا العميـق، في ذلـك الجـزء مـن نفسـها الـذي لا تملـك السـيطرة عليـه، تمسَّـكت برائحـة الطحالـب التـي دفأتهـا الشـمس وأصـوات الفلـوت الواضحـة الهادئـة.

في لحظـة مـا كادت تسـتيقظ مـن نومهـا. فجـأة كان للجدة شـعر الخالة راكيـل عـلى الوسـادة، وكانـت نائمـة في السريـر بجـوار تـورا. اعتقـدت تـورا أنهـا بالتأكيـد متعبـة مـن الطـواف في هـذه الغرفـة البـاردة لحراسـتهن.

طفـت الأجسـاد في السريـر فـوق بعضهـا وتداخلـت مـع بعضهـا، ولم تفرقهـا حـدود، جسـد جدتهـا وأمهـا وجسـدها هـي نفسـها.

وبطريقـة مـا اضطـرت إلى الذهـاب إلى أسـفل السريـر لإحضـار خالتهـا بجوارهـن، وناضلـت لترفـع جسـد خالتهـا عـلى السريـر، كأن السريـر أصبـح صغـيراً للغايـة، لكنهـا عرفـت أن خالتهـا أيضًـا لا بـد أن تكـون معهـن.

عـوت الريـاح بصـوتٍ أعـلى، ولم يعُـد في وسـعها أن تـرى خـلال النافذة؛ صنـع الثلـج أنهـارًا صغـيرة عـلى الزجـاج مـن الخـارج، لكـن الثلـج الجديـد البـارد منـع الثلـج القديـم مـن الذوبـان، بـدا الزجـاج كأنـه يبـكي لعجـزه عـن إنفـاذ الضـوء.

فجـأة، حدَّقـت تـورا إلى الغرفـة وهـي مسـتيقظة تمامًـا. للغرفـة نمـطٌ رمـادي أصفـر مثـل منظـر طبيعـي في الضبـاب، اكتسـت النافـذة بالثلـج، وكـن محبوسـات بالداخـل، لكـنْ لليـل أقـدامٌ دافئـة.

فليبارك الرب العاصفة!

19

همست راكيل لـ تورا:

- الجميع ينظرون إليّ بطريقة غريبة.

كانوا واقفين يشاهدون المركب الذي بدأ يتحرك بعيدًا عن المرسى، انتهت العاصفة، انتهى الحلم.

بالنسبة إلى تورا، بدأ الواقع في قدميها المتجمدتين في الحذاء المطاطي، وامتد من هناك إلى جسدها بأكمله كشعورٍ بالاستياء والتعب عجزت عن تفسيره، لأنها لم تشعر بالبرد في الحافلة ونامت إلى وقت متأخر هذا الصباح.

ردَّت تورا:

- لا أرى بكِ شيئًا غريبًا.

ابتسمت فقط لتتنفّس عن بعض الخواء، كل شيء سيصبح أسهل بهذه الطريقة.

في الوقت نفسه أدركت أن راكيل محقَّة.

كان الناس يحدِّقون! الواقفون على المرسى والموجودون على المركب، حتى الصبي الواقف على حاجز المرفأ لصيد السمك الصغير كان يحدِّق بقوة إلى اتجاه راكيل.

فحصت تورا وجه راكيل وجسدها من رأسها إلى أخمص قدميها لتجد سببًا محتملًا لذلك، لكن لا شيء.

وجدن مكانًا في "الصالون" وجلسن متجاورات. تجمَّعت حقائبهن ولفافات راكيل حول سيقانهن كأنها جراء صغيرة مطيعة. اضطررن إلى تحريكها كلما أراد أحدهم المرور لإيجاد مقعدٍ بالداخل.

حاولت راكيل تبادل الحديث مع السيدة الجالسة بجوارها، لكن إما أنها خجولة للغاية، وإما أن راكيل ضايقتها على نحوٍ ما لأن السيدة حدقت إلى الحائط، ولم ترغب في الكلام.

شعرت راكيل بالحرج، ثم التفتت إلى تورا وإنجريه، لكن خيَّمت الحيرة على وجهها الودود المستدير. رأت تورا أن خالتها حاولت أن تفهم جميع النظرات الجانبية الخبيثة التي ترمقها.

بدا الأمر كما لو أنها مصابة بالجذام.

في النهاية تمكنَّ ثلاثتهن من التواصل معًا لتمضية الرحلة القصيرة، لكن الأمر استغرق ساعة لعبور الفيورد، مرورًا برصيفَين، ثم التفريغ والتحميل، وإنزال بعض المسافرين وركوب مسافرين جدد.

لم تكن "عبَّارة فاعريه" تبحر سريعًا لكنها تبحر على أي حال.

بقيت مسافة قصيرة للوصول إلى فوجن، ثم تنتهي الرحلة.

جلست تورا وانتظرت أن يقول أي شخص ما الأمر.

لم يسُد الهدوء في عبّارة فاعريه قَطُّ كما هي الحال الآن، لم يكن الأمر لطيفًا، خاصة نظرة الرجل الجالس أمامهن. كان يمص ما حول أسنانه ويتنهد على نحوٍ متواصل. عرفت تورا أنه من سكان فاعريه، لكنها لم تتذكر اسمه، قال الرجل أخيراً:

- لقد كنتِ مسافرة.

كان طوال الوقت يطوف بلسانه حول أسنانه، فتح فمه إلى درجة أن المرء في وسعه رؤية قطعة التبغ التي يمضغها هناك.

أشرقت راكيل، وظهر الارتياح لانكسار الصمت على ملامحها، ومنحت الرجل ابتسامة واسعة قائلة:

- نعم كنتُ مسافرة.

أوشكت على قول عبارة أخرى لكنها تراجعت. ارتسمت تعبيرات غامضة على كل وجه حول الطاولة ذات الأضلاع الخمسة. رمقها الرجل بنظرة ذات مغزى، وظل يمسح أسنانه بلسانه كأنه يحاول إخراج شيء من بينها، وقال:

- نعم بالفعل، لكن الآن سيكون من الصعب العودة إلى المنزل، هذه هى الحياة، كل يوم بحال.

وكزته زوجته في جنبه من دون أن تتحرى إخفاء ذلك. جلس الناس فاغري الأفواه ومائلين إلى الأمام كما لو أنهم يخشون أن يفوتهم شيء.

هدر المحرك، كان البحر هادئًا، ولم يحدث شيء.

لكن راكيل نهضت فجأة ولم يهمها أحد، التقطت حقيبتها الصغيرة وخرجت من الباب.

نهضت إنجريه وتبعتها بتردد.

بقيت تورا هناك، وقد خلا المكانان بجوارها وأعين الناس تحدق بها من كل اتجاه، كان في نظراتهم شيء من الخجل الآن.

ظلَّت تنظر عبر النافذة المرشوشة بماء البحر، واحتملت الأنظار. وعدت نفسها بمواجهة الخطر. لا تعرف كيف لكنها ستجد حلًّا بالتأكيد.

فلتبدأ من الآن.

استجمعت شجاعتها، وحركت عينيها بسرعة إلى أحد الجالسين أمامها الذي لم يجد وقتًا للإشاحة ببصره.

حدقت تورا إلى هذا الوجه وهاتين العينين. شعرت أن قلبها ملأها بالكامل، وتضخم خلال حلقها ورأسها، ثم قالت بصوت غريب:

- لماذا تحدق إلى الخالة راكيل بهذه الطريقة؟ لماذا من الصعب أن يعود المرء إلى المنزل؟

حاول الرجل الذي ثبتت بصرها عليه تجنب السؤال في البداية، تردد، ثم قال:

- وقع حريق عند سايمون في باكيورده، واحترق مصنع السمك بأكمله ليلة أمس. لم يبقَ شيء لإنقاذه، كانت هناك عاصفة شديدة، كل ما استطعنا فعله إحاطته بقماش الأشرعة المبتلة لنمنع النار من الامتداد للمباني حوله. كان الرب رحيمًا لأن الرياح كانت متجهة للبحر.

20

ما زال الدخان يتصاعد من الخواء الأسود، حام الدخان متصاعدًا من الحطام بتكاسلٍ وبعدم اكتراث.

حريق!

كان هذا أمرًا تسمع عنه، تقرأ عنه، أو تخشاه، كان أمرًا يحدث في أماكن أخرى لأناس لا نعرفهم، لا يحدث لنا أبدًا.

في وسط الأنقاض المتفحمة من بقايا الخشب وقضبان الحديد الملتوية وأشياء كثيرة من الصعب التعرف عليها، تشهد على أنه كان هنا مصنع أسماك ذات يوم.. في وسط كل هذا انتصبت مدخنة حجرية وحيدة خشنة وسوداء لتترك علامة على المبنى الذي احترق حتى عنان السماء.

كما لو أنها وقفت هناك وقالت: "هذا أقصى ما وصلت إليه ثروة سايمون في أيام رخائه. إلى هذا الحد، لكن الأمر انتهى الآن".

أمسكت راكيل، مرتديةً معطفها ذا المربعات الكبيرة، بحاجز العبَّارة وهي تقترب من المرفأ. جمعت حقائبها ولفافاتها بهدوء، وتحركت إلى الأمام ببطء ومعها تورا وخلفهما إنجريه. تراجع الناس وأفسحوا لها الطريق.

جميع الأعين التي حدقت إليها مثل الإبر وهي جالسة بالداخل عادت للتحديق إليها الآن. شعرت بها في ظهرها، وكزَّت على أسنانها. فهمت أن الأمر كان تسلية بالنسبة إليهم. بحثت بعينيها عن سايمون على المرفأ، عرف أنها قادمة.. لكن هل سيأتي؟ هل سيفهم ما الذي كانت تكابده؟ لم يكن هناك.

حسنًا، لا بد أن تنقذ نفسها!

لم تتكلم مع أحد، لكنها أومأت فقط إلى أولئك المحدقين بها بلا خجل من الأمام.

أومأت إليهم كأنه يوم عادي تمامًا، ثم وضعت حقائبها ولفافاتها على رصيف المرفأ وتمشَّت ببطء في موقع الحريق، فعلت ذلك لأنه آخر شيء توقعوه منها.

أرادوا التسلية!

ستجعلهم يتسلون لكن ليس بالطريقة التي تصوروها. ستحرمهم رد الفعل الهيستيري، ستتقبَّل الأمر بهدوء تام، ليكون لديهم بالفعل ما يتكلمون عنه، ستريهم أنها تستطيع ذلك. لم تعرف حجم الدمار بعد، لكنها عرفت أن كثيرين كانوا حاقدين على سايمون وعليها، وخاصة عليها؛ حسدوهما لأن أمورهما سارت على ما يرام.

حتى الآن.

عرفت أنهم شامتون.

أصبح كل شخص حاضر في المكان -بالنسبة إلى راكيل- حيوانًا خبيثًا، ينتظر رؤية علامة على ضعفها بسبب ما حدث.

لأنها لم تكن ضئيلة، ولم تنكر ذاتها كما أراد لها الناس، كرهت الخضوع، وكان هذا خطأ ارتكبته.

والآن ينتظرون جميعًا ليروا عقابها على غطرستها، لكنها بدت كأنها نسيت الكارثة فقط لتبرهن على مدى قوتها.

لكن هناك "موقع حريق" آخر في باكيورده كان على راكيل التعامل معه، لأن سايمون أغلق على نفسه في علية النسيج ولم يسمح بدخول أحد.

أخذ الحريق سايمون أيضًا.

آيلارت داهل

الجزيرة

شراء كل أنواع الأسماك

إنتاج - تصدير - زيت كبد القد

إنتاج الأسماك الطازجة - جهاز تجميد

سولار - شحم للماكينات

سكن للصيادين - مخزون من شباك الصيد

- لا يضيع الوقت، يجني الكثير من مصائب الآخرين.

فتح أوتَّار جريدة لوفوت وفردها على نضد البيع الممتلئ بالخدوش، وقرأ الإعلان وقد قطب جبينه.

وقف هنريك هناك، ملتفتًا بوجهه إلى الجهة الأخرى، وترك الرجال يتكلمون. لم يشرب الخمر اليوم، لم يشرب منذ أسبوع.

- بالطبع، فقد انفرد بالمجال الآن.

حدق أوتَّار عابسًا في ظهر هنريك، أراد أن يستفزه كي يشارك في الحوار. لكن هنريك بدأ يؤرجح الدِّلاء المصنوعة من الصفيح التي كانت تتدلَّى من خطاف في إحدى عوارض السقف. أصدر احتكاك مقابض الدِّلاء مع الخطاف النحاسي صوتَ صريرٍ حادًّا.

- توقع المرء أنه سينتظر على الأقل إلى الأسبوع القادم قبل أن ينشر هذا الإعلان اللعين، بدافع اللياقة، وكان سيربح أيضًا، ماذا قال سايمون عن ذلك؟

رفع أوتَّار صوته مقررًا أن يشرك هنريك معهم في النقاش، لكن هنريك لم يلتفت، أولى جميع الأعين ظهره، وحدق في الدلو المصنوع من الصفيح، ثم قال فجأة:

- أنا لا أتكلم مع سايمون أكثر منك يا أوتَّار.

سأل أوتَّار ببراءة:

- هل ما زال جالسًا في علية النسيج؟

وقطع ورقة كبيرة كي يغلف حبلًا لـ آينار. قال هوكون هيمالجلوتِن كي يغيِّر الموضوع:

- لقد اصطادوا كثيرًا من سمك القد الأسبوع الماضي في لوفوتين. والآن يوجد سمك للجميع.

لكن لم ينتبه له أحد، فقط كانوا مهتمين بأخبار سايمون.

قـرر كثـير منهـم ذلـك، سـتة رجـال، مـلأ الدخـان السـميك المتصاعـد مـن الغلايـين والسـجائر الغرفـة ذات السـقف المنخفـض، كان الجـرس المعلـق فـوق البـاب صامتًـا وبالتـالي سـمح الوقـت بالثرثـرة.

سأل فتى ممتلئ يعتمر قبعته بالعكس وهو يبتسم:

- هل صحيح أن راكيل هددت بهجره إذا لم ينزل من العلية؟

كان ولـدًا صغـيراً عليـه أن يخـرس حـين يتكلـم الرجـال، لكنـه كان ثرثـارًا، فسـايره الرجـال.

قال هنريك مبتسمًا، وهو يلتفت إلى الآخرين:

- لن تهرب راكيل لأن الرجل متعب قليلًا.

وقـف مائـلًا مسـندًا ذراعـه المعطوبـة إلى الطاولـة. لم يتبـادل النظـر مـع أي شـخص منهـم. قـال الكلـمات لنفسـه في الهـواء.

قال آينار، وهو يهز رأسه:

- ليست من النوع الذي يهرب.

قال هوكون:

- يقولون إن الحريق حدث بفعل فاعل.

قـال آينـار بابتسـامة خبيثـة، وهـو يفتـح محفظتـه الرثـة لـترن العملات داخلها:

- إذا كان ذلك صحيحًا، فليس من أجل التأمين.

قال هوكون وهو يحاول أن يبدو فاضلًا:

- من المحزن أن التأمين سيئ إلى هذا الحد.

قال الفتى:

- لقد نالوا ما يستحقون.

تضبَّب زجاج النافذة بالبخار، كثير من الرجال يتنفسون في المكان. سأل أوتَّار:

- هل حصل على أي شيء؟

أمسك هنريك بقبعته، واتجه نحو الباب باندفاع قائلًا بجفاء:

- لا تسألني أنا.

- لم أنت متعجل؟ لم أقصد أن أتحدث بالسوء عن أقار...

تذكر الشاب المتحذلق أن هنريك وسايمون متزوجان بأختين.

صاح هنريك من فوق كتفه:

- حقًّا، ضع حذاء قديمًا في فمك يا ابن العاهرة! تذكر ذلك في المرة القادمة حين تتفوَّه بأي شيء!

خيم الصمت في الدكان، وقف أوتَّار فاغر الفم وحدق الرجال إلى الأرض.

حين رحل الرجال الآخرون أخيرًا لم يتمالك آينار نفسه، وقال:

- منذ متى يفتعل المشكلات لأنه صهر سايمون؟ بالتأكيد هذا حب مفاجئ، أليس كذلك؟

تبادلوا النظرات، ضحكوا قليلًا. قال رجل طويل جالس على برميل بجوار الموقد لم يقل شيئًا قبل الآن:

- حقًّا، لطالما تكلم عن أحوال سايمون الجيدة لأنه ورث عمه، ابن الحرام القادم من منطقة بو إلى الجزيرة، وصار رجل أعمال بين ليلة وضحاها.

نقل أوتَّار بصره بين الرجال وتكلم بنبرة هيمالجلوتِن:

- موقع العمل هو الأكثر تضررًا، لن يستطيع سايمون أن يعيد بناءه إذا لم يحصل على أموال التأمين.

قال الرجل الجالس على البرميل:

- يقولون إن راكيل استطاعت أن تجعله ينزل من العلية.

- ذهب بعض الجيران إلى عرين الأسد وعرضوا المساعدة في تنظيف الفوضى، حتى عمال سايمون تقدموا للمساعدة.

قال الشاب، وهو يعبث بلا خجل في فتحة منخاره اليمنى، المصابة بالزوائد التي يخشى الذهاب إلى الطبيب بشأنها:

- من دون أجر بالطبع! يقولون إن راكيل أعدَّت الطعام والحلوى للجميع، لكن سايمون لم يظهر. لن أتعجب لو أنه صار قلقًا كالنساء لأن ثروته ضاعت.

نعم، نعم!

لم يكن الهدف الإساءة إلى أحد، لا كلمة واحدة مسيئة، مجرد كلمات قيلت في الدكان في يوم اثنين بريء.

بدأ الأمر بمحاولة إشراك هنريك في المناقشة ثم اتخذ الأمر منحى مؤسفًا.

فكر أوتَّار، جيدٌ أن أحدًا لم يأتِ فجأة وسمع الكلام الذي قالوه عن سايمون.

خرج في جولاته عند الغسق، وأغلق البيت والدكان. في وسعه أن يقول من تراجع مبيعات الحبال والملح أن عمل سايمون في صناعة الصيد قد انتهى، لكنه لم يرغب في قول ذلك، لأن الأمر مؤسف للغاية، ولم يكن مهمًّا لصاحب دكان لديه زبائن منتظمون. لكن الصيادين أصحاب القوارب اشتروا من دكانه الملح والحبال الآن بعد هذا الحريق المأساوي، لأن داهل لم يكن يعمل في تجارة التجزئة مثل سايمون.

في وسـعك أن تراهـم وأيديهـم في جيوبهـم وأعقـاب السـجائر في أفواههـم حـين تسـود الأوقـات السـيئة. يقفـون هنـاك لـشراء أغـراض بسـيطة مثـل كيلوجـرام مـن السـكر أو علبـة سـجائر، طـوال اليـوم. هـؤلاء هـم مـن بقـوا في آخـر طابـور العمـل، كان آخـرون مهـرة ويعرفـون كيـف يصلـون إلى مقدمـة الطابـور ولا يملكـون وقتًـا لهـذا الهـراء.

لكـن لم يكـن العمـل كافيًـا لاسـتيعاب الجميـع، أُبعـد مزيـدٌ ومزيـد منهـم حـين وُجـد العمـل لتوزيعـه، وحُسـبت الأجـور لدفعهـا. معظمهـم كانـوا مـن الذيـن لا يملكـون بيوتًـا أو أراضي، كل مـا لديهـم شـعور قـوي بالمـرارة تجـاه كل شيء. لديهـم وقـتٌ للتسـوق، لكـن لا شيء ليدفعـوا بـه المقابـل. عاشـوا في بيـوت مسـتأجرة عـلى عمـلٍ متقطـعٍ بأجـرٍ يومـي. غـرق حلـم العمـل الثابـت في البحـر الأسـود مـرة بعـد مـرة، أو تـدلى مـن رافعـة في نهايـة رصيـف المرفـأ. ظهـر الحلـم فقـط في أوقـات العواصـف وحـين يكـون هنـاك أسـماك وبضائـع تحتـاج إلى إنزالهـا مـن المراكـب وتحميلهـا عليهـا.

في البيت زوجة وأطفال يسيل المخاط من أنوفهم.

أحيانًـا يحصلـون عـلى عمـل ويغـادرون، يصبـح الجميـع سـعداء، كان نوعًـا غريبًـا مـن السـعادة، لا علاقـة لـه بالضحـك أو فرحـة الحيـاة، كان نهايـة مؤقتـة لقرقـرة البطـن وأعمـدة الأرقـام الطويلـة في سـجل أوتّـار، سـعادة مـن نـوعٍ بسـيطٍ وملمـوسٍ، لم تتطلّـب إظهـار العواطـف، ووفـرت فرصـة لإبقـاء الأمـور عـلى مـا هـي عليـه.

أمـا مـن يملكـون أرضًـا وقاربًـا فقـد اسـتمتعوا بحريـةٍ أكـبر، حتـى إذا سـاءت الظـروف في الشـتاء، حتـى إذا أصبحـت وجوههـم شـاحبة، فعـلى الأقـل لـن تكـون زرقـاء تمامًـا.

غالبًا ما أُغفل ذكر طيور الرب الحرة، لم تُحلق ولم تقفز لكنها استغلت أجنحتها من أجل الدعم وهي تجر أنفسها ذهابًا وإيابًا، يمكن استخدام الجناح من أجل أشياء كثيرة.

عاش أحد هذه الطيور في العلية فوق الشرفة، أكل الدهن الملتصق بالمقلاة، ولحم خنزير مسروقًا. لم يحصل آينار على الفرصة الكبرى حتى إذا أراد ذلك، حُكم عليه قبل ارتكاب أي جريمة.

ثم كان هناك داهل، والقس، والطبيب، ساعدهم الرب ليمروا من ثقب الإبرة.

كان داهل آثمًا مبجَّلًا، على أي حال، لأنه وفَّر عملًا لكثير من الناس، حافظ على ممارسة أعماله بديمقراطية، مهما كان ما يفترض أن يعنيه ذلك. يذهب للنزهة يوم الأحد في فاعريه كشخص عظيم، ومعه كلبه وزوجته وطفلاه، لم يفوت فرصة لعب الورق في أكواخ الصيادين، لم نسمع عن أحد مثله يفعل ذلك.

ويجب أيضًا أن يكون لديهم طبيب، كان مخوَّلًا بعلاج أي شيء، وكان في مقدورهم أن يغفروا له أنه أعزب ومعروف عنه البخل، يوزع الصحة في قطرات من المشروبات الكحولية إذا احتاج أحدهم إلى ذلك.

كان القس أسوأهم، لم يكن كلامه إلا عن نار الجحيم واللعنة والحكمة والرعد المقدس.

لكن القس العجوز كان فريدًا من نوعه، لم يكن آينار الوحيد الذي اعتقد ذلك.

كان لدى القس المسن عمل مثل باقي الناس، أدار محل إقامته بنفسه. أحيانًا تأتي القوارب بالعروسين وضيوف حفل الزفاف إلى المرسى بسرعة إلى درجة أنه لم يمتلك وقتًا لفعل أي شيء سوى ارتداء

رداء الكاهـن فـوق زي العمـل والمـشي بجهـدٍ إلى المذبـح، خاصـة في أثنـاء موسـم هبـوب الريـاح.

أحيانًـا تجعـد عـروسٌ أنفهـا بسـبب رائحـة روث الحيوانـات وحذائـه الملـوث بالوحـل تحـت ردائـه الأسـود، لكـن أغلـب النـاس كانـوا ينظـرون إلى القـس المسـن باعتبـاره عامـلًا مـن الدرجـة الأولى.. ومـات في حظـيرة خرافـه أيضًـا.

هـذا مـا تبـين، سـقط في مكانـه، انكـسر شيء مـا وأرسـله خـارج وادي الدمـوع هـذا.

تصرف كإنسان حتى آخر لحظة.

21

بـدا كأن الموسـم قـد انتهـى بالنسـبة إلى سـايمون في باكيـورده، لم يعُـد لديـه حتـى مكتـب متهالـك ليجلـس خلفـه، ولا أجـر واحـد ليدفعـه. وكـما لـو أن كارثـة واحـدة لا تكفـي، أيضًـا علِقـت سـاقا رئيـس عمالـه في بكـرة سـحب المرسـاة وبُـترت.

كانـت ليلـة السـبت حـين ردَّت راكيـل عـلى الهاتـف بشـأن الحـادث، تلقَّـت الأمـر بثبـاتٍ.

بعـد ذلـك أخـذت وقتهـا لارتـداء ملابـس دافئـة، وذهبـت إلى الزوجـة الحزينـة التـي انتظـرت زوجهـا مـع أطفالهـا الثلاثـة، أعطتهـا راكيـل مـالًا لتدبِّـر أمورهـا أسـبوعًا، ثـم عـادت إلى البيـت، واسـتعدت للدخـول إلى عليـة النسـيج لإبـلاغ سـايمون بمـا حـدث.

ظـل يـذرع العليـة ذهابًـا وإيابًـا للأسـبوع الثالـث عـلى التـوالي. فكـرت راكيـل بمـرارة أن هــذا الخــبر ربمــا يحــرك ذهنــه قليــلًا. تلقــت الزوجــة

صدمة كبيرة مثل راكيل تمامًا، لكن ليس الحريق هو ما سبَّب الصدمة لراكيل، بل عيشها مع رجل لم تعرفه قَطُّ، حتى الآن.

ليس هذا سايمون الذي تعرفه، أصبح الرجل الطويل طفلًا، في البداية هدَّدته ووبَّخته، ثم قررت تركه لأحزانه.

صعدت له بالطعام، وتولَّت كل شيء بنفسها، لكنها حاربت معركة شرسة بداخلها ضد شيء قد يجد له الغريب اسمًا، ازدراء.

أدارت راكيل المقبض وفتحت الباب. لا بد أن سايمون سمع صوت صعودها على السلم فذهب للجلوس على الأريكة أسفل النافذتين الكبيرتين. نام هناك أيضًا الساعات القليلة التي يسمح لنفسه فيها بالنوم. وبهذا اضطرت راكيل إلى مقاساة ذلك أيضًا، الرقاد بالأسفل في السرير الكبير في غرفة النوم وحدها.

سألت من دون مقدمات:

- هل ستنزل لتناول الطعام اليوم يا سايمون؟

نظرت إلى الرجل الجالس هناك في الظل بجوار النافذتين. أصبح نحيلًا، وجحظت عيناه من طول السهر والتفكير الذي لم يصل إلى أي نتيجة.

هزَّ رأسه، ولم ينطق بكلمة. صرخت:

- هل ستظل جالسًا هنا حتى تتعفَّن؟

رفع رأسه إلى أعلى، ونظر إليها كما لو أنها طفلة مزعجة:

- يمكنني تحمُّل الكثير يا سايمون، تحمُّل كل الحوادث، لكن أن تظل جالسًا هنا في العلية كالأحمق حين أحتاج إليكَ، لن أتحمَّل ذلك، هل تسمعني؟

- لقد انتهيت يا راكيل .. لم يعد لديَّ شيء .. تحطمت! تعلمين ذلك أيضًا.

- انظر إليَّ يا سايمون! انظر إليَّ جيدًا.

حدق إليها بنظرة خاوية وهي تقف هناك ويداها على جنبيها.

- كيف تتحطم إذا كانت لديك زوجة؟ لن يبقى لديَّ صبر عليك أكثر من ذلك إذا لم تنزل. سأذبح الخراف وأرحل! هل تسمعني؟

نظر إليها سايمون متفاجئًا.

- ترحلين؟ لا تعنين أنك ستهجرين رجلًا محطَّمًا؟ أحتاج إليكِ يا راكيل، تقولين ذلك فقط لإخافتي.

- تقول إنك تحتاج **إليَّ**؟ ماذا عن احتياجاتي **أنا**؟ هل تعتقد أنني لا أحتاج إلى أحدٍ؟ سايمون، سايمون، لا تجعلني أسخر منك. هل تعرف المكالمة التي جاءتني اليوم؟ بالطبع لا لأنك لا تستطيع النزول إلى الصالون واستقبال المكالمات الواردة إليك، ولا تفعل أي شيء آخر. كان كل شيء سيضيع لو أنني لم أفعل ما يجب فعله. يتهكم الناس على سايمون من باكيورده، يقولون إنه عاجز عن التعامل مع الحريق الذي شب، يقولون إن الشخص الخطأ يرتدي السروال في باكيورده، هل تسمعني يا سايمون؟

- راكيل.. راكيل..

انتحب، ووضع رأسه بين يديه.

تقدمت راكيل الخطوتين الفاصلتين بينهما وجلست على فخذه.

تحسب راكيل خطواتها، طبيعية تمامًا كما تحسب متى تزرع البطاطس في الربيع، حنونًا تمامًا كما تذبح خروفًا وتبكي من أجله. الطريقة الطبيعية نفسها التي تظهر بها ذلك الجانب من نفسها الذي يجب أن يظهر الآن. وضعت ذراعيها بإحكام حول رقبة زوجها وهزَّته يمينًا ويسارًا، ثم قالت:

- انزل يا سايمون لتخبرك راكيل بحادث آخر، انزل الآن.

نزل سايمون إلى المطبخ تلك الليلة.

شيئًا فشيئًا، سمح لها بإصلاحِ شأنه وبعثه من بين الأموات.

بعد ثلاثة أكواب من القهوة وعدد من الشطائر سأل بتوجسٍ عن الحادث الذي ستخبره به.

- آعرلينج راقد في المستشفى بساقٍ مبتورة!

سمعت نفسها وهي تتكلم بقسوة لكنها لم تعُد قادرة على حماية زوجها بعد الآن.

عرفت أن التأمين على المصنع سيئ، لكنها لم تستعد إطلاقًا لمعرفة إلى أي مدى هو سيئ. دفعت أجور العمال في المصنع، والآن كل ما تبقى لديها نقودها الخاصة بمصاريف البيت ومبلغ التأمين البسيط، وحتى هذا سيستغرق وقتًا للحصول عليه. ولم تخطط لتسول المساعدة، لن تعطي فرصة للناس للنميمة بشأن ذلك.

ثم بدأ وقت ولادة الحملان، وتوجَّب عليها ترك أمر الحريق وسايمون ليتكفلا ببعضهما قدر الإمكان.

لأن الأمر الآن يدور حول حياة جديدة وطعام جديد ومال جديد.

جاء تُوريد وأنطون ذات مساء ليعرضا مساعدتهما في مكان الحريق، يُفترض بها أن تفرح إلى درجة البكاء لكن لا وقت لذلك، كما

أن سايمون كان لا يزال معتكفًا في العلية في ذلك الحين، واعتقدت أن هذا سبب كافٍ لتوفير دموع الفرح.

- ماذا تقولين؟ فقدتُ رئيس عمالي؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

ازداد شحوب سايمون.

- ماذا سأفعل الآن؟

- رأيت! لقد تخيلتَ أن الكوارث حطمتك في بيتنا فقط يا سايمون. لكنني سأخبرك أنك إذا لم تذهب إلى منطقة لوفوتين في الشمال للصيد وجني بعض المال وسط هذا البؤس ستجد نفسك من دون زوجة أيضًا!

- تريدين مني الذهاب إلى لوفوتين! لم أذهب للصيد منذ زمن! منذ كنت صبيًّا!

- اشكر الرب أن لديك فرصة للبدء من جديد على قاربك الخاص.

كانت الكلمات التي ألقتها فوق الطاولة باردة كالصقيع، ازداد الشحوب حول أنفها الحاد، الذي برز في تحدٍّ.

- ستبني عملك من جديدٍ أيضًا يا سايمون.

ابتسم ابتسامة باهتة، ابتسامة متشككة نشرت الشقوق في وجهه الجامد بفعل الحركة غير المعتادة، كأن عضلات وجهه لم تستخدم من قبل، ارتعشت زاويتا فمه قليلًا.

- راكيل.. راكيل.. هناك أمور لا تفهمها النساء، المال يا رايكل! من أين سأحصل على المال؟

- ستقترض المال.

- أنتِ تتكلمين..

- لقد اقترضت المال حين بنيت الحظيرة، وحين غيَّرت نوافذ البيت كلها، حينها لم أسمعك تقول إن هذا لا يجوز.

- أنت تتكلمين عن أمور لا تفهمينها! لا مشكلة في اقتراض المال ما دام لديَّ مصنع كامل وقارب في حالة جيدة.. وليس لديَّ ديون. هذا مختلف تمامًا عن أن الاقتراض وأنت لا تملك مسمارًا في جدار.

ألقى الضوء فوق الطاولة ظلالًا على وجهه الحزين، ارتسم العجز في كل تفصيلة في وجهه.

أوشكت راكيل على اليأس، شعرت بحريقٍ خلف جفنيها، وبثقل كالرصاص في رأسها، اجتاحها إحساس غريب بالوحدة لإقناعها بالاستسلام.

لكنها لا تستطيع ذلك، الآن بعد أن نجحت في إنزاله إلى المطبخ.

- قال المأمور إن الحريق بفعل فاعل، هل سيحدث ذلك فارقًا، إذا تم إثباته؟

- نعم ممكن، أنا الذي كنت غبيًّا لأنني لم أؤمِّن جيدًا على المكان.

- ألا تتساءل يا سايمون، من الذي في إمكانه أن يحرق المصنع؟

- لا، لأنني لا أعتقد أن شخصًا ما فعل ذلك. كانت المباني قديمة والطقس سيئًا ومن الممكن أن يرتكب شخص خطأ ما، لكن أن يشعل شخص النار في المبني، لا أعتقد، الناس لا يفعلون ذلك.

خيَّم الصمت، لكن على الأقل جلسا متجاورَين، وكلاهما فكر في ذلك أكثر من التفكير في الحريق. قالت راكيل بقسوة:

- أعتقد أن أحدهم أشعل الحريق، لأن الناس يفعلون ذلك.

ذهب سايمون إلى فاعريه في اليوم التالي.

تبعه الصمت أينما ذهب، اشترى ما احتاج إليه كي يستعد للصيد في لوفوتين، ولم يُخفِ ذلك.

لم يطرح أوتّار أي أسئلة، فقط عبّأ صناديق الكرتون التي أحضرها سايمون معه وتكلم عن الطقس.

قال إن الثلج كثيرٌ جدًّا هذا العام، كأنه من عمل الشيطان، قال إنه متأكد من ذلك لأن أحدًا لم يرَ هذا الكم من الثلج من قبل. يمر الشتاء والربيع حتى يأتي الخريف قبل أن يبدأ في الذوبان.

رد سايمون عليه، لكن خلت ردوده من الحرارة، وقد تهدل خداه بثقلٍ على جانبي فمه.

هزَّ كورنيليوس أولسا رأسه، وهو رجل مسنٌّ يعمل على قارب "بْريس"، ويتولى وظيفة رئيس العمال في الوقت الحالي، حين عرف أن سايمون بنفسه سيقود الدفة، لكنه لم يقل أي شيء لمعارضة ذلك.

قدَّم كورنيليوس كل العون الذي يحتاج إليه الصياد الذي كان جالسًا على مكتب. فيما سيحكي بقية الطاقم كيف هز كورنيليوس رأسه أكثر من مرة وأخبر سايمون الطيب كيف سيدير الأمور إذا كان هو من يتخذ القرارات على القارب، ثم سيحني سايمون رأسه ويفعل ما يقوله البحار المسن من دون تذمُّر.

جرى الصيد على ما يرام، وجرى على نحو أفضل إذا استطاع سايمون نسيان الفجوة السوداء الجاثمة على الخليج هناك في الديار، وجرى على نحوٍ أفضل وأفضل ما دام بعيدًا عن الديار حيث لا يضطر إلى الذهاب إلى رصيف المرفأ لدى داهل لتسليم ما اصطاده.

في البيت في باكيورده بدأت راكيل مرة أخرى تغني بصوتٍ منخفضٍ في الحظيرة، وتضحك من دون سبب، مثل الأيام الخوالي.

وصعدت مرة أخرى إلى العلية لتمارس النسج على النول في كل لحظة فراغ. أصبح لديها مجال ومساحة للعمل والضحك.

لكن راكيل فهمت على نحوٍ أفضل الآن طبيعة الهُوة العميقة التي عاشتها إنجريه لزمنٍ طويل. أصبحت تزور إنجريه أكثر من ذي قبل لتبادل الحديث، ولم يكن ذلك فقط لأنها أرادت مواساة نفسها.

غادر هنريك دائمًا بمجرد حضورها.

فعل ذلك دائمًا، عرفت راكيل أن كثيرًا من الأسباب تدفعه إلى فعل ذلك.

أهم الأسباب على الأرجح أن راكيل لم تتكلف قَطُّ إخفاء حقيقة اعتقادها أن زواج هنريك من إنجريه كان خيبة أمل أخرى لإنجريه.

شيء ما بخصوص هنريك لم تستطع راكيل فهمه، لم تستطع أن تشعر بالارتياح إذا تواجدت في الغرفة نفسها معه.

ربما كانت **هذه** لعنته؛ إذ لم يشعر كثيرٌ من الناس بالارتياح في صحبته، كان يشع بشيء ما يثير النفور.

في الوقت نفسه يجب عليها أن تعترف أن سكان الجزيرة لم يكونوا طيبين تجاه هنريك. ناء بحمل ذراعه المعطوبة والكآبة الغريبة التي تعتريه بين حين وآخر. قالت إنجريه إن ذلك بسبب تعرضه للقصف ودخول قطعة من المعدن في كتفه.

رأت راكيل الآن أن سايمون قد يسقط تمامًا بسبب تعرضه لشظية من المعدن، من الواضح أن الرجال لم يُخلَقوا بصلابة النساء.

لكن شيئًا ما لاح في عينَي هنريك، نعم إنه يثمل أحيانًا لكنَّ هناك شيئًا آخر... لم تنسَ ذات مرة حين صادفته خلف الحظيرة. ولم يقدِّم أي تفسير عن سبب وجوده هناك، فقط ابتسم ابتسامة مستفزة ومرَّ أمامها من دون أن يتفوَّه بكلمة. إذا لم تكن تعرف أن هذا زوج إنجريه

وهـو يتحملهـا بالـكاد لأنها أخـت إنجريـه، لكانـت اعتقـدت إنـه بالخـارج يبحـث عـمّا يبحـث عنـه كل الرجـال غـير المرتبطـين.

سـافر سـايمون في رحلـة سريـة إلى برايلانـد، وفي رحلـة أكـثر سريـة إلى مدينـة بـودو، أجـرى حسـابات وكتـب خطابـات مهمـة، وملأت أخاديـد عميقـة جبهتـه، ولـوى أصابعـه المتألمـة بسـبب الصيـد حـول القلـم. اسـتغرقه ذلـك عـدة أيـام، وهـو يعلـم أن في اسـتطاعة كورنيليـوس أولسـا إدارة المركـب والصيـد.

حتى أيام عيد الفصح استغلها في الكتابة والتقييم.

تحسَّـن الطقـس بمـا يكفـي مـمَّا أتـاح للصياديـن إخـراج أيديهـم مـن جيـوب سراويلهـم للعمـل بـين حـين وآخـر.

تعالـت مطالبـات غاضبـة في الصحـف للتحقيـق في أسـاليب سـفن الصيـد الكبـيرة المـزودة بشِـباكٍ جرافـةٍ مطوِّقـة.

لم يكـن لـدى سـايمون وقـت لقـراءة هـذه الأمـور، وبالتـالي ليـس لديـه وقـت للغضـب.

لكـن راكيـل قـرأت الصحـف أحيانًـا بعـد الانتهـاء مـن مهامهـا المسـائية في الحظـيرة. ذات يـوم قـرأت أن سـلطات الكنسـية رفضـت عـلى نحـوٍ قاطـعٍ فكـرة اتخـاذ قساوسـة مـن النسـاء.

شـعرت راكيـل بالغضـب مـن رجـال الكنيسـة الذيـن ليـس لديهـم مـا يفعلونـه سـوى رفـض الفكـرة، مـع أن العـالم يزخـر بقـدرٍ وافـرٍ مـن البـؤس. مـن المفـترض أن يتعرقـوا وتتقطـع أنفاسـهم بفعـل جولاتهـم في الأنحـاء لمواسـاة النـاس الذيـن يحتاجـون إلى المواسـاة. لم يقـل المسـيح نفسـه أي كلمـة سـيئة عـن النسـاء، حتـى العاهـرات. لقـد قـرأت ذلـك في الإنجيـل.

ثم وقعت عيناها على عمودٍ يتحدث عن الكتب بعنوان "النساء هن الأمل". وقرأت: "كتب عالم إثنوجرافي أمريكي يُدعى مونتاجو كتابًا عن حقيقة أن المرأة أسمى من الرجل، تتمتع بفرحٍ أكبر بالحياة، ونقاط ضعف جسدية أقل، وأمراض وراثية أقل، وبقدرٍ أكبر من المقاومة للألم الجسدي، والأكثر من ذلك، ذكاء أكثر تطورًا! النساء أفضل حتى في قيادة السيارات! يدرك الرجل النقص الذي يعاني منه، فبالتالي يرغب في تطوير قدرته على السيطرة لإثبات وجوده. الميزة المبتذلة التي يتمتع بها هي القوة العضلية، ولهذا لدينا حروب، وهي صنعة مميزة لدى الرجال لأن النساء يفتقرن إلى المؤهلات المطلوبة لها. على المرء أن يدفع العالم إلى الأمام خطوة واحدة مع كل جيل، المرأة تمنح الحياة. إذا فشلت النساء، ستفقد البشرية كل أمل".

أومأت راكيل وهي تقرأ، إذن فقد بدأ العالم يفتح عينيه على الحقيقة أخيرًا! حسنًا، بالتأكيد لم تكن ستفشل!

لكن ما معنى إثنوجرافي؟ تنزعج راكيل غالبًا بسبب كمٍّ الأمور التي لا تعرفها، والكلمات التي لا تفهمها.

لكن فكرة أن المرأة لا تملك مؤهلات الحرب ليست صحيحة بالتأكيد. تعرف راكيل يقينًا أنها ستخوض حربًا إذا اضطرت إلى ذلك، هناك أنواع كثيرة من الأسلحة.

من منصة الخطابة، وحتى من مذبح الكنيسة، يمكنها إلقاء رمح أو اثنين على الهدف الذي تريد إصابته.

22

سطعت الشمس بشدة في شهر مايو على جدار توسينيامَّه الجنوبي الذي تقشَّر عنه الطلاء، وهكذا وُفِّر المال المخصص للتدفئة بالفحم في الأيام الصافية، شكَّل هذا مصدر ارتياح لكثيرٍ من الناس وليس فقط لـ إنجريه.

تمكنت من تخفيض دينها لدكان أوتَّار، وشُطب اسمها من سجل منفذ بيع الحليب، بدا أن الربيع قد اكتسب معنى جديدًا بالنسبة إليها.

لا تزال أعباؤها ثقيلة بما يكفي، لكن كأنها كانت تسير وهي تحمل مائة كيلوجرام على ظهرها ثم أُخذ منها خمسون.

لم تعُد أحزمة حقيبة الظهر تؤلم الكتفين إلى هذه الدرجة الآن، في وسع المرء أن يتذكر أنها كانت أسوأ في الماضي، فتحسنت الأمور.

كشطت إنجريه بعض الطين من مكان سري خلف الحقول، ذابت الثلوج مبكرًا هناك، قبع الطين في أسفل منحدر جنوبي لا يمكن رؤيته من البيت أو الطريق.

حملت الطين في دلوٍ وضعته على دراجتها القديمة السوداء، تركته يتدلَّى من المقود، ودفعت الدراجة لأنه كان كبيرًا وثقيلًا فلم تتمكَّن من ركوبها.

ثم رفعته وصعدت السلم، وأجَّجت النار في الموقد على الرغم من دفء الشمس، وسكبت الطين في إحدى صواني الخبز. لا بد من تحميص جميع الهوام، أحيانًا تنقذ دودة أو اثنتين وتخرجهما قبل أن تشعل الموقد، وأحيانًا تجاهلت تلك الحشرات. بعد عدة ساعات في الفرن تصلبت المخلوقات المسكينة كالعود فلم يعد من الممكن إنقاذها.

لم يكن لديها وقتٌ اليوم لانتقائها بعناية لأن عليها الذهاب إلى العمل خلال ساعات، وعليها الانتهاء قبل أن يعود هنريك إلى البيت، لقد كره النباتات الموضوعة في أصص.

كل ربيعٍ، تُخصِّص يومًا لتغيير الطين في تلك الأصص، وفيه تشعر أنها ترتكب فعلًا غير مسموح به، كما لو أنَّ شبابها وحيويتها عادا ولو ليومٍ واحدٍ.

رائحة الطين... يا إلهي! تغلغلت في أعماقها وغذَّتها بشيء ضروري في الحياة. ذكريات ... عن شيء آخر، شيء أفضل؟ لو أن المرء في وسعه فحسب أن يعيش في سلامٍ مع تلك الذكريات! لو أن في وسعه الجلوس براحة بالٍ ويتدفَّأ ويسعد باستعادة وجهٍ محبوب، أو يديْه ... حياة كان من الممكن أن...

لكن هنريك هو الذي **كان**، ولم تعجبه نباتاتها الموضوعة في أصص. فعل الأمور بطريقته الخاصة. لكنها تمسَّكت به على الرغم من ذلك،

وتمسَّـك هـو أيضًـا بهـا. كانـا كالأعشـاب البحريـة عنـد انخفـاض المـد، عالقَـين عـلى الصخـرة الجـرداء نفسـها، لكنهـما يتحـركان في دوائـر بعيـدًا عـن بعضهـما، بعيـدًا دائمًـا.

أضافت مزيدًا من الوقود إلى الموقد لتسريع العملية.

احمـرَّ وجههـا بفعـل الحـرارة، وفتحـت كلتـا النافذتـين. نظـرت لحظـة إلى الثلـج القـذر خلـف السـقيفة في الفنـاء. بـدأت الشـوارع تظهـر أسـفل الثلـج، قـضى الأطفـال أغلـب الوقـت هنـاك حتـى يـذوب الثلـج في الحقـول، في وسـعها سـماع أطفـال إليسـيف الصغـار يتشـاجرون هنـاك.. المسـاكين.

عـلى إنجريـه أيضًـا أن تبـدأ في إعـداد الخبـز الآن. مـا زال لديهـا وقـتٌ كافٍ. عليهـا اسـتغلال حـرارة الموقـد لمـا هـو أكـثر مـن تعقيـم الطـين، وإلا فـإن اسـتخدام كل هـذا القـدر مـن الوقـود نـوعٌ مـن الرفاهيـة، كأنـك تلقـي بالفحـم، مـن النافـذة، كـما اعتـاد هنريـك أن يقـول. إنـه يعمـل الآن لـدى داهـل، يسـاعد في المخـزن، بـدا كل شيء مرتبًـا اليـوم عـلى مـا يـرام.

مـن الجيـد أن لديهـا صينيَّتَـين للخبـز بمـا أنهـا تضـع الطـين في واحـدة. تـورا سـتراقب الخبـز حـين تعـود مـن المدرسـة، إنهـا تجيـد ذلـك.

شعرت أن المطالب والكآبة التي تنوء بها تتضاءل في أثناء عملها.

الأسـبوع القـادم سـتنظف بيـت الطبيـب، سـيعني ذلـك دخـلًا إضافيًـا إلى جانـب عمـل التعبئـة. تكلمـوا عـن الاسـتغناء عـن بعـض العـمال الفـترة القادمـة، لـذا مـن الأفضـل أن تجنـي المـال الـذي يمكنهـا الحصـول عليـه.

شـعرت بتعـبٍ غريـبٍ في الفـترة الماضيـة. ضايقهـا هـذا، وأشـعرها بالانزعـاج إلى درجـةٍ أنهـا لم تجـرؤ عـلى الـكلام مـع النـاس، خشـيت أن تتكلـم بقلـة تهذيـب.

الأمر لا يستحق ذلك.

اشـتدت آلام البطـن كثـيراً هـذا الشـتاء، مـرَّت عليهـا أيـام لم تسـتطع فيهـا الأكل.

لا بـد مـن شراء حـذاء وتنـورة جديديـن لــ تـورا. لا بـد مـن شراء ملابس جديـدة للعيـد القومـي 17 مايـو. لا يمكـن أن تظـل بملابسـها القديمـة لأنهـا ضاقـت عليهـا بالفعل.

ربما تطلب من راكيل ثوبًا يمكن إعادة ضبطه.

ظروفهـم ليسـت عـلى مـا يـرام هنـاك في باكيـورده عـلى الرغـم مـن قدرتهـم عـلى تسـيير الأمـور، لكـن مـرَّ وقـتٌ طويـلٌ منـذ ارتـدت راكيـل معطفهـا البنـي القديـم، ربمـا يمكنهـا الاسـتغناء عنـه.

رسـمت إنجريـه الخطـط، تحركـت يداهـا ببراعـة وحملتهـا سـاقاها بخفـة أينـما أرادت الذهـاب.

تمكَّـن هنريـك مـن الحصـول عـلى راديـو قديـم، تركـه مفتوحًـا صباحًـا ومسـاءً طـوال فـترة وجـوده في البيـت. أضفـى شـيئًا مـن الحيـاة عـلى البيـت، نعـم، لا بـد مـن الاعـتراف بذلـك.

في البدايـة شـعرت أنـه لم يجلـب سـوى الرعـب، لأنـه كان يتكلـم أحيانـًا عـن زمـن الحرب.

كـبر هنريـك في نظرهـا حـين جلـس يصلحـه حتـى تمكَّـن مـن الاتصـال بالعـالم، وحـين هـدر مثـل المحيـط نفسـه، فهمـت أن هنريـك في إمكانـه فعـل بعـض الأمـور. في النهايـة وصـل الصـوت إلى المطبـخ، ووقـف الثلاثـة يحدقـون إلى هـذا الجهـاز عـلى الـرف. تصاعـدت منـه الموسـيقى وهـذا بفضـل هنريـك.. كانـت أمسـية جيـدة.

خطـوات مسـحوبة عـلى السـلم، تعرَّفـت عليهـا! كان هـو، لقـد حـدث خطـأ مـا، عـاد إلى البيـت في وقـتٍ أبكـر مـن المفـترض، هـذا إذا كان قد ذهب إلى العمـل مـن الأسـاس، اسـتعدت إنجريـه لمواجهـة مـا لا يمكـن تجنبـه.

لم يكن ثملًا كما ظنَّت في البداية، فقط في مزاج للعراك.

- اللعنة، تشعلين الموقد والشمس ساطعة خلال النوافذ!

أجابت، وحاولت أن تبدو ودودة:

- لا بد أن أخبز الخبز.

- خبز! أنت تعتنين بزهورك اللعينة التي تنتصب في النافذة وتحجب الرؤية عن المرء.

- ششش.. قد يسمع الناس كم أنت منزعج. هل انتهى العمل عند داهل؟

- لا أهتم!

- ما هذا الكلام، أتريد أن تأكل؟

- لا.

ألقى نفسه على الأريكة في الركن، واعتقدت إنجريه أنه سينام، لكنه نهض فجأة وتوجه إلى النضد الذي تقف عنده وضربه بقبضته بعنف.

كانت صينية الخبز التي تحوي الطين موجودة على حافة لوح الخبز، فانقلبت على الفور، وانقلب الطين الساخن كالنار والصينية الأكثر سخونة في لحظة على ظهر يده.

صرخ هنريك وظل يسبُّ ويدور في أنحاء الغرفة، فتحت إنجريه صنبور الماء ليضع يده تحتها، لكن لا!

في ذلك الحين صعدت تورا السلم، عادت مبكرة عن موعدها، سمعت الجلبة ومنعها القلق من الدخول. لاحظت أن شيئًا على غير ما يرام من طريقة وضع هنريك لحذائه، وإلقاء قميصه على الأرض.

فكـرت في سـبب للذهـاب إلى منطقـة فاعريـه أو التوجُّـه إلى رصيـف المرفـأ، لكنهـا أدركـت أن أمهـا لا بـد قـد سـمعتها. أشـعرتها كنزتهـا الثقيلـة بالحـر، خلعتهـا في الردهـة، وفاحـت مـرة أخـرى رائحـة القرنفـل، كانـت مبتلـة عنـد الإبطـين.

نظـرت الأم إلى أعـلى عندمـا دخلـت، بـدا أنهـا تدرَّبـت عـلى ذلـك، وأومـأت وتظاهـرت أن كل شيء عـلى مـا يـرام، جلسـت تـورا في نهايـة الطاولـة.

وقـف هنريـك بجـوار الأريكـة محدقًـا بعبـوسٍ إلى يـده المحترقـة. قالـت إنجريـه كي تـشرح الأمـر:

- أحرق هنريك يده.

ورمقت هنريك بنظرة متوجسة.

لم ترد تورا، حاولت الأم مرة أخرى:

- عدتِ مبكرًا؟

- نعـم، رأت جُـنْ أن الطقـس جميـل، وأننـا في حاجـة إلى الخـروج في الشـمس بـدلًا مـن الجلـوس في الداخـل للدراسـة.

قال هنريك:

- نعم، تعرف تلك الفتاة كيف تحصل لنفسها على إجازة.

كـما لـو أن تـورا أفاقـت فجـأة. فهمـت كل شيء! فهمـت أن هنريـك عـاد إلى المنـزل، ولم تعجبـه عنايـة أمهـا بنباتاتهـا. فهمـت أنـه غاضـبٌ مـن شيء مـا وينفِّـس عـن غضبـه في أمهـا، في جُـنْ، فيهـا، أيًّـا كان السـبب. كأن نقطًـا حمـراء غائمـة بـدأت بالظهـور أمـام عينيهـا، اختفـى فيهـا ضـوء الشـمس. اختفـى كل شيء، تـلاشى كل شيء في الليـل الأسـود، في الخطـر، في العجـز والاشـمئزاز. كـما لـو أنهـا تـراه للمـرة الأولى عـلى أنـه شيء آخـر، عـلى أنـه ليـس قـدرًا مفروضًـا عليهـما ولا يمكنهـما تغيـيره.

أصبـح هنريـك إنسـانًا أيضًـا، مثـل الآخريـن جميعًـا، كان منكمشًـا هنـاك في الركـن، ولم يبـدُ مهـدِّدًا الآن في ضـوء النهـار... رأت تـورا أمهـا تنكمـش مـع كل كلمـة يرددهـا مـع أنهـا حاولـت التظاهـر بـأن كل شيء عـلى مـا يـرام.

شـعرت تـورا فجـأة أنهـا لم تعُـد قـادرة عـلى كبـت كلماتهـا أكـثر مـن ذلـك، لم تعـرف مـن أيـن أتـت، ولم تفكـر فيهـا، لكنهـا تدفقـت منهـا فحسـب:

- أعتقـد أن جُـنْ ليسـت الوحيـدة التـي تحـاول أخـذ اليـوم إجـازة؟ أليـس كذلـك؟

خيَّـم صمـتٌ غريـبٌ عـلى الغرفـة. بـدت الأصـوات القادمـة مـن الخـارج كالرعـد، صـوت القطـرات مـن الثلـج الذائـب عـلى السـطح كأنـه نذيـر شـؤم، لكـن الأسـوأ كان رد فعـل مامـا التـي حدقـت إليهـا بعينـين جاحظتـين، أصبـح كلُّ شيء غـير حقيقـي، شـعرت تـورا بصـوتٍ ضعيـفٍ قـادم مـن داخلهـا، مـن أعماقهـا.

تجمَّـدت إنجريـه ويداهـا الاثنتـان في عجـين الخبـز الأبيـض الرمـادي الـذي يغطـي معصميهـا.

طـارت ذبابـة كبـيرة أمـام السـتارة، كأنمـا أصابهـا دوار مـن الحـرارة والشـمس.

بعد ذلك اقترب منها، وقال:

- ماذا تقصدين؟

تشوَّه وجهه بفعل الغضب.

لم تفكـر تـورا أنـه سـيضربها، ليـس في وجـود أمهـا وعـلى مـرأى منهـا. حوَّلـت الصدمـة قلبهـا إلى طـير صغـير، لم تسـتطع السـيطرة عليـه، دق بسرعـة هائلـة، وصـار جسـدها بـاردًا.

لم يكـن الألم هـو الأسـوأ، ولا أنـه اعتصرهـا بـكل قوتـه إلى درجـة أنهـا عجـزت عـن التنفـس، وظلّـت معلَّقـة في الهـواء عـلى بُعـد سـنتيمترات مـن الأرض، ولا أنـه طرحهـا أرضًـا بقـوة، ووجَّـه إليهـا الضربـات بيـده السـليمة، لا، ولم يهمهـا الطنـين في أذنيهـا والوميـض أمـام عينيهـا.

مـا أهمهـا يـده الكبـيرة عـلى جلـد عنقهـا، اللمـس، الغثيـان، الاشـمئزاز مـن ملامسـة جلـده لجلدهـا، أمـام عينَـي أمهـا!

أدركـت أن أمهـا ركضـت وأمسـكت ذراعـه، تطايـر العجـين والدقيـق كعاصفـة في أنحـاء الغرفـة.

حـين اسـتخدم آخـر مـا بقـي مـن قوتـه لـضرب إنجريـه بقبضتـه، شـعرت تـورا أنهـا تطـير خـارج جسـدها.

نسيت من تكون، لم تصدق أن في وسعها الصراخ بهذه القوة:

- لا تضرب أمي! إذا فعلت ذلك سأقتلك!

لكنـه ضربهـا بالفعـل، عـدة مـرات، تدفَّـق الـدم طازجًـا وأحمـر مـن فـم إنجريـه وأنفهـا.

جذبـت إنجريـه منشـفة الأطبـاق بسرعـة ووضعتهـا تحـت وجههـا. أحـضرت تـورا منشـفة اليديـن السـميكة حـين تـسرب الـدم الغزيـر خـلال النسـيج الرقيـق.

وجـدت الذبابـة طريقهـا للخـروج، ودقَّ أحـد الجـيران بإنزعـاجٍ في مـكان مـا بالمنـزل، تقريبًـا جُنـدا التـي تسـكن الطابـق الأول، محاولـة النـوم في وسـط هـذا العـراك. وقـف هنريـك في منتصـف الغرفـة مباعـدًا بـين سـاقيه ومنحنيًـا قليـلًا عنـد الخـصر. قبضتـاه نصـف مضمومتـين، رأسـه بـارز للأمـام كأنـه حيـوان يشـعر بالتهديـد.

هدأ تنفُّسه الآن.

وفجأة بدا أن وجهه سينفجر، كما لو أنه على وشك البكاء، كما لو أنه ولد صغير خرب عش عصافير من دون قصد.

ثم مسح أنفه بيده، وخرج من دون أن ينظر إلى أي منهما. جلست إنجريه على مقعدٍ، ومسحت الدم.

بلَّلت تورا منشفة وعصرتها وأعطتها لها، لم تقولا أي شيء.

دُهشت تورا لأن أمها لم تبكِ، اعتادت البكاء حين يضربها.

لكن لقول الحق لم يحدث ذلك كثيراً، وليس بقسوة إلى درجة تدفق هذا القدر من الدماء. لقد فعل ذلك لأن تورا تفوَّهت فجأة بكلمات لم تفكر فيها، بالطبع، تسببت تورا في المتاعب دائمًا.

ذهبت إنجريه إلى العمل في المناوبة المسائية بخدها المتورم. وقفت في البداية تنظر إلى نفسها قليلًا في المرآة فوق الحوض، ثم تنهدت وارتدت السترة الصوفية البالية التي ترتديها تحت المئزر الأبيض في العمل، جمعت الأغراض التي تأخذها معها واستعدت.

فقط حين وقفت عند الباب ممسكة بحقيبتها الرثة، وقد ربطت وشاحها على شعرها، لمست ذراع تورا بلطفٍ، وقالت:

- بعد أن يسخن الفرن بما يكفي أدخلي الخبز، ولا تنسَي إخراجه بعد أن ينضج. ثم اكنسي الطين الذي سقط على الأرض. بعد ذلك، إذا أنهيت واجباتك المدرسية يمكنك الذهاب إلى الخالة راكيل، أو قابليني خلف مصنع داهل، حسنًا؟

أومأت تورا ثم ذهبت أمها.

سيمرُّ وقت طويل قبل عودته، عرفت ذلك، هذا ما يحدث دائمًا بعد الشجار.

أخذت نفسًا عميقًا، وأشعلت الفرن، وحاولت ضبط الحرارة بأفضل ما يمكنها. كان الفرن ساخنًا للغاية، حاولت بخطاف الفرن لكنها

فشلت وحاولت مرة أخرى. اللعنة عليها، إنها لا تستطيع أن تفعل ما هو أفضل من ذلك! لكن أمها كانت تفشل أحيانًا أيضًا، خاصة حين تشعر بالتعب.

لم تشعر تورا بالتعب، لكنها شعرت أنها سارت ليومٍ كاملٍ في طقس سيئ.

يداها خدرتان، وساقاها أيضًا، شيء غريب! لأن الطقس كان حارًّا.

وضعت تورا المناشف الممتلئة بالدم في وعاء ماء بارد، كما اعتادت رؤية أمها تفعل مع ملابسها الداخلية في "أيام دورتها الشهرية".

لم تأتِ "أيام الدورة الشهرية" لـ تورا بعد، ولم ترغب في ذلك، لكن سولْ أعدَّتها لذلك جيدًا.

تكلمت أمها في الأمر باقتضابٍ وهي تخفي نظراتها في الماء المصبوغ بالدم، ذات يوم حين عادت تورا لتجدها تغسل ملابسها الداخلية البيضاء.

الغريب أن هذا لم يكن له علاقة بالخطر، على الرغم من أنه أتى.. من هناك...

ربما حدث هذا لأنها وماما وسول تهامسن حول هذا الأمر، انغلقن عن العالم الخارجي كأن هذا سر يخصهن وحدهن، شيء لا بد من الاحتفاظ به سرًّا بالطبع لكن مع ذلك...

كان أمرًا عاديًّا وخطيرًا للغاية في الوقت نفسه.

أخبرتها سولْ أنها بكت كثيرًا في المرة الأولى لأنها لم تفهم ما يحدث، ومن المفترض أن تتعايش مع هذا الأمر طوال الحياة، على الأقل حتى تتقدم في العمر.

قالت سولْ إنه كان أمرًا مقززًا لكن سرعان ما اعتادته.

وقفت تورا منحنية فوق الدلو، ورأت الدم يصنع خطوطًا غريبة في الماء، وحوَّل الماء ببطء إلى اللون الوردي.

تحوَّلت بعض البقع الأكبر إلى كتلٍ صعبة، واستعصت على ترك المنشفة والنزول في الماء. ثم انفصلت البقع وصارت شاحبة أكثر فأكثر، وجعلت الماء حولها أكثر احمرارًا.

لولا علمها أن هذا دم لصار المنظر جميلًا بالنسبة إليها! للدم رائحة حلوة.

لا فرق بين رائحة الدم أيًّا كان مصدره، فقط إذا لم يكن قديمًا، فجأة تذكرت الرائحة المقززة التي عبقت بها شقة إليسيف في الشتاء، لم تترك أمها الدم حتى يصبح قديمًا قَطُّ.

فاحت رائحة الخبز! تصاعدت بقوة من الفرن الحديدي القديم.

بعد ذلك اليوم ربطت تورا دائمًا بين رائحة الخبز ورائحة الدم. خِرَقٌ مُدمَّمة وأصابع محترقة. الأمان واللعنة.

استقام ظهرها بعد أن وضعت منشفة فوق الدلو ودفعته أسفل الحوض. انحنت مرة أخرى وهي تنظر إلى باب الفرن لتتأكد أن الخبز لم يحترق.

نقلت الخبز إلى مستوى أعلى في الفرن، ووضعت ورقة زبدة فوق الأرغفة مثلما فعلت إنجريه حين يتبقَّى على النضج ربع ساعة، ثم بدأت تكنس الطين الذي على الأرض.

كانت إنجريه إنسانة منظمة، نادرًا ما فعلت عدة أمور في الوقت نفسه من دون إحكام السيطرة عليها، كما فعلت الخالة راكيل أحيانًا، لا، أدت أمها المهام خطوة خطوة بدقة.

لكن اليوم عمَّت الفوضى كل شيء.

كنسـت تـورا كميـة كبـيرة مـن الطـين عـلى المجرفـة، ووضعتهـا في صفائـح تعليـب السـمك التـي رصَّتهـا إنجريـه في خـطٍّ واحـدٍ عـلى النضـد. صنعـت إنجريـه ثقوبًـا بالمسـمار في كل علبـة، ووضعـت حـصى في القـاع كي لا يفسـد الطـين. مـا زال المسـمار والمطرقـة عـلى الطاولـة حيـث وضعتهـما.

لم تلاحـظ تـورا المطرقـة غـير الآن، اجتاحتهـا رغبـة عارمـة في ضرب شيء مـا، تـضرب فحسـب! تسـتخدم كل قوتهـا لتحطيـم شيء مـا.

لا، ليـس مجـرد **شيء مـا**... شيءٌ لا يعـود لـه بعـد ذلـك وجـود في الحياة، شيءٌ تزيلـه المطرقـة مـن حياتهـا. بيديـن مرتعشـتين أمسـكت المطرقـة، وظلَّـت عـلى هـذا الوضـع، ولم تعـرف مـاذا تفعـل، ثـم لاحظـت فجـأة أن أحـد أكـبر الفـروع في أجمـل نباتـات أمهـا قـد انكـسر.

أخـذت المطرقـة، ووضعتهـا في علبـة الأدوات في الردهـة، شـعرت كأنهـا نجـت مـن شيء مـا.

ثم توجَّب عليها دعم الفرع المنكسر بإبرة حياكة الصوف.

كان المجمـوع تسـع صفائـح. غمسـت تـورا يدهـا في الطـين الـذي بـرد بالفعـل، ومـلأت كل صفيحـة إلى منتصفهـا، شـعرت بالنظافـة والجـمال عـلى الرغـم مـن اصطبـاغ يديهـا بالسـواد.

رائحـة الأرض، رائحـة الشـمس القادمـة مـن النافـذة المفتوحـة، ملمـس الطـين عـلى الجلـد، شـعرت في أعماقهـا بالاكتـمال، نسـيت المطرقـة ونسـيته **هـو** أيضًـا، نسـيت كل شيء.

هـل شـعرت مامـا بذلـك أيضًـا؟ تسـاءلت تـورا، أنهـا بمجـرد غمـس يدهـا في الطـين نسـيت أي شيء يصيبهـا بالحـزن؟ ليـس الأمـر أن كل الأشـياء السـيئة قـد اختفـت، أنهـا لم يعـد لهـا وجـود.. لا، الأمـر فقـط أنهـا لم تعـد مؤلمـة.

تخيلت أمها وهي واقفة هكذا، يداها في الطين، وجهها شاحب يحيط به شعرها الأسود الغزير.

فكرت تورا بانتصار أن شعر أمها قد طال مرة أخرى، الكعكة المعقودة في الخلف التي تهدد دائمًا بانحلال عقدتها. لم يكن شعر أمها مجعدًا مثل باقي النساء العاملات عند داهل.

الآن كانت هناك بالأسفل في مكان التعبئة البارد، يداها ممتلئتان بشرائح الأسماك ومواد التعبئة.

في وسع اليدين أن تفعلا أمورًا كثيرة.. ما من خيار آخر، خاصة يدي أمها، لا تهدآن أبدًا.

وضعت تورا النباتات بحرصٍ في الصفائح الجديدة، وجمعت الطين حولها، وتركت مدخلًا للماء فقط.

ساعدت أمها من قبل فعرفت ما ينبغي فعله، وحين وقفت هناك وحدها تمامًا من دون أن يشاهدها أحد شعرت أنها ماهرة.

ثم استقرت الزهور هناك في الصفائح اللامعة التي بدت جديدة رغم وجود بقع قبيحة من صمغ البطاقات التي كانت ملتصقة بها.

أدارت تورا الجهات الملطخة ببقع الصمغ لتواجه النافذة، وأمالت رأسها لتتأمل عملها بإعجابٍ.

شعرت أن المنظر ينقصه شيء ما، بحثت في كل مكان بالغرف الثلاث عن الورق الذي يمكن وضعه حول الصفائح. أخيرًا وجدت لفافة من الورق الأخضر في الرف العلوي من خزانة المطبخ.

بيدٍ ماهرة، قصَّت الورق بمقاسٍ مناسبٍ كي تغلِّف به كل صفيحة. كافحت كي تعقد الأوراق على شكل أقواس، لكنها اكتشفت أن التغليف بشكلٍ منبسطٍ جميلٍ أيضًا، وبهذا لن يبدو مزخرفًا للغاية، اهتمت ماما كثيرًا بأمور كهذه.

ثم وضعت ورقًا حول حواف الصفائح من أعلى فلا يمكن لأحدٍ أن يعرف أنها مجرد صفائح تعليب السمك، لا أحد في العالم!

أمالت تورا رأسها، وبرز طرف لسانها الوردي من جانب فمها الأيمن. ستسرُّ ماما! ستجهز القهوة وتعد الشطائر وتضعها على الطاولة قبل أن تتوجه إلى لقائها، سيكون هذا لطيفًا!

نسيت تورا الخبز، لأنها اعتادت الرائحة، ولم تلاحظ أنها أصبحت أقوى فأقوى، وصارت الآن رائحة شيء محترق!

تكوَّنت قشرة سوداء على الأرغفة. أحرقت تورا يديها وهي تخرج الخبز من الفرن، وتكوَّنت حويصلات منتفخة في راحتيها، فجأة أوشكت على البكاء.

ظنَّت أن كل شيء صار على ما يرام مرة أخرى ثم نسيت الخبز!

دائمًا حين تظن أنك تغلبت على كارثة وتحسَّنت الأمور، يحاول شيء آخر إخراج الفرحة من جسدك دائمًا.. لماذا يجب أن تجري الأمور على هذا النحو؟

لكن ماما أحرقت الخبز في السابق أيضًا، رأت تورا ذلك، ربما ليس كثيرًا.. لكنها أحرقته!

إنهم يأكلون أربعة أرغفة من الخبز في الأسبوع، وهكذا لا بد من خبز أربعة أرغفة جديدة يوم الجمعة القادم.. لا يهم!

23

اعتقـدت تـورا أنهـا لم تـرَ سـول قَـطُّ مـن دون أن تحمـل الطفـل الصغير عـلى ظهرهـا، كـما لـو أنهـما إنسـان واحد.

حصـل توشـتاين عـلى وظيفـة في البلديـة، فتحسَّـنت الظـروف بقـدر توفـير الأحذيـة والخبـز، لكـن لم يتوفـر لـ سـول وقـت خـاص بهـا. عـدة مـرات، جـرت محـاولات لوضـع الأطفـال في مـكان مـا، منفصلـين أو مجتمعـين.

بالطبـع كان ذهابهـم معًـا أمـلًا مسـتبعدًا. ربمـا أراد النـاس أن تذهـب سـول المجتهـدة للعمـل في بيوتهـم، لكنهـم رفضـوا وجـود أطفـال يسـتخدمون الحفاضـات ويسـتيقظون باكـين في الليـل، وهكـذا ظـل الوضـع عـلى مـا هـو عليـه.

أتـت فانـدا، التـي تسـكن في منطقـة إلفـا، أيـام العمـل الأسـبوعية للعنايـة بالأطفـال، وطهـي الطعـام وترتيـب الملابـس في أثناء وجـود الأطفال الكبـار في المدرسـة. قـال النـاس إن البلديـة تدفـع لهـا أجـرًا مقابـل ذلـك.

لكـن في أوقـات بعـد الظهـر والمسـاء كان عـلى سـول الوجـود في البيـت والقيـام بـكل شيء. رأت تـورا سـول كأنهـا عـش نمـل، كل مـا حولهـا إمـا أن يتسـلقها، وإمـا يـدور حولهـا، وإمـا ينـام بجوارهـا طـوال الوقـت. ومـع ذلـك لم يكـن أيٌّ مـن هـذا يزعجهـا، فقـط تتحـرك قليـلًا إذا شـعرت أن المـكان مزدحـم أو أن الوضـع سـيئ.

أدَّت الواجبـات المدرسـية عـلى طاولـة المطبـخ، جلسـت عـلى مقعـد عـالٍ واضعـة سـاقًا عـلى سـاق والضـوء يغمرهـا مـن النافـذة في فصـل الضيـاء، لكـن في البدايـة أبعـدت جميـع المقاعـد الأخـرى كي لا يسـتطيع باقـي الأطفـال تسـلقها إليهـا.

جلسـت هنـاك غارقـة في أفكارهـا، عاليًـا، بعيـدًا عـن الأرض، كـما لـو أنهـا قـادرة عـلى فصـل نفسـها عـن هـذا العـالم، بالطريقـة التـي تغلـق بهـا الراديـو.

لكـن لم يكـن أطفـال إليسـيف مـن النـوع الـذي يسـبب كثـيراً مـن الصخـب فسـارت الأمـور عـلى مـا يـرام، يومًـا بيـوم.

كان الأطفـال دائمًـا مهمـة النسـاء، وإذا أخفقـت النسـاء لسـببٍ أو لآخـر لا يسـبِّب ذلـك سـوى المتاعـب للأطفـال، ولم يعـرف أحـد كيـف يتـصرف معهـم. قـد يحيـط بهـم كثـير مـن الآبـاء العاطلـين لكـن هـذا لم يفدهـم في شيء.

حلمـت تـورا أحيانًـا أن خالتهـا راكيـل أخـذت سـول وأطفـال إليسـيف جميعًـا في بيتهـا. اختلقـت قصصًـا عـن ذلـك حـين كانـت في السريـر، وأرادت أن تباعـد بينهـا وبـين الخطـر. كانـت قصصًـا جيـدة يمكنـك التفكـير فيهـا وقتًـا طويـلًا، مثـل قصـص برلـين والجـدة. ليـس عليـك أن تكـف عـن التفكـير فيهـا أبـدًا.

تخيلـت تـورا جميـع الأطفـال في باكيـورده، إنهـا مسـاحة كبـيرة! سـوف يحبونهـا! ربمـا يمكنهـا أن تكـون هنـاك أيضًـا، في عليـة النسـيج، هنـاك

متسع للأسرَّة لجميع الأطفال، وكان في وسعها أن تنام مع سول في الغرفة الصغيرة المضاءة بالمصباح ذي الظلة الخضراء.

لكن هذه كانت مجرد أفكار، إنها تفهم ذلك. حتى لو لم تنجب الخالة أطفالًا فمن المرجح أنها لن ترغب في قطيع كامل، خاصة الآن بعد الحريق.

ذات مساء، ظهر شخص جديد في فناء توسينيامَّه.

مخلوق نحيل متراخٍ وجدوه فجأة واقفًا بجوار السقيفة يتطلع بفضولٍ إلى الأطفال القادمين من المرفأ في مجموعات. كانت ساقاه وذراعاه طويلة على نحوٍ غير طبيعي، ورأسه كبير أكثر مما ينبغي بالنسبة إلى عنقه النحيل. لكن ملابسه هي التي جذبت الانتباه، كانت تلك الملابس تلائمه تمامًا. لم يرتدِ كنزة رثة أو مليئة بالثقوب، بدت جديدة تمامًا، ألوانها متناسقة ونقوشها جميلة كأنها كنزة فتاة.

همست سول وهي تنظر إلى الفتى الذي كان في سنها تقريبًا:

- وجدناه واقفًا هنا حين وصلنا.

لاحظوا أنه بلع ريقه عدة مرات. كانت تفاحة آدم كبيرة للغاية في عنقه، وظلت تختلج إلى أعلى وأسفل. بدا أن أمه اهتمت بملابس ابنها أكثر من اهتمام الرب بخلقه، لكن لم يهتم الأطفال من توسينامَّه بذلك.

سأل يورجِن بفظاظة، وهو مطمئن لدعم جميع الأولاد له:

- من أين أتيتَ؟

لكنه لم يستطع أن يسأل بالنبرة القوية نفسها التي اعتاد أُولَه أن يستخدمها مع أي قادمٍ جديد إلى منطقتهم، لأن ذهنه كان مشغولًا بفكرة أن هذا ولد حقيقي، كان هناك فائض من النساء في توسينيامَّه.

استعار يورجِن دراجة سوداء قديمة كانت مستندة إلى حائط السقيفة، وظل يقودها في دوائر حول الشخص الجديد، ثم أخذت الدوائر تصغر أكثر فأكثر حوله. في النهاية اقترب منه إلى أن كاد يخدشه، وصاح:

- من أنت؟

لكن الغريب وقف هناك فحسب من دون أن ينطق بكلمة.

وقف يورجِن بجواره تمامًا، وأعاد السؤال. ثم لوح الغريب بذراعيه في حركات مرفرفة غريبة لم يفهمها أحد. تعاظم فضول عصبة الأطفال، واقتربوا أكثر فأكثر كما لو أنهم منجذبون إلى مغناطيس، حتى الأطفال الصغار، أصغرهم كان على ظهر سول.

بدا الفتى الواقف بجوار السقيفة ودودًا مع أن الأطفال الآخرين اقتربوا في تهديد. بدا فضوليًا أكثر من كونه خائفًا لكنه لم ينطق بكلمة، وقف هناك فحسب.

سأل يورجِن، وقد وضع قدمه على الأرض، ليحفظ توازنه على الدراجة:

- ألا يمكنك التكلم؟

هزَّ الغريب رأسه بقوة. ضحك يورجِن وظل الباقون يحدقون إليه. لم يستسلم يورجِن، عادة لا يستسلم، مع أنه شابه أباه في مناحٍ أخرى.

- ما اسمك؟

فتح الفتى فمه لكنه أغلقه مرة أخرى. أتى بحركة عاجزة في الهواء، وظل محدقًا إلى وجه يورجن.

- هل أنت أبله؟

ترجَّل يورجن من الدراجة لأنه سمع الباب الأمامي يُفتح. أسند الدراجة إلى الحائط بجوار الفتى الغريب كي يقترب منه حقًّا. شقَّت سول طريقها بين الأطفال إلى المقدمة وقالت:

- اتركه وشأنه!

خرجت كلماتها بسلطة آمرة يحسدها عليها أي شخص يربِّي أطفالًا.

كانت سول أول من لاحظ أن هناك أمرًا غير طبيعي بشأن هذا الفتى، أن كل شيء ليس كما يفترض أن يكون، بالطبع فهمت سول أن هذا الفتى أبكم.

لم يبدُ عليه حتى إنه يسمع ما يقولون، لأنه على الأقل كان سيقترب بأذنه إذا كان سمعه ثقيلًا وهو ما لم يفعله. حدق إلى وجوههم فحسب. التفت بالجزء الأعلى من جسده للشخص الذي يكلمه فحسب. بدا الوضع غريبًا للغاية.

شعرت تورا بآلام تنهشها في صدرها حتى بطنها، ووصلت إلى المكان الذي لا يجب ذكره، صرخة من نوع ما.

لم تعرف السبب، كأن ينبوعًا من كل الآلام وكل الأمور السيئة وكل الظلال تدفق داخلها، ونظرت إلى الفتى الأبكم وفهمت، شعرت أنها عاجزة وغبية.

لم تقابل تورا إنسانًا عاجزًا عن الكلام من قبل.

24

لم يشكُ فريتس من أي علةٍ أخرى غير التي اكتشفها الأطفال في المرة الأولى.

تأكدوا من أنه أصم كما أنه أبكم، لكنَّ كثيرين يعرفون أن هذه هي الحال عادة إذا كان الشخص عاجزًا عن السمع.

وأحيانًا انفجر بالبكاء، لكن يورجن فعل ذلك أيضًا، إذا غضب إلى الدرجة الكافية.

شغل والد فريتس وظيفة كبير مسؤولي الآلات لدى داهل، ولم يعجب الناس في الجزيرة أن يحضر داهل شخصًا من الخارج لهذه الوظيفة، وقفوا في دكان أوتَّار مستندين إلى الجدران، وأقسموا إن كثيراً منهم يمكنهم تولي هذه الوظيفة.

اكتشف الأطفال أن فريتس قادر على الجري أسرع من تورا. لم يُحسِن الضرب، لكنه كان قادرًا على الدفاع عن نفسه ضد أطفال

فاعريـه فقـط لأنـه أبكـم، وشـكَّل هـذا نوعًـا مـن الإرهـاب بالنسـبة إلى الأطفـال.

- ها قد أتى الأصم الأبكم.

هكـذا تهامـس أطفـال فاعريـه فيـما بينهـم وتراجعـوا، وإذا حدثـت مشـاجرة وضـع الأطفـال مـن توسـينيامَّه فريتـس في المقدمـة، لأن الأصـوات الغريبـة التـي يصدرهـا تحمـل الآخريـن عـلى مهابتـه.

سـكن فريتـس ووالـداه أحـد الأكـواخ الخاليـة التـي كانـت جـزءًا مـن مصنـع برينـش للأسـماك، والآن أصبـح داهـل يمتلكهـا ويسـتخدمها للعـمال مـن غـير سـكان الجزيـرة.

كان لوالـدة فريتـس شـعر مجعـد واسـمها رانـدي، وهـو اسـم يليـق بفتـاة صغـيرة. قصـيرة وبدينـة بينـما زوجهـا وابنهـا طويـلان ونحيـلان. اتقـدت عيناهـا بالحيويـة، ونظـرت إلى النـاس مبـاشرة في أعينهـم.

كان بيتهـم غريبًـا، الأب خفيـض الصـوت ومبتسـم دائمًـا، إذا لم يكـن صامتًـا تمامًـا. أحبـه جميـع الأطفـال.

أمـا رانـدي فلـم تكـن تبتسـم فحسـب بـل تضحـك أيضًـا مثـل جُـنْ والخالـة راكيـل، وتتحـدث كثـيرًا. اعتقـدت تـورا أن جميـع النـاس الذيـن يضحكـون يتمتعـون بقـدرٍ كبـيرٍ مـن الحريـة، نعـم، لم يضحكـوا عـلى نحـو مصطنـع أو مزعـج مثـل الرجـال الذيـن يجتمعـون يـوم السـبت في الأكـواخ للثرثـرة وشرب الخمـر، لا، ولا مجموعـات الفتيـان الذيـن يمـرُّون بهـم وهـم في طريقهـم إلى بيـت الشـباب، لا، بـدا الأمـر كـما لـو أنهـم ممتلئـون بالطيبـة والبهجـة التـي لا يمكنهـم الاحتفـاظ بهـا داخلهـم.

تضحك راندي بقرقرة كصوت طائر الطيهوج في الربيع.

رأت تـورا أن أثـاث الكـوخ غريـبٌ بعـض الـشيء، بالطبـع يضـم الأشـياء الأساسـية الموجـودة في جميـع الأكـواخ: الطـاولات، الكـراسي، نضـد المطبـخ

وسريـرًا ذا طابقـين، موقـدًا فوقـه حبـل طويـل لنـشر الغسـيل كي يجـف، مسـمارًا لخطـاف الفـرن، مسـمارًا للمغرفـة بجـوار الحـوض، ورفًّـا عـلى الحائـط لوضـع الراديـو، لسـعداء الحـظ الذيـن يمتلكـون راديـو.

لكـن في منـزل عائلـة فريتـس، احتلَّـت الصحـف رف الراديـو. لأن الراديـو وُضـع داخـل خزانـة مطليـة بالورنيـش اللامـع بجـوار السريـر. كذلـك كان داخـل الخزانـة مشـغل أسـطوانات، أطلقـت رانـدي عـلى هـذه الخزانـة مقصـورة الراديـو، كانـت أشـبه بمعجـزة.

اتسـعت عينـا تـورا في اندهـاش حـين رأتهـا أول مـرة. مـن الواضـح أن فريتـس كان فخـورًا بتلـك الخزانـة لأنـه وضـع عـددًا كبـيرًا من الأسـطوانات عـلى العمـود الحامـل أعـلى قـرص الأسـطوانات الـدوار مـع أنـه لا يسـتطيع سـماع أي شيء. تـرك البـاب مفتوحًـا دائمًـا لمشـاهدة الأسـطوانة الجديـدة وهـي تهبـط كل مـرة. انبعـث مـن تلـك الأسـطوانات أصـوات آلات الأكورديـون والكـمان والجيتـار وحتـى الفلـوت وكذلـك الأغـاني! جلسـت تـورا واسـتمعت عـلى مفـرش السريـر المصنـوع مـن حياكـة الخيـوط. وفريتـس المبـارك، الـذي لم يضيِّـع تلـك الدقائـق الثمينـة بالثرثـرة! كان الأمـر يشـبه الحصـول عـلى عليـة مخـزن جديـدة، أكـثر دفئًـا وإشراقًـا.

لم يعُـد لعليـة المخـزن وجـود بعـد الآن، حـين تقـع لهـا المتاعـب تصبـح مـشردة مثـل ذبابـة غـير مرغـوب فيهـا، مثـل حلـزون في منتصـف مسـار سـيارة نقـل؛ لـذا لم يكـن هنـاك شيء لفعلـه سـوى الأمـل ألَّا يـأتي أحـد ويقـود السـيارة.

دائمًـا مـا نظـرت وهـي في فاعريـه إلى أعـلى حيـث جانـب المدخنـة التـي تـرك الحريـق عليهـا أثـره.

لا بـد أن السـطح كان مرتفعًـا إلى هـذه الدرجـة حسـب قدرتهـا عـلى الرؤيـة. شـعرت تـورا بالعجـز تجـاه وضـع لا يمكـن تغيـيره. ذبـل التحـدي

داخلهـا، أصبحـت شـخصًا آخـر بعـد الحريـق أيضًـا، تمامًـا مثـل الخالـة والعـم.

النـيران! في وسـعها تصورهـا، تـرى كراسـاتها تتطايـر مثل رقاقات سـوداء متفحمـة في الريـاح الملتهبـة، تراهـا وهـي تختفـي في البحـر، كأنهـا لم توجد عـلى الإطـلاق، آخـذة معهـا العزلـة الجميلـة وكل نغـمات الفلـوت المباركـة.

كانـت في برايلانـد عندمـا احتاجـت الكراسـات إليهـا، تمامًـا كـما كان أبوهـا ميتًـا دائمًـا عندمـا احتاجـت إليـه؛ هـو أيضًـا عجـز عـن مسـاعدتها، هكـذا هـي الحـال.

لكن حصلت على شيء بدلًا من كراساتها، شيء لا تحتاج إلى اختلاقه.

امتـلأ بيـت رانـدي وفريتـس بأشـياء كثـيرة تمـلأ العـين، الأرفـف مثـلًا، الكثـير مـن الأرفـف بـين النوافـذ!

صفـوف كثـيرة مـن الأرفـف المتراصـة فـوق بعضهـا، لا تحمـل قطعًـا للزينـة أو مزهريـات مثـل بيـت الخالـة راكيـل والعـم سـايمون، لا، كانـت مليئـة بالكتـب المتراصـة بعضهـا بجـوار بعـض، تقريبًـا مثـل المكتبـة، كل أنـواع الكتـب، المسـتهلكة والجديـدة، الرقيقـة والسـميكة.

لم يتسـع المـكان لهـا جميعًـا، لـذا وُضـع بعضهـا في صناديـق تحـت السريـر. ألقـت تـورا نظـرات خاطفـة عـلى الروايـات السـميكة، ونظـرت خلسـة إلى رانـدي لـترى هـل تتضايـق مـن تحديقهـا إلى الكتـب أو سـتلحظ أي كتـاب سـتختار.

لكن لا، انشغلت راندي بما تفعله، ولم تهتم.

لـدى رانـدي ماكينـة لحياكـة الخيـوط تصـدر نقـرات وهـي تعمـل عليهـا، وكانـت تعمـل عليهـا كثـيراً، تحيـك الملابـس للنـاس.

أحيانًـا، أعـدت مـشروب الـكاكاو وتـورا موجـودة، فيـما عـدا ذلـك جلسـت هنـاك في ركـن المطبـخ إلى ماكينـة حياكـة الخيـوط. مـن حـين إلى

آخـر، تلتفـت وتبتسـم لــ فريتـس وتـورا، وتبادلهـا تـورا الابتسـام، متعجبـة ومتحـيرة. فهمـت أن في هـذا البيـت مـن الأشـياء غـير المألوفـة مـا يتعـدى الكتـب وخزانـة الراديـو ومشـغل الأسـطوانات: الابتسـام لشـخصٍ آخـر، فقـط لمجـرد الابتسـام! شيء غريـب.

وجـدت تـورا كتابًـا ممزقًـا ومهترئًـا مـن دون غـلاف تقريبًـا، كان يحـكي عـن الحـب. فتـاة شـابة تزوجـت رجـلًا غنيًّـا مـن إنجلـترا وانتقلـت معـه إلى قـصره، ثـم بـدأت أمـور غريبـة وغـير سـارة تحـدث، أمـور لا تُحتمـل، حاولـت مديـرة المنـزل جعـل البطلـة ترحـل. وهنـاك أيضًـا زوجـة الرجـل الغنـي الميتـة، ريبيـكا! مـن الواضـح أنـه عاجـز عـن نسـيانها، كان الوضـع غـير محتمـل. انـزوت تـورا وهـي جالسـة عـلى مفـرش السريـر المحـوك بالخيـوط، وتكوَّنـت طبقـة رقيقـة عـلى سـطح الـكاكاو الـذي أخـذ يـبرد ببـطء، مـن دون أن يخبرهـا أحـدٌ أن عليهـا أن تشربـه.

سُـمح لتـورا أن تأخـذ الكتـاب معهـا إلى المنـزل. لم تعـرف أيُّهـما أفضـل، مشـغل الأسـطوانات أم الكتـب، أم الغرفـة التـي لا تحـوي أي ظـل للخطـر! أحيانًـا "تكلـم" فريتـس وورانـدي معًـا، حينهـا يسـتخدمان لغـة الإشـارة، تتحـرك أصابعهـما بسرعـة كبـيرة أمامهـما.

بالنسـبة إلى تـورا، كانـت تفهـم مـا تقولـه رانـدي لأنهـا تقـول بصـوتٍ مرتفـعٍ مـا تحـاول قولـه بأصابعهـا. حركـت فمهـا كـما لـو أنـه قُمـع، تزمُّـه وتمـدِّده وتجعـل الأصـوات تخـرج مـن شـفتيها كـما لـو أنـه مـن المهـم أن تصـدر كل هـذه الأصـوات الصغـيرة التـي تختفـي عـادة إلى الداخـل.

وفهمـت تـورا أن فريتـس قـادر عـلى قـراءة شـفتَي رانـدي.. أمـر غريـب.

حاولـت تـورا تعلُّـم لغـة الإشـارة أيضًـا، حـدث ذلـك ببـطء. لكـن فريتـس لم يتضايـق. بوجـه عـام، لم يتضايـق أحـد أو يغضـب في بيـت فريتـس، كان الأمـر غـير طبيعـي تقريبًـا.

تكلموا معًا كما لو أنهم لا يشعرون بخجل من إظهار محبتهم لبعضهم.

كانت الخالة راكيل والعم سايمون متحابَّين أيضًا، ومع ذلك قد يعلو صوتاهما على بعض، على الأقل رفعت الخالة صوتها حتى إذا قصدت المزاح.

لكن في بيت فريتس عُدَّ ذلك أمرًا مستبعدًا وغير لائق. تساءلت تورا عمَّا إذا كان ذلك بسبب أن فريتس أصم وأبكم.

أدى ذلك إلى إهمال تورا لـ سول وباقي الأطفال أكثر فأكثر كي تبقى في بيت فريتس.

حظت عيناها بمكان تنظران إليه طوال الوقت، ولم تضطر إلى الشعور بالقلق خشية أن تكشفها عيناها. فهي إما تنظر إلى الكتب، وإما إلى المنشفة المطرزة فوق الحوض. حملت المنشفة منظرًا للحقول والزهور والماعز وفتاة حمراء الوجنتين تطعم الماعز بيديها.

حملتها الموسيقى عبر الغرفة، وأدخلتها إلى الرسم المطرز على المنشفة الذي يصور صيفًا سرمديًّا.

كثيرًا ما شعرت بتأنيب الضمير من أجل سول وهي تسير عائدة إلى المنزل، شعرت أنها تخذلها، لأن سول لن تستطيع اصطحاب إخوتها الصغار جميعًا لزيارة فريتس والاستماع إلى مشغل الأسطوانات.

كانت سول سجينة.

عرفت تورا أنها تخذل سول، مع ذلك راودها شعور جيد بالعودة إلى المنزل في الجو الغريب الأزرق والإحساس بالحزن لأن سول سجينة.

ليس لأنها لم تتمنَّ أن تعيش سول حياة أفضل من ذلك، لكن فقط لأنه شعور جميل أن يحزن المرء بلطفٍ وشجن من دون أن يتغلغل الحزن إلى أعماقه ويؤلمه.

ذات ليلـة عنـد عـودة تـورا إلى المنـزل، رافقتهـا رانـدي إلى المدخـل الواسـع بالخـارج وقالـت: أنـت طيبـة يـا تـورا لأنـكِ تقضـين وقتًـا طويـلًا مـع فريتـس، وتتكبديـن عنـاء تعلـم لغـة الإشـارة أيضًـا!

وقفـت تـورا هنـاك، احمـرت وجنتاهـا خجـلًا، وهـزَّت رأسـها بقـوة. كان لديهـا الكثـير لتقولـه وتشرحـه وتمـتنٌّ مـن أجلـه، لكـن الأمـر سـيبدو سـخيفًا. اختفـى كل شيء خـلال أرض المدخـل المطليـة باللـون الرمـادي، وفي لحظـة فهمـت كيـف يبـدو الأمـر لفريتـس حـين كانـت تجلـس عـلى مفـرش السريـر المحـوك بالخيـوط وتسـتمع إلى الموسـيقى، أو حـين يلعـب الأولاد في فنـاء توسـينيامَّه مـن دون أن يضعـوا في اعتبارهـم أن عليـه التحديـق إلى شـفاههم كي يفهـم. خرجـت تـورا وسـارت في ليلـة ربيعيـة،

لم تعـد مباشرة إلى المنـزل، أرادت بعـض الوقـت لنفسـها. بدا أن سـاقيها حملتاهـا تلقائيًـا عـلى الطريـق الصاعـد إلى باكيـورده، حـين وصلـت إلى أعـلى حيـث أخـذت أشـجار البتـولا محـل شـجيرات الخلنـج، شـعرت أنهـا أُنقـذت بطريقـة مـا، توغلـت في الغابـة مـن دون أن تبحـث عـن مسـار أو فتحـة، غمرتهـا رائحـة براعـم شـجرة البتـولا.

جعلهـا ذلـك تشـعر كأنهـا شُـفيت بعـد مـرض طويـل، بالأعـلى عنـد الـركام الصخـري أسـفل قمـة فاتـان سـمعت صـوت طيـور الطيهـوج السـوداء تتصـارع وتصـدر ضجـة.

جلسـت تـورا عـلى رابيـة مكسـوة بالطحالـب أسـفل شـجرة دردار، ارتعـدت ركبتاهـا عـلى نحـوٍ غريـبٍ. كانـت الطحالـب نديـة، والثلـج قـد ذاب هنـا في الأعـلى، ويمكنهـا أن تـرى ظهـور نباتـات خـضراء جديـدة بـين الشـجيرات البنيـة الذابلـة.

بعد فترة شعرت أنها مستعدة للنزول مرة أخرى.

وسـلكت طريقًـا مختـصرًا تحـت دعائـم تجفيـف الأسـماك، وهـي تتنفـس الرائحـة الحامضـة المنبعثـة مـن الأسـماك التـي لم تجـف تمامًـا

بعـد، والأسـماك التـي سـقطت مـن الدعائـم وبـدأت تتعفـن، والرائحـة الغريبـة لطحالـب البحـر والهـواء المالـح الـذي يسـود وقـت الربيـع، علقـت الرائحـة بـكل شـخص وفي كل مـكان.

النـورس، كان النـورس حـرًّا وخائفًـا في الوقـت نفسـه، مثلهـا تمامًـا. تطلعـت إليـه، سـمعت صرخاتـه الحزينـة المدوية، الآن في وسـعها أن تشـعر بالشـفقة عـلى كائـن يتمتـع بحريـة أقـل منهـا، كأنـه شـعور مخمـلي خلـف جفنيهـا حـين تمسـدهما الريـح.

لم تتمتـع الطيـور الصغـيرة بالحريـة مثـل النـورس وشـعرت بخـوفٍ أكـبر. لم تتواجـد بكـثرة في فاعريـه، لكنهـا بنـت أعشاشـها داخـل الشـجيرات في الأعـلى في باكيـورده. شـعرتَ بالطيبـة في أعماقـك بمجـرد النظـر إليهـا. وددتَ لـو حملـت كل منهـا ودفأتـه بـين يديـك، لتشـعر بالمخالـب الدقيقـة والريـش الناعـم بـين أصابعـك.

وفكـرت في فريتـس الـذي لم يقـل أي شيء قَـطُّ، الـذي ابتسـم فحسـب وتـرك النـاس وشـأنهم.

25

لم يكـن التبايـن بـين توسـنيامه والأكـواخ حيـث عـاش فريتـس كبـيراً للغايـة مـن عـلى السـطح.

كان الطلاء متساقطًا في المكانين.

النـوع نفسـه مـن أحـواض الغسـيل، حتـى الشريـط المطاطـي المحيـط بالأحـواض كان هـو نفسـه.

كانـت أوجـه الاختـلاف أكـثر مـن أرفـف الكتـب ومشـغل الأسـطوانات والأسـطوانات.

لكـن الهـواء حمـل شـيئًا آخـر، في المنـزل خيَّـم الحـزن والقلـق ورائحـة الصابـون والخطـر المترصـد.

شـعرت تـورا بتأنيـب الضمـير للتفكـير عـلى هـذا النحـو لأنهـا عرفـت كـم تقـاسي أمهـا.

لكن المشكلة الرئيسة تمثَّلت فيه **هو**. ظلٌّ من نوع ما، خضوع أو تهديد لا يمكن تجاهله.

علَّمت تورا نفسها ألَّا تفكر في الأمر. من المرات القليلة التي تذكرت فيها **أنه** مجرد إنسان حين ضرب أمها في الربيع، الجنون الذي جعلها ترد عليه لكنه جعل الأمور أسوأ كثيراً بالنسبة إلى ماما.

رأت تورا أن وجهه يحمل ملامح بشرية، لكنها لم تعتد النظر إليه، أشعرها ذلك بقدرٍ هائلٍ من التقزز والألم.

لم يكن انفعال تورا غضبًا اعتياديًّا، لكنه فقط جعل كل شيء معقدًا أكثر، هكذا فكرت.

أحيانًا شعرت أنه تسبَّب في كوارث كبرى.

انطبق هذا على البكاء أيضًا.

لا يجوز أن يراك الناس بعد أن تبكي.

البكاء مخجل بطبيعته، ولذا كان أمرًا غير مفهوم وغير عقلاني بالمرة بالنسبة إلى الناس الذين رأوا آثار البكاء.

بعد احتراق مصنع العم، احتاجت تورا إلى الذهاب إلى الغابة للانفراد بنفسها، وحتى هناك كانت تشعر بهبَّة من الخطر بعدما صار الضوء ساطعًا على مدار اليوم، ولم تكن قادرة على الاختباء في الظلام.

خاصة بعد تلك المرة حين **رأته** وهو يتجوَّل بهدوء وسرعة حول حظيرة الخالة راكيل والعم سايمون.

لم تصدق تورا أنه تجول هناك بالأعلى، وظلت تشعر أن قلبها يغوص بين أضلعها لأنها لا تستطيع أن تأمن لقاءه حتى في الغابة أيضًا...

قالت إنجريه بصوتها المتذمر:

- لا يجب أن ترددي كثيراً على عائلة مونسن، أنت تزعجينهم فحسب، ليس لديهم سوى غرفة واحدة.

- إنهم مسرورون لأنني أقضي الوقت مع فريتس، هكذا قالت راندي هذا المساء، إنني طيبة لأنني أقضي كثيراً من الوقت معه.

- لماذا؟

- لأنه أصم وأبكم!

- كما لو أنه ليس من المفروض أن تقضي الوقت معه فقط لأنه أصم وأبكم؟

استندت إنجريه إلى الحائط وتثاءبت، لكنها قطبت ما بين حاجبيها:

- هذا ما أقصده أيضًا، لست أنا التي...

قاطعتها إنجريه بضيقٍ:

- نعم نعم، لكن لا يجب أن تظلي جالسة هناك طوال النهار. وصل السمك اليوم ولا بد أن أعمل هذه الليلة مهما كنت متعبة، عليك أن تعتني بنفسك يا تورا. في الدرج علبة كبيرة من الشوكولاتة، أحضرتها راكيل حين جاءت للزيارة، أخذت كل منا قطعة مع القهوة لكن ما زال هناك الكثير.

ضربت الكلمات تورا كأنها لكمة، كانت متأكدة أن أمها ما دامت لم تخرج حتى هذا الوقت المتأخر فلن تذهب إلى العمل هذه الليلة.

خلعت سترتها بجوار الباب، وعلقتها بتنظيم كي ترضي أمها.

رأت أن حذاءه غير موجود في الردهة بالفعل، وسُرت للغاية... هذا كل ما يلزم لجعلها سعيدة. فكرت على الفور أن تعد الشاي لها

ولأمها، وبهذا يمكنهما شرب الشاي وتناول الشطائر والتكلم معًا، ربما في وسعها أن تحكي لأمها عن راندي وفريتس.

فُتح الباب بالأسفل، وشعرت تورا بتقلص في بطنها.. هل كان هو؟

لا! لم يدُم ارتياحها طويلًا، لكنها حصلت على فسحة للتنفس، إرجاء.

لاحت الليلة أمامها كشتاءٍ كامل، باردة وذات ريح عاصفة والباب منفرج. لا مفر.

تعرف ماذا سيحدث.

مع ذلك ظلت تثرثر لأمها عن كل شيء، متظاهرة أنها لم تسمع أن إنجريه ستذهب إلى العمل. لم تُرد أن تشعر أمها أنها قيدٌ في قدمها، وهي مضطرة إلى الذهاب. تذكرت المرة الأخيرة التي حاولت فيها أمها التملص من العمل ليلًا وكادت أن تُطرد، لا، لديها الكثير مما يقلقها بالفعل.

قالت تورا وقد وقفت مولية إنجريه ظهرها وهي تصب الشاي في كوبها:

- يتكلمون عن كل شيء في بيت فريتس.

تحفزت إنجريه فجأة وقالت:

- ماذا تقصدين بـ"كل شيء"؟

- يخشون أن يخسر الأب عمله، ويقلقهم أن يبقى فريتس في المنزل بعد أن ينهي الدراسة في مدرسة الصم والبكم. يقولون إنه ذكي للغاية فلا يجب أن تُهدر قدراته هكذا. ويقولون إن النميمة منتشرة في فاعريه أيضًا.

توقفت عن الكلام، نظرت لها إنجريه بتوجسٍ:

- ثم؟

- ألا ترين أن من الغريب أن يتحدثوا في كل شيء بهذه الطريقة إذ أتمكن من سماعهم؟

- أي نوع من الناس هم؟

- عمل والد فريتس في البحر قبل ذلك، لكنه اضطر إلى العمل على البر لأن راندي كانت تخشى البقاء وحدها وقتًا طويلًا. ألا تعتقدين أن من الغريب أن تقول ذلك عن نفسها؟

- كلام فارغ، أعتقد أنها ثرثارة فحسب، لا تستطيع إغلاق فمها.

فسرت تورا بسرعة وندمت حين أدركت أن أمها أخذت انطباعًا مشوهًا عن راندي:

- إنهم لا يتكلمون عمًّا يفعله الآخرون.

- نعم، نسمع الموسيقى، لديهم أسطوانات كثيرة!

واصلت تورا الكلام بلا انقطاع لأنها خشيت أن تظن أمها أنها تذهب لمنزل راندي للنميمة.

- لا يجب أن ترددي هذا الكلام في أنحاء الجزيرة إذا كانوا حقًّا يخبرونكِ بأشياء لا يجوز أن تسمعيها أنتِ ولا أي شخص آخر!

صار صوت إنجريه حادًّا.. قليلًا، لكن بما يكفي، بدا خاويًا.

قالت تورا بهدوء:

- أنا لا أحكي لأي أحد سواك يا ماما.

وجلست عند طرف الطاولة، هذا ما يحدث غالبًا عندما تحاول تورا الكلام مع أمها، كما لو أن إنجريه تعلق "ستارة" بينهما.

توقفت كلمات تورا، علقت في هذه الستارة، ولم تخترقها قَطُّ.

- بالتأكيد تنحدر راندي من قوم أغنياء في مدينة بوده، أعطاها أبوها ماكينة لحياكة الخيوط ومشغل أسطوانات، مع أنها كبيرة وفي مثل عمرك.

لم يبدُ أن تورا قادرة على فقدان الأمل هذه الليلة، ظلت تتكلم وتتكلم كما لو أنها تخشى أن تختفي أمها إلى الأبد إذا غادرت.

ردَّت إنجريه:

- نعم نعم.

وقفت واستعدت للذهاب، أمسكت حقيبتها في يدها، ووجهت إلى تورا تعليمات عن الإضاءة والتدفئة.

كانت تورا تنصت بالفعل لصوت فتح الباب بالأسفل.

شعرت بالغثيان والدوار، بتقلصات في أسفل بطنها، قلقٌ من نوع ما، لا، خواءٌ بعد جرح، لن تترك أمها تذهب، لا يمكن! عليها أن تختلق أي شيء، تتبعها إلى الفناء؟ نعم!

ركضت تورا على السلم، أرادت أن تمشي معها قليلًا. ثم تذكرت أنها لا ترتدي ملابس الخروج. وقفت وفكرت في الذهاب إلى الحمام.

عبرت إنجريه قائمتَي الباب الخارجي بالفعل، التفتت حين سمعت ابنتها تتبعها، رفعت يدها عاليًا.

توقفت تورا مكانها حائرة، ثم رفعت هي أيضًا يدها العاجزة.

ظلت تورا مكانها برهة، تنظر في اتجاه أمها وتشعر أن الليل ليس له معنى.

ثم دخلت الحمام الخارجي ببطء وأغلقت الباب. هناك كانت وحدها.

لاحظت ما حدث بعد أن جففت نفسها.

دم!

في البدايـة رفضـت التصديـق، أول مـا خطـر ببالهـا أن تجـري خلـف أمهـا، ثـم أدركـت أن هـذا سـيكون غبـاء منهـا لأنهـا سـتزعج أمهـا وهـي مضطـرة إلى الذهـاب إلى عملهـا عـلى أي حـال. وقـد أصبـح الـدم هنـا بالفعـل، لا أحـد في العـالم يمكنـه تغيـير ذلـك، هـذا مـا عرفتـه عـلى الأقـل، جـاء الـدم ليبقـى، وفجـأة أصبحـت تـورا أخـرى.

تورا لم تكن تعرفها.

سول! يمكنها أن تنادي سول؟

لكـن لا، سـول الآن تأخـذ الأطفـال الصغـار للنـوم، سـول لديهـا مـا يكفيهـا، لقـد سـمعت الأصـوات مـن أعـلى، دق وركـض مـما يعنـي بـدء معركـة الليـل.

جففـت تـورا نفسـها، ووضعـت قطعًـا مطويـة مـن ورق الصحـف في لباسـها الداخـلي كي لا يتـسرب الـدم حتـى تعـود إلى البيـت. كان الوضـع سـيئًا بالفعـل. احتـك الـورق بجلدهـا، مولـدًا إحساسًـا غريبًـا وغـير مألوف. تحركـت بتخشـب ومشـت ببـطء عـبر الفنـاء، صعـدت السـلم ودخلـت المطبـخ.

طـوال الوقـت تحـاول ابتـلاع شيء ظـل يريـد أن يصعـد إلى حلقهـا، سـخنت المـاء للاغتسـال، واغتسـلت بسرعـة وقلـق، وهـي تحبـس أنفاسـها وتتسـمع الخطـوات الثقيلـة عـلى السـلم وصـوت فتـح البـاب.

جـاء شـخص مـا مرتـين، عندهـا أنزلـت تنورتهـا بسرعـة وهرعـت إلى غرفتهـا، أسرعـت إلى درجـة أنهـا شـعرت أن قلبهـا لم يرافقهـا. لم يعـاود الخفقـان إلى أن زال التهديـد، وعـبرت الخطـوات بـاب شـقتها.

انتهـت وأحرقـت أوراق الصحـف في الموقـد، كان هـذا سـهلًا، السروال الداخـلي نفسـه هـو المشـكلة، وضعتـه في دلـوٍ ممتلـئ بالمـاء وغطَّتـه.

وجدت سروالًا داخليًّا قطنيًّا ناعمًا ونظيفًا، ثم أخذت قطعة قماش وثبتتها بدبوسَي أمان في سروالها الداخلي كما سمعت أن سول تفعل في الفترة الصعبة.

ثم أزالت كل الآثار بحذر، كما لو أن الاغتسال في حد ذاته شيء مخجل ولا بد من إخفائه.

تلك الليلة لم تضع تورا السكين في الباب، اتضح أنها بلا فائدة. كل ما فعلته أنها منحتها وقتًا لتسمع وتستيقظ وتستجمع قوتها وتخدر مشاعرها أمام شيء كانت تعرف أنه آتٍ لا محالة، تفصل نفسها عن جسدها، وتتخلص منه مثل قطعة ملابس مستعملة ملقاة على السرير.

لكنها شعرت هذه الليلة أنها لا تستطيع فعل ذلك بعد الآن، تعبت، أصبح كل شيء ساحقًا بالنسبة إليها، لم تعرف حتى إذا كان في وسعها الاستمرار هكذا.

قادتها قوة لم تستطع السيطرة عليها لإحضار سكين أمها الكبيرة الخاص باللحم، الطويلة الحادة. آمنة أكثر من سكين التقشير.

وضعتها تحت اللحاف في غرفتها، شعرت ببرودتها الثلجية على جلدها. لكنها صارت دافئة مع الوقت وأصبحت ساخنة كأنها وُضعت في الموقد.

لسعت ذراعها حين اصطدمت بها.

كلما نامت استيقظت فزعة.. السكين!

شمت رائحة الدم، دم طازج تمامًا.

لكن لا أحد في الغرفة سوى تورا، تورا الجديدة!

لاح القمر خلال النافذة، شاحبًا في الليلة الربيعية والسماء الصافية، حدَّق إليها، لا يسأل عن شيء، لا يريد أن يعرف، لا يريد أن يفهم، لا يريد أن يشارك في الأمر.

رفرفت الستائر في النسيم الآتي من النافذة المفتوحة، الملاك معلق فوق السرير كظل خائف من الظلام.

ظلت رائحة الدم جاثمة طوال الوقت.

ارتعدت تورا لساعات، غير قادرة على النهوض لإغلاق النافذة.

ثم جاءت شمس منتصف الليل بأسهمٍ من الضوء على جلد جفنيها الرقيق. عشَّش التعب والبرودة أسفلَ بطنها وتمدد إلى باطن فخذيها. لا تستطيع حتى لمس نفسها كي تحاول أن تشعر بالدفء.

السكين!

استيقظت فجأة، كان الباب منفرجًا! أصبحت الحياة قاهرة وحالكة الظلمة، لا يوجد مخرج آخر!

السكين!

أضاءت الشمس نقشًا لوردة حمراء على بلاط الأرضية.

في اللحظة المهمة كان هذا الدرع آمنًا مع أنه كان هشًّا. أنقذ فتيات ونساء من قبل، مع أن تورا لم تعرف ذلك.

وردة جافة من الدماء، وردة حمراء قانية في سروال الألعاب الرياضية الأزرق القصير الذي صنعته بنفسها في حصة التدبير المنزلي، ومعه صدار لكنها لم تلبسه.

لم يكن لديها سروال داخلي نظيف في اليوم السابق ... اليوم السابق لأمس ... لذا ارتدت السروال القصير.

غـرزٌ مرتبـة جميلـة مخيطـة باليـد، قالـت كل مـن أمهـا وجُـنْ إنهـا أحسـنت عملهـا.

خِيط بغرز متباعدة ثم نهائية، وحتى شريط التثبيت صنع منزليًّا.

تركتـه يسـقط بجـوار السريـر. في المنفـرج وردة مـن الـدم، لتحميهـا مما لم تسـتطع حمايـة نفسـها منـه. يـدان وحشـيتان، خطـر وحـشي، الليل.

أصـدر البـاب بعـض الصريـر، ثـم سـاد الصمـت للَّحظـة التـي اسـتغرقها الـدرع كي يقـف للحمايـة وللشـمس كي تلعـب دورهـا، أُغلـق البـاب.

لا مزيـد مـن الصريـر حتـى سـمعت خطـوات أمهـا عـلى السـلم. جريـان المـاء في المطبـخ.

مـددت تـورا سـاقيها، شـعرت بالـدفء يـسري غـير متيقـن بداخلهـا، كـما لـو أنـه لا يجـرؤ حقًّـا.

شـعرت بالقـماش المتصلـب الغريـب بـين فخذيهـا، لم تهتـم بملمسـه حتـى الآن.

سمعت أمها تفتح باب غرفة المعيشة.

26

لن تصبح تورا أمًّا أبدًا.

قطعت على نفسها عهدًا مقدسًا، لن تكون متدينة مثل إيليسف أيضًا، لن تتزوج أي أحد مثل... **مثله**. أبدًا! لن تنزل إلى قبو رطب لغسل جوارب شخص ما وملابسه الداخلية.

امتنَّت السيدات اللاتي يعشن في توسينيامَّه لأن لديهن هذا القبو لغسل الملابس كانت الأرض أسمنتية فقط حيث رُكِّبت بالوعة الصرف وخرطوم المياه. لكنها كانت غرفة غسيل على أي حال، وجودها جيد في الشتاء حتى إذا لم تكن دافئة. لديهن الموقد القديم ذو المدخنة غير القانونية المتصلة بالمدخنة الرئيسية المتشققة. في وسعهن غلي قِدرَين من الملابس معًا في الأوقات الطارئة. إذا ارتديتَ الملابس المناسبة واثنين من الجوارب داخل حذائك المطاطي لن تعاني كثيراً. هذا إذا لم تكن كسولًا، ولم تؤجل الغسيل لشهر، فلن تضطر إلى الوقوف بالأسفل كي تغسل ليل نهار، لكن الناس الذين يفعلون ذلك يستحقون ما يحصلون عليه في رأي يوهانه.

لـكل امـرأة في توسـينيامّه يـوم في جـدول الغسـيل. آينـار السـاكن في عليـة الشرفـة لـه يـوم خـاص أيضًـا، لكنـه لم يحسـن غسـل ملابسـه، الرجـل المسـكين. أحيانًـا تنـزل يوهانـه ملابسـه مـن منـشر الغسـيل وتنقعهـا في المـاء مـرة أخـرى، ويصيـح بهـا آينـار حـين يكتشـف ذلـك. يمـد عنقـه ويكاد يلصـق وجهـه بوجـه يوهانـه وهـو يصيـح بهـا، لكـن يوهانـه اعتـادت الرجـال الأفظـاظ وأخـذت الأمـر ببسـاطة.

قالت يوهانه:

- لم ننـشر ملابـس داخليـة غـير نظيفـة هنـا قَـطُّ! ولـن نبـدأ في ذلـك الآن! جـد شـيئًا كي تغـلي فيـه ملابسـك الداخليـة أيهـا الحقـير.

لكـن الويـل لمـن تسـتخدم غرفـة الغسـيل في غـير يومها! سـتجد نفسـها تتعـرض للتوبيـخ إلى مـن أعلى السـلم إلى أسـفله.

لكـن نـادرًا مـا حـاول أحـد السـطو عـلى يـوم شـخص آخـر. اعتـاد الجميـع النظـام. لتوسـينيامّه قوانينـه القليلـة التـي لا يمكـن التحايـل عليهـا، في الحـرب كـما في السـلْم.. أحدهـا كان نظـام الغسـيل.

سـتحصل تـورا عـلى بيتهـا الخـاص حـين تكـبر، مثـل الخالـة راكيـل. لم تـرد أن يوبخهـا أحـد. أقسـمت تـورا عـلى ذلـك لنفسـها وهـي جالسـة عند بسـطة السـلم أمـام شـقة إليسـيف تـواسي سـول بسـبب توبيـخ يوهانـه لهـا لأنهـا غسـلت في غـير يومهـا.

لقـد نزلـت إلى قبـو الغسـيل، ووضعـت الحفاضـات في المـاء في يـوم لا يخصهـا، بالتـالي كان حـوض الغسـيل الخشـبي مشـغولًا حـين نزلـت يوهانـه. لم تركـز سـول في أيـام ذلـك الأسـبوع، وخلطـت بـين يومـي الأربعـاء والخميـس لأن الحفاضـات النظيفـة نفـدت لديهـا، هـذا مـا حـدث باختصـار. لم تكـن سـول متزوجـة وحتـى إن تعميدهـا لم يُثبَّـت بعـد، لكنهـا كانـت حبيسـة في نمـط حيـاة ليـس لديهـا أدنى فرصـة للخـروج منـه.

لكـن كان لـدى سـول أحـلام لا يسـتطيع أحـد مشـاركتها فيهـا أو أخذهـا منهـا. في إمكانهـا الجلـوس عـلى الكـرسي بجـوار المطبـخ واضعـة سـاقًا فـوق سـاق والتحديـق خـارج نافـذة المطبـخ بينـما تمضـغ قلمهـا الرصـاص الأصفـر، تحـدق وتحـدق إلى شيء رائـع خفـي عـن الآخريـن جميعًـا.

وصار يوم الأربعاء يوم الخميس من دون أن تعرف كيف حدث ذلك.

الهروب! الهروب من الجزيرة! كان هذا هدف الاثنتين!

شهقت سول قليلًا، ومسحت أنفها في سترتها.

وافقتهـا تـورا لكنهـا لم تقـل شـيئًا، أومـأت فحسـب وجمعـت ضفيرتيهـا في نقطـة تحـت ذقنهـا.

لكنهـا لم ترغـب في الاضطـرار إلى الهـرب! يومًـا مـا سـتقدر تـورا عـلى إخبـار جميـع مـن تقابلهـم أنهـا، ابنـة إنجريـه، ستسـافر لفـترة مـن الوقت.

لم ترغب في فعل شيء يضطرها إلى السفر كما اضطرت أمها ذات يوم...

ولم ترغب أن تُبعد مثل إليسيف.

لا، كانت تريد السفر بإرادتها الحرة ولأنها قررت ذلك.

لن تدع الأمور التي تعرفها النساء الكبار وحدهن تقرر، أبدًا!

وأيضًـا لم ترغـب في الهـرب مثـل أبـو بنـت يـاني التـي تعمـل في دكان صغـير، ذلـك الغبـي!

لا، سـيكون لديهـا سـببٌ وجيـه، سـببٌ طبيعـي مثلـما ذهبـت خالتهـا إلى برايلانـد لإصـلاح أسـنانها، نعـم طبيعـي مثـل الربيـع والمطـر.

وسيُسـمح لهـا بالعـودة مـن دون أن يطردهـا أحـد! وسـتعود وقتـما تشـاء، عـلى نحـو طبيعـي مثـل شـمس الربيـع وبراعـم الشـجر.

لـدى فريتـس سـببٌ مثـل هـذا، لكنـه اشـتاق إلى بيتـه حـين كان بعيـدًا في المدرسـة، مـع أن الجميـع هنـاك كانـوا طيبيـن معـه للغايـة.

أخبرها ذلك بلغة الإشارة، ببساطة، بطريقة مباشرة، لكنه حكى بطريقته الخاصة، وفهمت تورا من عينيه، من وجهه بأكمله.

في مقدورهما أن يجلسا ساعات على مفرش سريره المحوك بالخيوط لتتدرب تورا على لغة الإشارة.

كان الأمر ممتعًا، لكنه تقدم ببطء. علَّمت الأطفال الآخرين أسهل الإشارات، لكنهم لم يتحلَّوا بالصبر لاستخدامها عندما يلعبون جميعًا بالخارج. تقدمت تورا على الأطفال الآخرين وأصبحت فريدة على نحوٍ ما لأنها نجحت في تعليم نفسها، منحها ذلك شعورًا جيدًا.

قالت جُنْ إن هذه معرفة مفيدة، عندما سمعت بالأمر. اعتقدت تورا أن ذلك أفضل بكثيرٍ ممَّا شعرت به عندما كانت هي وسول أول من تعلَّم لعبة الكلمات المسمَّاة لغة الغراب في سنٍّ أصغر. طلبت جُنْ من الأولاد أن يصطحبوا فريتس للمزرعة ليكون معهم عندما يأتون للدراسة.

لكن فريتس هز رأسه كلما طلبت تورا منه ذلك، ولم يكن راغبًا. وقالت راندي إنه في الخريف، في شهر سبتمبر، على فريتس أن يعود إلى مدرسته.

وتعلقت عيناها بابنها في عجز.

جلست تورا على السلم مع سول، وفكرت في كل ذلك، بينما نفست سول عن غضبها وإذلالها.

لكن لا بد أنه من الجميل أن تكون مثل فريتس، أن يكون لسوء حظك اسم، اسمٌ يعطيك سببًا للرحيل، ويجعل الناس يشتاقون إليك عندما تغيب.

27

ـ كُتب هنا أن باخرة ألمانية اسمها هاينريش كوفمان كانت تصطاد داخل حدود منطقة فينهوملين!

قرأ أوتّار للرجال بصوتٍ مرتفعٍ، أخذ استراحة قصيرة على الرغم من وقوف طفلَين في انتظار دوريهما، لم يكونا في حاجة إلى تعلُّم مزيدٍ من العادات السيئة. هما، أيضًا، عليهما تعلُّم الانتظار.

فتحت تورا فمها في دهشة، كانت فرحتها كبيرة حين حصلت على 85 كرونة من أمها، لكن الفرحة تلاشت في لحظة. قال هوكون:

ـ أطلقوا النار على هؤلاء الشياطين.

ونقل الغليون من جانب فمه إلى الجانب الآخر. قال أوتّار:

ـ هناك المزيد حول هذا الأمر.

وبدأ يقرأ مرة أخرى.

- لديهم 10 أطنان من السمك على متن الباخرة. والآن طُلب منهم المجيء إلى محكمة هامرفست. قد يكون هذا مفيدًا، لكنني أفكر في كل من لم يُقبض عليهم.

قال آينار، وهو يجلس على الكرسي الفارغ بجوار النضد:

- أوه، حسنًا، ربما ليسوا جميعًا من الجستابو، هؤلاء الكلاب الذين يسرقون السمك!

تابع أوتَّار:

- هناك المزيد.

اليوم، كان أوتَّار يقدم أخبار العالم الكبير إلى آينار البسيط من توسينيامَّه والآخرين. أعجبه الدور ونسي تمامًا الأطفال المنتظرين لشراء الأغراض.

- عشر سنوات من احتلال ألمانيا الغربية انتهت اليوم. فقط انتظر! خلال عدة سنوات سنجدهم فوق رؤوسنا مرة أخرى، بالقنابل والصواريخ أيضًا. لا أعرف لماذا لم يعتصر الحلفاء الحياة منهم حين واتتهم الفرصة.

قال آينار وهو يسعل بخفة:

- حسنًا، إنهم بشر أيضًا رغم كل شيء. ليسوا جميعًا سفَّاحين. ولا أعتقد أن الأمور سارت على نحوٍ جيدٍ بالنسبة إليهم أيضًا في أثناء الحرب. علينا أن نتذكر...

فجأ أفاق كورنيليوس الجالس عند نضد البيع وقال بسخرية:

- ماذا أصابك؟ هل جئتَ من الكنيسة للتوِّ؟

قال آينار:

- لا، لكنني أعتقد أننا يجب أن نبدأ من جديد ونمنح أبناء الشياطين فرصة أخرى.

صرخ كورنيليوس بغضب:

- كم تنسى بسرعة! ربما أنت تمامًا مثل الذين كُتب عنهم في هذه الجريدة. دعني أرى... مكتوب: "الاحتفال بمرور 10 سنوات على الحرية! دقيقتا صمت الساعة 12، قرع أجراس الكنائس لعشر دقائق. علّمتنا الحرب أن نقدِّر الحقيقة والحرية والوطن واحترام قيمة الإنسان!". أوف! اللعنة، دقيقتا صمت تكريمًا لخمس سنوات من الحرب، هه؟!

رد آينار:

- لم آخذ جانب الناس هؤلاء المهمين قَطُّ، ليس إذا تعلقت المسألة بأصواتٍ عالية أو دقيقتَي صمتٍ مكرِّمتين كالجحيم! وأنت تعرف ذلك جيدًا، لكنك تعرف جيدًا أيضًا مَن الذي يتحمَّل المعركة حين تندلع حرب. الناس المساكين! الناس مثلي ومثلك! ومن مصلحتنا أن تتوقف هذه الشيطنة وهذه الحرب، أنت لا تفهم أيُّها الغبي!

قال أوتَّار، وقد وقع نظره على تورا:

- كفى، لا تتشاجرا، لا نريد شجارًا هنا.

سعل بخفة، وأومأ إلى تورا فتقدَّمت إلى الأمام، شعرت كأن النار اشتعلت في مؤخرة عنقها حين تذكر جميع الرجال مَن تكون، لكنها تمالكت نفسها، ونظرت مباشرة إلى أوتَّار وهي تناوله الورقة التي كتبتها أمها والـ 85 كرونة.

كُتب على الورقة: "أرسل مع تورا 2 كيلو جرام من الدقيق "أسمر"، وعلبة كبريت وثُمن خميرة، والنقود لتسديد الأغراض السابقة".

رفعت تورا ذقنها إلى أعلى، ونظرت إلى فُرش الدهان المعلقة على حافة الرف أمامها مباشرة.

فجأة ساد الصمت في الدكان.

حين خرجت إلى الطريق غمرها شعورٌ غريبٌ بالامتنان تجاه آينار الساكن في علية الشرفة الذي لا يحب الأطفال لكنه رآها طوال الوقت. تكلم بطريقة أعفتها من سماع الأمور السيئة.

وفهمت تورا أن الناس ليسوا كما تقول الشائعات عنهم. قررت ألّا تصدق كلمة من النميمة المنتشرة في فاعريه عن سرقة آينار للأغراض مثل الغراب، لأن آينار شخصٌ من النوع الذي يرى ويسمع، وهذا أهم ما يتميز به الناس.

ظلّت تركل الحصاة الصغيرة نفسها طوال طريقها إلى توسينيامّه، حتى مع علمها أنها يجب ألا تفعل ذلك، هذا الحذاء يجب ألا تفعل به ذلك، الحذاء جديد تمامًا وهي ترتديه فقط لتعتاده قبل العيد القومي.

تصاعد هديرٌ صاخبٌ في أعماق تورا، هل أتى من البحر؟ أم من الغابة التي لم تتّشح بالخَضار بعد. أم من نغمات الفلوت في أعماقها، من يقين جرأتها على النظر في عيني أوتّار وهي تسلّمه النقود.

الأمواج! حملت قدرًا كبيرًا من القوة، قدرًا كبيرًا من الحنان.

تردّد هدير البحر في صدفة عملاقة. اعتقدت تورا أنها تسمع أنغامًا قادمة من خارجها، من سياق أكبر من الذي حصلت عليه وهي داخل دكان أوتّار. عرفت أن هناك حقائق أكبر بكثيرٍ ممّا تكلموا عنه هناك.

لكنها لم تستطع صياغتها في كلمات. في وسعها أن تشعر بالفرح بسببها فحسب، فرح يمكنها إخراجه واستخدامه حين يحل الظلام وحين تحتاج إليه.

28

خلقــت القطــع المحوكــة بالخيــوط نمطًــا متنوعًــا. جميــع درجــات خيــوط اللــون الأحمــر مرتبــة بجــوار بعضهــا.

تركـت رانـدي ماكينـة حياكـة الخيـوط تعمـل. كانـت قـد أهـدت تـورا بالفعـل مفـرش السريـر الـذي لم ينتـهِ بعـدُ.

تسـوَّلت تـورا خيوطًـا حمـراء مِـن جميـع مَـن تعرفهـم، حتـى جُـنْ أعطتهـا القليـل.

لكنها لم تطلب من أمها.

أخـذ المفـرش يكـبر، وكلـما ذهبـت تـورا إلى فاعريـه لـشراء الحليـب مـرَّت بمنـزل فريتـس ورانـدي كي تـرى تقـدُّم العمـل في المفـرش.

طلبت منها راندي دائمًا أن تبقى قليلًا.

كانـت السـاعات التـي تقضيهـا هنـاك جميلـة. احتفظـت تـورا بتلـك السـاعات في أعماقهـا، وتطلعـت إلى السـاعات التـي سـتقضيها في الزيـارات المسـتقبلية. بهـذه الطريقـة كان لديهـا دائمًـا شيء جميـل لتفكـر بـه.

أحيانًـا جـاءت سـول معهـا، حـين تتمكَّـن مـن جعـل يورجِـن ينتبـه للأطفـال الصغـار.

وتلقَّـت سـول كل شيء رأتـه بتعجـبٍ وعينَـين لامعتـين، خاصـة مفـرش السريـر وخزانـة الراديـو.

أشـار فريتـس إلى مفـرش سريـره مازحًـا كي يقـول إن مفـرش سريـره أفضـل، وضحكـوا قليـلًا معًـا.

أصـدر فريتـس أصواتًـا غريبـة مـن حلقـه حـين يضحـك مـع أنـاسٍ يعرفهـم. لكنـه يضحـك مـن دون صـوت في وجـود أنـاس لا يعرفهـم.

يـوم انتهـاء مفرشـها كانـت تـورا والأطفـال الآخـرون يلعبـون الغميضـة بـين دعائـم تجفيـف الأسـماك مـع أنهـم كـبروا عـلى هـذه ألعبـة، وكان الصغـار يلعبـون معهـم أيضًـا.

ثـم فتحـت رانـدي النافـذة ونـادت تـورا، بـدا أن تـورا تخيَّلـت أن مفـرش السريـر لـن ينتهـي أبـدًا، وأن رانـدي سـتظل تعمـل بـه طـوال الوقـت مـن أجلهـا.

وقفـت في مدخـل البـاب متقطعـة الأنفـاس، ولم تجـد وقتًـا لخلـع حذائهـا حـين فـردت رانـدي المفـرش أمامهـا. تـدلَّى المفـرش مـن ذراعـي رانـدي الممدودتـين وبلـغ الأرض.

وقفت تورا تنظر إليه فحسب. قالت راندي بابتسامة:

- يمكنكِ أن تأخذيه إلى البيت الآن.

- لا، هل هذا معقول!

أخيرًا استطاعت تورا أن تنطق بكلمة ونظرت إلى راندي بذهولٍ.

- بالطبع! إنه ملكِكِ! حتى الخيوط أحضرتِها بنفسك. تفضَّلي! استخدميه في عافية.

ضحكت راندي، وغلَّفت المفرش في ورقٍ رمادي كبير. وقفت تورا تلعب وقد غمرتها الحيرة، تلعب بشرودٍ في الخيوط على طاولة المطبخ.

- خذي معك بقية الخيوط ربما تضطرين إلى ملء فجوات مع الوقت.

هزَّت رأسها، وقالت متلعثمة:

- هل أستطيع.. هل أستطيع أن أتركه هنا؟ أقصد المفرش؟ من الجميل أن أجلس عليه.. حين آتي لزيارتكم، أقصد أنني أدرس هنا أيضًا.

قالت راندي بصوتٍ تشوبه خيبة الأمل:

- لكن هل هذا ما تريدين؟

توقعت شيئًا آخر، مثلًا أن تركض تورا إلى البيت لتتباهى بالمفرش.

فهمت تورا، كان الموقف محرجًا، ولم تعرف ماذا تقول، لكن ليس هناك مخرج آخر! لن تستطيع أن تضع هذا المفرش على سريرها في البيت، على الإطلاق!

لم تعرف كيف تجد الكلمات المناسبة، فقط كلمة شكرٍ واهنة.

لم يدُر حوار آخر حول ذهاب المفرش معها إلى توسينيامَّه، ظل مطويًّا عند نهاية سرير فريتس.

كان طي المفرش إلى مربع صغير ووضعه على السرير آخر شيء فعلته تورا قبل مغادرتها.

أعطتها راندي هدية أخرى أيضًا، كتابًا بعنوان "صباح الخير أيها الحزن" وثمنه 12.5 كرونة. في الداخل صورةٌ لامرأة شابة اسمها غريب للغاية: فرانسوا ساجان. حدقت تورا إلى الصورة لكنها نسيت الاسم على الفور.

في أثناء قراءتها تعجبت للغاية إلى أي مدى كانت البطلة سيسليا شريرة، ورغمًا عنها اضطرت إلى الاعتراف أن هذا الكتاب لا يضم داخله قصصًا لأناسٍ طيبين، كان شيئًا غريبًا. لم تكن تورا متأكدة أن هذا الكتاب يعجبها. في النهاية فهمت أن المرء إذا كان سيؤلف كتبًا عن أشخاص حقيقيين فلا بد أن يكونوا هكذا: بشعين! وفكرت في جدتها في برلين، وشعرت بشيء من عدم الارتياح في أعماقها، أن قصتها ربما لم تكن بشعة بما يكفي كي تكون حقيقية.

حين كانت تورا تقرأ اختفى كل شيء آخر، كما لو أنها تجلس في زورق تجديف خروجًا من ستورهولمين وبعد العوامات البحرية. كأن الجزر البعيدة هناك تأتي طافية نحوها على سطح البحر الأخضر الواسع، تريدها، تريد أن تدعمها، أن تسحبها إلى الخارج، وكانت هناك حركة لا نهائية، ثقيلة لكنها خفيفة في الوقت نفسه، موجات قوية مسطحة ليس لها بداية أو نهاية لكنها تطفو إلى الأبد بإيقاعها الخاص.. مرارًا وتكرارًا.

ولهذا كانت تجدف دائمًا وهي جالسة بعكس الاتجاه.

ضحك الجميع عليها لأنها تجدف بهذه الطريقة.

لكن تورا لم تهتم، كان عليها أن ترى، كان عليها أن تمضي إلى هناك بعينين مفتوحتين، بطريقة ما امتلكت كل شيء حتى نهاية الأفق، حتى إنها تعرَّفت على الأشياء التي لم تستطع رؤيتها. في وسعها أن تتبع تخيلاتها، وترى كيف تلتف الأرض وتنحدر إلى أسفل، لكنها لا تنحدر بحدة حقًّا.

عرفت ذلك، لم يحدث كل شيء دفعة واحدة.

رأت الجبال على الساحل كما لو أنها طافية في السماء عندما يكون الضوء مناسبًا، لكن بالطبع عرفت أن هذه الجبال أصلها في البحر مثل جبال كثيرة.

على أي حال، كان الأمر حقيقيًّا بالنسبة إليها، كانت الجبال في السماء، شكّلت طريقًا للسفر فيما بعد.

في الواقع كانت الطرق في العالم تنحدر بلا نهاية، نعم! عليك أن تمنح نفسك وقتًا لمعرفة الطرق، عليك أن تعلّم نفسك البحث وتبنّي الاختيارات.

كما لو أنك في متاهة: تبحث دائمًا، لكنك لا تملك إلّا أن تخطئ. لكنك على الأقل تعرف أن هناك طرقًا أخرى، ومتأكد أن هناك طريقًا يوصّل إلى الخارج! كانت المسألة فقط أن تتعلم الانتظار، بصمتٍ، مثل فريتس، من دون شرح أي شيء لأي شخص.

جميع الخطوات وجميع الأفكار خُلقت لاتخاذها والتفكير فيها، من الممكن للحظة أن تبتعد عنها لكنها ستأتي مرة أخرى، كل حركة تجديف مهمة لأنها جزء من الطريق.

هذه هي الحال مع الكتب أيضًا، كان لدى تورا دائمًا كتاب لم تقرأه بعد، تستعير من جُنْ وراندي، تسير بين الأرفف المتربة في المكتبة بصمتٍ.

تجد دائمًا شيئًا تحدق إليه بينما تختم دوردي بطاقتها في المكتبة وتسأل إذا كانت تستعير لنفسها أم لأمها.

حدّقت تورا في اللوحة فوق رأس دوردي، وقالت بخفة: "هذا وذاك!".

وكانت ألوان المزرعة المرسومة في اللوحة شديدة السطوع. الخراف بيضاء أكثر ممَّا ينبغي، والبحيرة في الغابة زرقاء أكثر ممَّا ينبغي، فكرت تورا أن اللوحة جميلة لكنها ليست حقيقية.

تذكرت كيف تبدو غرفتها في أحد صباحات شهر أبريل حين تأتي الشمس من النافذة وتبدأ الاستكشاف تحت سريرها. حينها لن يفيد إذا كانت مسحت الأرض في اليوم السابق لأن الشمس تكشف لها كمية الغبار الموجودة هناك، كشفت الشمس لها إلى أي مدى كان السرير عارًا في حد ذاته، لأنه جعلها تتذكر.

كان هذا حقيقيًّا، لكنه لم يكن جميلًا.

اضطرت أحيانًا إلى الدوران والعودة مرة أخرى لأن الأصوات داخلها أتت من لا مكان، واستولت على أفكارها، كان عليها أن تدور بالزورق لأن الأفكار صارت مخيفة وثقيلة، على الرغم من أن الجو كان صحوًا.

مع ذلك، عرفت دائمًا أن هذه ليست النهاية، ليس بعد، لأن المتاهة استمرت، جزءًا بجزء، عرفت ذلك!

ستأتي دائمًا أيامٌ أخرى ليعيرها أحدهم زورقًا آخر، هناك ملايين الكتب غير المقروءة في العالم.

ذُكر في كتاب التاريخ أن برلين مدينة تعرضت للقصف بالقنابل، وأن الناس هناك لم يُسمَح لهم بعد أن يكونوا أصدقاء.

رأت تورا في مخيلتها الأجساد المتحولة إلى أشلاء، الأطراف المبتورة، رأت ألسنة اللهب المتصاعدة على الوجوه التي تشبهها إلى حدٍّ ما. كان الأمر عذابًا طوال مدة تخيلها له، لكن ما جعل أفكارها بشعة وحقيقية أنها استمتعت بفكرة بقاء جدتها على قيد الحياة وسط كل ما رأته.

لم تذكر أمها أمرَ أبيها مرة أخرى، فهمت تورا أن هذا الموضوع مؤلمٌ بالنسبة إلى أمها.

عليها أن تنتظر، عليها أن تسير هذا الطريق .. وحدها، لم يكن هناك حلٌّ آخر.

مع ذلك، أجبرت نفسها على الخروج في المطر، أجبرت نفسها على الطيران بعيدًا، بسرعة بسرعة، حملت جميع الأفكار معها في هروبها.

تساءلت تورا كيف يبدو فراش أبيها في برلين، وكيف يبدو باب البيت.

اتسعت النقطة على الخريطة أحيانًا وكبرت في مخيلتها. رأت كل شيء كأنه كرة بلورية في حكاية خيالية، وعرفت تورا أنه لا شيء مؤلم فيما تراه حتى الآن، لأنه ليس حقيقيًّا تمامًا. مع ذلك رأت: بيتًا له حديقة كبيرة، وضوءًا أصفر على أحد الجوانب، الجانب الذي يواجه الطريق العريض والأعمدة الكبيرة بجوار باب الحديقة، وغابة على الجهة الأخرى من الطريق. تهب الرياح بين أغصان الشجر وينبت السرخس والزهور بين الأشجار.

رأت المنظر بأكمله من أعلى كبيرًا وواسعًا، ولاحظت كيف تضيق المسافات داخله كل مرة. نما نبات السرخس في منتصف الصورة، ضخمًا وأخضر، امتد به المنظر الطبيعي. أبراج الكنائس والبيوت والحدائق على جهة، البحيرة والغابة على الجهة الأخرى.

دائمًا ما رأت المشهد نفسه، بهذه الطريقة أصبح حقيقيًّا بالنسبة إليها، مألوفًا على نحوٍ ما، لكنها اكتشفت دائمًا تفاصيل جديدة.

للبيت سلمٌ مصبوب ذو حاجزٍ لامع.

كان بيتًا من طابقَين مطليًّا باللون الأبيض، لكنه لم يكن عاليًا مثل بيت داهل؛ لأن بيت داهل باردٌ ومتعالٍ، كما اعتقدت تورا.

لا، كان لبيت أبيها مدخلان مقوسان من جهة الحديقة، ومن جهة الشارع تحفُّه الزهور.

بجوار السلم حوض نباتات ممتلئ بزهور زرقاء رأتها في حديقة في مدينة برايلاند الصيف الماضي لكنها لم تعرف اسمها.

عرفت جدتها بالطبع أنه ليس من السيئ أن تكون ألمانية، عرفت أن هذه الأصوات القبيحة في الراديو، التي تكلمت الألمانية بطريقة خشنة وغاضبة، قصدت إخافة الناس فحسب كي يتذكروا الحرب التي كانوا يريدون جميعًا نسيانها. عرفت جدتها أن أباها لم يكن جنديًّا ألمانيًّا رهيبًا مثل أولئك الجنود الذين تملأ صورهم الصحف والكتب، يرتدون الأحذية الثقيلة ويحملون الأسلحة، عرفت جدتها أن كل هذا ليس حقيقيًّا ومصممًا فقط لمضايقتها ولجعل الأطفال ينادونها بكلمات سيئة.

أحيانًا، أخذت تورا فريتس معها إلى برلين، لكن في تلك المرات لم تصل إلى هناك أبدًا. كما لو كانت فكرة وجود فريتس تربك عقلها. كما لو أن عليها أن ترى كل شيء من خلال عينيه. ثم استطاعت فجأة أن تكتشف أن الأمر ليس مؤلمًا بما يكفي كي يكون حقيقيًّا، يمكن أن يفسد ذلك يومًا جيدًا بالنسبة إليها.

فريتس!

يمكنها أن تجلس على سريره والمفرش يغطي ساقيها وتتظاهر بالقراءة، بينما في الحقيقة تراقب أصابعه الطويلة وهو يقلب الصفحات.

لديه أصابع قوية ويدان غريبتان. يدان قويتان تتحدثان عن نفسيهما، أحيانًا تختلط عليها الأمور حين يتكلمان بلغة الإشارة، فقط لأن يديه تجذبان انتباهها.

وحين يلاحظ أنها غير منتبهة له، ينحني نحوها قدر استطاعته وينظر مباشرة إليها بعينين ضاحكتين، ويعيد كل شيء مرة أخرى، ببطء.

أو يأخذ يديها ويرسم الإشارات على كفيها. كان الأمر محببًا للغاية، ولم تستطع تمالك نفسها. شعرت بحرارة تسري في جسدها، من عنقها حتى قدميها، تنسَّمت رائحة الصابون في شعره، كان لديه بالفعل زغب فوق شفته العليا.

أمرٌ غريبٌ: لو لم يكن أبكم لربما بدأ صوته الآن في التغيُّر بالفعل مثل بعض الأولاد في المدرسة. ضحكت البنات عليهم بشدة عندما كانوا يحاولون الغناء، وكان على جُنْ أن تنظر إليهن في توبيخ.

لو لم يكن فريتس أبكم...

الغريب أنها لم تشعر قَطُّ بالتقزز أو الخجل حين تكون مع فريتس. لم تشعر بالخزي إذا كانت سترتها شديدة الضيق أو شديدة القصر وضاغطة على منطقة صدرها حتى إذا كان يتطلع إليها. هل كان هذا لأنه أبكم؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

29

تأخر ظهور توت العليق في الجزر كثيراً.

اعتقد الناس أن الأمر سيستغرق ثلاثة أو أربعة أسابيع أخرى، في انتظار الرياح الشرقية والطقس الدافئ.

لكن الناس في أوسلو انشغلوا بشخصٍ يُدعى بيلي جراهام، جعل مهمته توحيد الكنيسة النرويجية اللوثرية وجيش الخلاص والمعمدانيين والطائفة البروتاسنتية الخمسينية. ملأ خمسون ألف نسمة ستاد أولافول، حدث ذلك في مكانٍ بعيدٍ للغاية، ولم يمكن أن يكون بأهمية ظهور التوت ونضج البطاطس.

كانت الغيرة والخطيئة من أمراض الروح، هكذا رأى القس الأكبر. ظهرت صورة له في الصحيفة. أومأ الناس برؤوسهم بجدية ثم عادوا إلى بيوتهم ليمارسوا هذه وتلك. هكذا كانت الحال دائمًا في الجزيرة.

لم يأتوا بالآلاف لينخرطوا في هذه الموضوعات مثل الناس في أوسلو. على الجزيرة لم يكن هذا الصيف موسمًا لتغيير العقيدة. تعافى الناس

بالـكاد مـن حمـى الصحـوة الأخـيرة التـي أصابـت إليسـيف. كان كل شيء يـأتي متأخـرًا خمـس سـنوات عـلى الأقـل؛ لـذا في إمـكان جراهـام الانتظـار سـنة أخـرى، لا شيء يدعـو إلى العجلـة.

كان الأمـر الأسـوأ توقُّـع ارتفـاع أسـعار الحليـب إلى 15 أو 20 أورا للـتر، سـيعاني كلُّ شـخصٍ فقـيرٍ لـشراء الحليـب إذا لم يمتلـك المـوارد اللازمـة لتغذيـة بقـرة بنفسـه.

اضطـر الفلاحـون إلى ذبـح بعـض الحيوانـات، وكانـوا يتحدثـون عـن رداءة المحاصيـل هـذا العـام. وفي الشـتاء سـاءت حـال المحاصيـل تمامًـا، كان الربيـع يشـبه فرشـاة دهـان منسـية في القبـو لم ينظفهـا أحـد، كانـت هنـاك فحسـب، في إنـاء زجاجـي، جافـة وغـير صالحـة للاسـتخدام.

ولم يبـقَ الآن إلَّا أن تسـوء حالـة صيـد الأسـماك أيضًـا وخريـف ممطـر كي يتعفـن القـش في هـدوء؛ لـذا فـإن بيـلي جراهـام يمكنـه إنقـاذ كل مـن يرغـب في إنقاذهـم هنـاك في الجنـوب.

في توسـينيامَّه لم يكـن لـدى تـورا وردة حمـراء في سروالهـا القصـير الأزرق كلـما غـادرت إنجريـه للعمـل ليـلًا. كل شيء قالتـه لنفسـها عـن أنهـا سـتجدف أو تطـير أو تختفـي مـع الريـح، لم يكـن لـه معنـى في الواقـع، واعتقادهـا أن أمهـا سـتكون قويـة بمـا يكفـي لإنقاذهـا.. ليـس حقيقيًّـا.

أصبحـت إرادتهـا دائمًـا مهـزوزة وخائفـة مـن الظـلام، في إمكانهـا أن تجـري إلى الخالـة راكيـل وتخبرهـا بـكل شيء، هكـذا فكـرت أحيانًـا، لكـن لا، عينـا أمهـا الحزينتـان، عليهـا إعفـاء أمهـا مـن ذلـك، لم يكـن لـدى تـورا مـكان تذهـب إليـه بجسـدها المدنَّـس.

الباب يصدر صريرًا. الأصابع تحفر داخلها.

ذات ليلة أصدر الباب صريرًا مفاجئًا إلى درجة أنها لم تجد وقتًا لتهرب من جسدها وتسمح لأفكارها بالهرب من النافذة، اضطرت تورا إلى أن تكون جزءًا من كل ما يحدث لها، وأن تشعر به.

ثم بدأت تئنُّ وتتأوَّه وتزحف في السرير، عجزت على البقاء ساكنة وترك الأمر يستمر حتى النهاية كما فعلت في الليالي الأخرى، كان هذا مستحيلًا تمامًا إلى درجة أنها لم تتمكَّن من التحكم في نفسها.

أربكه هذا وأثار كراهيته، يمكن استخدام هذا لإثارة الرغبة، لتبرير استخدام القوة والعنف.

كانت مقاومتها واهنة، واهنة، لم يكن عليها سوى أن تضغط بإبهامها على عينه. توسَّلت من أجل حياتها واستسلمت.

ثم تمزق شيء ما، شعرت تورا بذلك في مكان آخر خارج نفسها، لم تعلم أين بدأ الأمر، وأين انتهى، لم ينتمِ إلى بقيتها، لكنه آلمها كثيراً على أي حالٍ.

التنفس والدم!

جاء الدم لكنه لم يكن من المفترض أن يجيء، اتخذ نقوشًا على الملاءة بأكملها لأنها عجزت عن البقاء ساكنة في مكانها تحته، فهمت أن هذا جزء من الواقع القاسي الذي لن تجده في أي كتاب قرأته.

فليباركه الرب إذا رحل الآن! استطاعت تحرير يديها وضربته، توسلت، هل أفاد هذا؟ فليباركه الرب إذا أفاد هذا! استمر فيما يفعله.

كان ارتياحها كبيراً إلى درجة أنها لم تستطع التنفس، رقدت هناك كأنها في كرة بلورية تلهث حين عادت أنفاسها مرة أخرى. كانت متدلية على حرف السرير تشعر أنها منقسمة نصفين، كانت شخصًا آخر بدءًا من أسفل خصرها.

ثم جاء مرة أخرى، ومعه حبل.

لم تصدق تورا أنها كانت مقيدة إلى السرير، لم تصدق ذلك! لم يكن العالم بهذه البشاعة، أشياء كهذه لا تحدث!

ثم حفر طريقه داخلها، بعمى، كما لو كان لديه شيء لينتقم منه، فقط حفر وحفر، أمسك الوسادة فوق وجهها وترك إرادته التي لا حدود لها تتم، استغرق وقتًا طويلًا ليبلغ هدفه، بلغه الآن.

عمل كل شيء بكفاءة، أخيرًا، كما هو مفترض.

في الخارج على حائط المطبخ دارت الساعة في عالم آخر، بالداخل هنا، لم يكن هناك شيء لقياس الزمن.

كانت شمس الليل جميلة، صفراء وودودة، امتدت بنعومة على الرجل في السرير، ناعمة إلى ما لا نهاية، الشمس برحمتها ترعى الجميع وتدفئهم.

في النهاية تلاشى الصرير.

كان الليل طويلًا ومضيئًا، لتوسينيامّه أصواتها الخاصة بها، من حين إلى آخر، قد يُسمَع صوت بكاء في الليل، لكن من الذي يمكنه التضحية بنومٍ هانئ كي يتقصَّى أمر بكاءٍ ما، لم يكن هذا من شأن أي أحد ولا شيء يمكن فعله، الجميع لديهم أحزانهم ونوبات أعمالهم.

وتحت الأضواء الساطعة في مصنع داهل لتعليب الأسماك، جلست امرأة داكنة الشعر يراودها شعور بعدم الارتياح تجاه شيء لا تستطيع تحديده.

لكن ما من أسباب تدعو إلى القلق، لتخيل أنَّ...

إنها متعبة فحسب، هذا كل شيء. تأخر الوقت وتسارع إيقاع العمل، سارعوا في عملية التعليب. كانت السفينة في طريقها بالفعل لأخذ الشحنة، وقوارب الصيد في طريقها بالفعل بمحركاتها الهادرة،

جالبة معها أكوامًا من السمك الذي لا بد من تعليبه، ولديها الكثير لتنشغل به.

لم يكن هناك مكان لعينَي فتاة صغيرة الآن.

كان داهل يفرك يديه بالفعل انتظارًا لقدرٍ كبيرٍ من المال، بيع كل شيء قبل أن يُعلَّب. الأمر لا يحتاج إلَّا إلى العمل الجاد الآن، والمردود كان أكثر من جيد، لم يفكر أحد في القطط الميتة.

أخيرًا، بدأ خط رمادي من النساء في التحرك في اتجاه الباب الخارجي.

بالخارج، ساد طقس صيفي مبكر لطيف، وكانت طيور النورس تحتفل على أطراف الحقول.

بدَّلت تورا ملاءة السرير، خبَّأت الأخرى أسفل السرير مؤقتًا، غسلت منفرجها المُنتهَك بماء بارد، نظفت نفسها في المطبخ، لم يعد الأمر يشكِّل فرقًا على نحوٍ ما.

كما لو أنها تنظف شخصًا آخر، تساءلت إذا شعر ذلك الشخص الآخر تمامًا كما شعرت.

ارتفعت زاوية فمها اليسرى وبرزت أسنانها، بين وقت وآخر، اجتاحت رعدة جسدها المحدودب غير المكتمل.

أحيانًا، تعبر تنهيدة وجهها الملتوي لتحول فمها إلى تكشيرة قبيحة.

فيما عدا ذلك، كان كل شيء هادئًا. دائمًا، سيأتي يوم آخر، من أجل الصامدين. سيكون هناك دائمًا وجه للذين يجرؤون على النظر إلى أنفسهم. لم تجرؤ تورا. كانت كرةً من إنسان نصف عارٍ في سرير كريه.

لم يكن لديها شيء لتقوله ولا أحد لتلجأ إليه.

إذا أخبرها أحد أنها لا يجب أن تحزن لأن أشياء مثل هذه حدثت من قبل في العالم، أن كل شيء يُشفى في النهاية، حينها ستسأل بوجه بريء: "أي أشياء؟ ماذا حدث؟".

وكانت الملاءة مخبأة جيدًا.

30

ارتمت التنورة الجديدة على كرسي بجوار السرير طوال الليل، كانت شاهدة على كل شيء. قصَّتها أمها في شكل دائرة حتى تتمايل كالأمواج حول وركيها، وشعرت تورا بسعادة غامرة لذلك. أحضرت كنزة خضراء كي تلائمها، أخذت أمها بعضًا من نقود تنظيف المنازل، العزيزة عليها، كي تشتري لها ملابس جميلة.

لكن على الرغم من ذلك، بدت التنورة الآن كما لو أنها ليست لها. كلما نظرت إليها شعرت بالغثيان.

انتبهت جيدًا كي لا تنظر إلى نفسها بالأسفل وهي ترتدي التنورة في الصباح. عرفت أنها مضطرة إلى ارتدائها اليوم لأنه الاحتفال باليوم الأخير في المدرسة.

كان فريتس واقفًا على غير توقع بجوار دعائم تجفيف الأسماك وهي تمر بجوارها. تأخرت لأن أمها كان يجب أن تكوي ثنية التنورة

قبـل ذهابهـا، غـادرت سـول والآخـرون بالفعـل، اضطـرت إلى الركـض كي تصـل في الوقـت المناسـب.

مـا زالـت تـورا تشـعر برائحـة القـماش المبتـل المكـوِي. وقفـت أمـام فريتـس وحاولـت ألَّا تبـين أي شيء عـلى وجههـا كي لا يـرى...

لكـن كان مـن الأصعـب عليهـا أن تفعـل ذلـك معـه عـن أن تفعلـه مـع أمهـا، لأنـه كان ينظـر إليهـا دائمًـا مبـاشرة في وجههـا.

كان يحـدق إليهـا إلى درجـة تجعـل العـرق يسـيل تحـت ذراعيهـا وعـلى ظهرهـا، اقـترب منهـا كثـيراً، ومـسَّ التنـورة برفـقٍ، ثـم رسـم بالإشـارة ليقول إن هـذا جميل وابتسـم.

شعرت تورا كما لو أن شيئًا انكسر داخلها.

اسـتقام عائـدًا إلى الخلـف، وقـد رسـم ابتسـامته القلقـة، شـعرت تـورا بالخـدر في كل مـكان أسـفل خصرهـا.

كما لو أن ساقيها لم تعودا تقويان على حملها.

حاولت أن تمر من جانبه.

رفع يده ليشير إلى الكنزة فلمست صدرها.. ركضت تورا.

سـمعته يصـدر ضوضـاءه الحلْقيـة كي يناديهـا، لكنهـا ركضـت وركضـت وركضـت!

انحشر البكاء في حلقها كأنه لا يريد الخروج.

سرعان ما صارت الكنزة شبه مبتلة بالعرق.

لم تتوقـف أو تتنفـس إلَّا حـين وصلـت إلى فنـاء المدرسـة، وضعـت يديهـا داخـل كمَّـي كنزتهـا وحاولـت بيـأسٍ مسـح العـرق الـذي يسـيل بـلا انقطـاع لكنهـا لم تسـتطع، كان تحـت إبطيهـا بقعتـان كبيرتـان، وفاحـت منهـا رائحـة القرنفـل والمـوت.

فيما بعد وهم يشربون الكاكاو ويأكلون الكعكة التي أعدتها جُنْ لهذا اليوم المميز، سألت جُنْ وهي تصب الكاكاو في كوب تورا:

- تأخرتِ اليوم، هل أفرطتِ في النوم؟

شعرت تورا أن عينَي جُنْ تريان ما داخلها وبدأت ترتعد، همهمت تورا:

- لا، كان على ماما كي التنورة، لأنها لم تجد وقتًا...

- لا بأس يا حبيبتي تورا، أنا أسأل فحسب لأنك لم تتأخري قَطُّ.

حين سمعت تورا كلمة حبيبتي بدأت ترتعد بشدة. استطاعت الوصول إلى الحمام الخارجي بصعوبة لأنها كانت في حاجة ماسة إلى التبول. آلمها البول وأحرقها طوال الوقت ولم تجرؤ على تجفيف نفسها، لأنها خشيت أن تنزف الدم مرة أخرى ولم يكن لديها ما تستخدمه إذا نزفت. فجأة شعرت كأنها عادت مرة أخرى إلى حيث كانت واقفة في كوخ توباياس، تتبوَّل على نفسها، وتسمع أصوات الضحكات الصاخبة.

لم يكن أحد حولها في الحمام القديم لأن الجميع كانوا جالسين يأكلون الكعكة. كانت تورا جالسة هناك تحاول أن تتمالك نفسها، فكرة بفكرة، حركة بحركة.

أخيراً كانت مستعدة للانضمام إلى الآخرين، وحين دخلت الردهة ارتدت سترتها كي تخفي بقع العرق تحت إبطيها، وأفادها ذلك.

31

سُرِّحت النساء العاملات في المصنع في وقتٍ لاحقٍ في الصيف، كانت حصيلة صيد السمك شحيحة وبقي داهل يمضغ طرف غليونه.

كانت إنجريه سعيدة الحظ لأنها حصلت على عملٍ في تنظيف البيوت، لم تشكُ من شيء.

استمر هنريك في طريقته. أصبح عاطلًا عن العمل مرة أخرى. كان سيعمل في موقع حريق مصنع سايمون لإعادة بنائه مرة أخرى، لكنه تشاجر مع سايمون وعاد في اليوم نفسه.

بدأ سايمون يتردد مرة أخرى على رصيف المرفأ عند داهل في نهاية شهر يونيو. وبدأ يتكلم مع الرجال كما كان فيما مضى مستعيدًا طبيعته القديمة مرة أخرى، قال إنه يريد توظيف أشخاص لإعادة البناء.

قال إنه يخطط لبناء شيء كبير وحديث هذه المرة. كان يضحك وهو يقول إنه قد يفلس، لكن لا بأس. بما أنه لم يستطع أن يكون

ربَّانًا على مركبه الخاص، فربما يمكنه أن يبني مكانًا حيث يستطيع أن يدير أموره على اليابسة.

تبادل عادة الرجال نظرات مهينة ساخرة لكن هذه المرة لم يفعلوا ذلك.

أومأوا جميعًا، واحدًا تلو آخر، لأنهم قضوا أغلب وقتهم يبحثون عن عمل، من دون أي دخل لأسابيع، بالطبع يمكنهم المساعدة.

كان الصيف يقترب، لكن على المرء أن يجد ما يأكله حينها أيضًا. بصقوا في الماء، وقفوا مباعدين بين سيقانهم، وأومأوا. جلسوا على الكراسي يومئون، وتم الاتفاق بهدوء واحترام. تمت المصافحة على رصيف المرفأ في مصنع داهل بسهولة كما كان يحدث في مكتب سايمون الأزرق.

وبمجرد ذهاب سايمون هرعوا إلى بيوتهم لاهثين.

لم يكن لديهم ما يكفي من الهواء في صدورهم لإبلاغ ذويهم بهذا الخبر الرائع.

لديهم عمل لشهور طويلة آتية. **العمل**! ليس فقط تسولٌ وأجر يوم أو اثنين.

كان سايمون رجلًا عظيمًا! يعرف كيف يدير أموره! يمكنه أن يمزح ببساطة عن إفلاسه مرة أخرى. هل رأى أحد رسومات المصنع الجديد؟ لا؟ شيء عظيم.

لا، سايمون رجل من نوع خاص! ألم يكن ذلك ما قالوه طَوال الوقت، حين تطايرت النكات هناك وهناك عن بقاء سايمون في علية النسيج؟ ألم يقل داهل حين كان سايمون قابعًا في العلية بعد حريق المصنع: ألم أقل إن سايمون رجلٌ عبقري!

وإن العبقري من الممكن أن يرغب في عزل نفسه لبعض الأسابيع قبل أن يصل إلى الحل، نعم، أليس له الحق في فعل ذلك؟

قالت سول:

- ستعود ماما الأسبوع القادم، لقد تحسَّنت حالتها.

كانت سول عند إنجريه وتورا، يتناولن العشاء بعد أن عادت إنجريه من عملها في التنظيف. مالت إنجريه بتثاقلٍ على الطاولة كي تستوعب ما قيل، ثم تمالكت نفسها وقالت:

- هذا خبر سعيد.

قالت سول ببساطة:

- لا أعرف.

سألت إنجريه بتعجب:

- لا تعرفين؟

- لا... لم تُخلق ماما لهذا العالم.

خيَّم ظلٌّ على وجه الفتاة نصف البالغة:

- كنت أتمنى أن تنتظر حتى ينتهي تثبيت المعمودية.

- ماذا تقولين أيتها الفتاة؟ ألا تريدين أن تحضر أمك مراسم تثبيت معموديتك؟

- إنها متزمتة للغاية.

أسندت سول رأسها إلى ذراعيها وأخفت وجهها. اعتقدتا أنها تبكي، لكنها لم تصدر أي صوت. وحين رفعت رأسها إلى أعلى بعد برهة قصيرة لم يبدُ عليها أي شيء.

- لن أتحمَّل، الجميع يسخرون منها.

- إنها متزمتة نعم، لكننا علينا أن نتقبَّل ذلك.. جميعًا، هذه طبيعتها!

قالت إنجريه هذه الكلمات وهي عابسة ووجهها أحمر من الغضب.

جلست تورا هناك وراقبت فحسب. هل من المعقول أن تتكلم ماما بهذه الطريقة! تغضب من أجل إليسيف، حتى وهي مرهقة إلى هذا الحد.

- هل حصلتِ على ثوب لمراسم تثبيت المعمودية؟

أرادت إنجريه تغيير الموضوع.

- لا.

تنهدت سول، وأزاحت الشعيرات من أمام أذنها. كان هناك شيء غريب للغاية بشأن أذني سول. كانتا بارزتين من رأسها على نحو لا تملك معه أن تكف عن التحديق إليهما مباشرة.

- لكن لا يهم، لا تعني الملابس كل شيء.

بدت هذه الجملة كشيء تحفظه لأن أحدهم كررها أمامها كثيرًا حتى صدقتها.

ربما أستطيع استعارة ثوب من أحدٍ تعرفه يوهانه. إنها تعتقد أن مقاسه أكبر ممَّا ينبغي لكن... لونه أصفر فاتح.

أضافت وهي تتنهد بحزن:

- وقصير أيضًا.

حين عاد توشتاين إلى البيت، صعدت إنجريه وتحدثت معه فترة طويلة.

في اليوم التالي أخذت استراحة لعدة ساعات من عملها في التنظيف، وذهبت إلى دكان أوتّار ومعها 50 كرونة لتشتري قماشًا من أجل فستان سول. اختارت أرخص قماش أبيض. كان حريرًا صناعيًّا جميلًا للغاية. لم يعرض لها أوتّار النوع الأغلى لأنها قالت مباشرة إنها تريد قماشًا لعمل فستان لـ سول ابنة توشتاين.

تلك الليلة بدا الأمر مثل حفلٍ عند تورا وإنجريه. أخذت إنجريه المقاسات وقصَّت القماش. صنعت باترونًا على ورق الزبدة وضعت عليه مقاسات جسد سول العريض.

مالت الشمس الصيفية، ودخلت عبر الستائر المغسولة للتوِّ، وانعكس شعاعها كالبرق على المقص الذي يأكل القماش الأبيض اللامع.

كانت إنجريه واثقة من عملها.

كانت ماهرة في الخياطة. قاست كل قطعة على الفتاة بعد أن انتهت من قصها. وقفت سول باعتدال مثبتة نظرها على المناشف الموضوعة فوق الموقد أمامها، بينما جعلتها إنجريه تدور مرات متعددة لتضع القماش حول جسدها بأكمله. في النهاية دخلت سول غرفة تورا لتجربة الفستان وهي لا ترتدي سوى ملابسها الداخلية؛ قالت إنجريه إن هذا أضمن لصحة المقاسات.

اعتقدت تورا إن سول تشبه الملاك وهي واقفة هناك والقماش المموج حول خصرها. فجأة أصبح شكلها كبيرًا، غريبًا. كانت سول ستحقق حلمها: أن ترتدي فستانًا أبيض طويلًا صنع خصوصًا من أجلها. وقفت وقد رفعت الخشنتين فوق رأسها وإنجريه تثبت قطع القماش حول خصرها. بدت رشيقة، تشبه الراقصة في صورة رأتها تورا. اختلفت تمامًا عن ذاتها إلى درجة أن تورا جاهدت للتفكير كثيرًا كي تسعد من أجلها.

بعـد أن نامـت الفتاتـان بوقـت طويـل ظلـت إنجريـه جالسـة إلى ماكينـة الخياطـة، نهضـت فقـط لإعـداد العشـاء لــ هنريـك ثـم عـادت مرة أخـرى.

كان مزاجـه معتـدلًا هـذه الليلـة؛ ولم يطلـق السـباب بسـبب صـوت ماكينـة الخياطـة كعادتـه، حتـى إنـه امتـدح عملهـا. تعجبـت إنجريـه، كأن أحـدًا أعطاهـا هديـة جميلـة.

لم يتكلـم كثـيرًا. كأنـه جـوالٌ مربـوط. أفـكار وظـلام عنيـف وذهـب إلى النـوم مبكـرًا. سـمعته يتقلـب في السريـر، لكنـه لم يكـن يسـبُّها، ولم ينادِهـا كـما هـي عادتـه. شـعرت بالارتيـاح لأنهـا حـددت هدفهـا بإنهـاء فسـتان ابنـة إليسـيف. بالفعـل! لأن المـرء عليـه أن يفعـل بعـض الخـير أيضًـا.

طلـع الفجـر، ولم يبـق إلا عمـل قليـل في وسـط الفسـتان. كان متموجًـا وكانـت تضـع سـحَّابًا مـن الجانـب. تكلمـت مـع سـول بشـأن صنـع فسـتان واسـع قليـلًا كي يغطـي خاصرتهـا الضخمـة. ووافقـت سـول عـلى الرغـم مـن الصـورة التـي تحلـم بهـا للفسـتان الـذي تريـده، لكنهـا كانـت ذكيـة. فهمـت مـا كانـت تريـد إنجريـه قولـه مـن دون كلام مبـاشر.

غـدًا ليـلًا يمكنهـا أن تنهـي الباقـي، وتجعـل سـول تعيـد الخياطـة، أم مـن الأفضـل أن تـترك ذلـك لتـورا، لأن يـدي تـورا أكـثر مهـارة. دائمًـا مـا شـعرت إنجريـه بالسـعادة وهـي تمـارس الخياطـة. كأنهـا لا تشـعر بالتعب. ربمـا ربُّ إليسـيف هـو مـن منحهـا حـب هـذا العمـل؟ نعـم، حتـى هنريـك فهـم لمـاذا عليهـا فعـل ذلـك.

حـين نهضـت إنجريـه مـن خلـف ماكينـة الخياطـة كان الصبـاح قـد جـاء بالفعـل خـارج النافـذة. كلـما تذكـرت أنـه مـا زال أمامهـا سـت سـاعات مـن الغسـيل شـعرت بـآلام في ظهرهـا وكتفهـا. كأنهـا تخـرج مـن تعـب إلى تعـب آخـر. مـدَّدت جسـدها وأخـذت الفسـتان الأبيـض إلى النافـذة. تركـت الشـمس تسـطع عـلى أرخـص قـماش حريـري موجـود في

دكان أوتّار. قماش الفقراء! لكن إنجريه فردت الفستان على جسدها بإحساس بالنصر ومدّت ساقها إلى الأمام ودارت ببطء وشعرت بمدى برودة وجمال القماش على ساقها. للحظة رأت نفسها في زجاج النافذة. فستان أبيض بتنورة متموجة.

تركت إنجريه كل شيء، تردد غناء داخلها، لم تدرك إلا حين وجدت نفسها واقفة في منتصف الغرفة، كانت تدور والفستان أمامها وتنظر إلى نفسها في المرآة الكبيرة. ظلت واقفة فحسب للحظة تتطلع إلى نفسها، ثم وضعت الفستان على الكرسي وخلعت جميع ملابسها. وحين ارتدت الفستان الحريري الأبيض ونظرت إلى نفسها في المرآة بدأت دموعها تسيل. السنوات الطويلة المنسية. أن يُحكم عليكِ قبل أن تدخلي أي غرفة، أن تكوني شخصًا مهانًا ليس له حق في الفخر. فجأة توقف كل شيء لأنها لم تستطع أن تكتم صوتها، وحاولت تمالك نفسها حين رأت زوجها نائمًا في السرير. قال بغضب:

- اللعنة، ماذا تفعلين؟

- كنت أجرب فستان سول.

- هل تفعلين ذلك في منتصف الليل؟ هل جُننتِ؟

ظلت فقط واقفة هناك.

- على أي حال فات أوان ارتدائك فستانًا أبيض. لم يصنع الفستان الأبيض للألمان وعمال اليومية.

تعرفت على الغضب في صوته. خلعت إنجريه الفستان ببطء وأدخلته المطبخ وعلّقته هناك. ثم رتبت الطاولة، وأزالت بواقي القماش والإبر وأدوات الخياطة. ذهبت إلى السرير وكانت ساكنة وخاوية تمامًا.

32

عمـل سـايمون بجـدٍّ في بنـاء المصنـع مـرة أخـرى. انتهـى سـقف الهيـكل بالفعـل، وهـذا جيـد. كانـت السـيدات يقفـن للمشـاهدة في طريقهـن لـشراء الأغـراض ويتعجـبن مـن سرعـة البنـاء. لكـن الرجـال العاطلـين القابعـين في دكان أوتّـار والمتسـكعين في فاعريـه وهـم يبصقـون في طريقهـم لقضـاء سـاعات الصبـاح قالـوا إنـه أنفـق أكـثر مـمًّا ينبغـي، وإنـه سـيخفق مـرة أخـرى، وجعلتهـم الفكـرة يبتسـمون.

لكـن أولئـك الذيـن أرجحـوا المطـارق وصدحـوا بالغنـاء عاليًـا عـلى الحوامـل الخشـبية كان لديهـم أمـور أخـرى لمسـاعدتهم عـلى قضـاء الوقـت. بالنسـبة إليهـم كان مصنـع سـايمون الجديـد لا يقـل عـن هيـكل سـليمان وهـو منتصـب هنـاك يصـدر أصواتًـا جوفـاء وحيـدةً في ريـاح الخريـف. بـدا مثـل أحـد أعضـاء الجسـم التـي أُهملـت إلى درجـة سيئة.

لم يُكتشـف سـبب الحريـق، بـدأ في غرفـة طُعـم الأسـماك. في وسـع أي شـخص، كـما قيـل، أن يدخلهـا ويخـرج منهـا دون مراقبـة. لكـن لم يكـن

لسايمون وراكيل أعداء إلى درجة إحراق المكان، على حد علم الجميع. أيضًا حصل على البراءة من تهمة الاحتيال بافتعال حريق للحصول على التأمين، لأن المبلغ الصغير الذي كان سيتقاضاه من أجل المبنى لم يكن ليفيده في شيء، ولم يكن الأثاث والمعدات بالداخل تحت مظلة التأمين.

رنَّت الشتائم البريئة الطيبة بمرحٍ بين الضحكات القوية وأشعة الضوء مع رائحة القطران.

كان سايمون مشغولًا للغاية في الإشراف على البناء، ربما لم يخسر كثيرًا حين فاته موسم الصيد كما اعتقد، لأن السمك قد شحَّ واضطر داهل إلى أخذ إجازة وتسريح العمَّال، وأثَّر ذلك بشدة في النساء اللاتي كنَّ يعملن بتعبئة السمك.

كانت راكيل تعمل بالنسج، وتذهب إلى برايلاند ومعها بُسُطٌ صوفية كبيرة ملفوفة بالورق الرمادي من دكان أوتَّار لبيعها، وهكذا عرف الجميع بالأمر.

استطاعت أيضًا أن تضاعف عدد الخراف، واشتركت بنفسها في الذبح هذا العام.

كانت تلك علامة على الأوقات الصعبة.

وظَّف سايمون هنريك فقط لإرضاء راكيل، لكنه كان عاملًا سيئًا، وذلك بسبب زجاجة الخمر أكثر من ذراعه المعطوبة، هكذا اعتقد سايمون.

لكن حين لم يحضر هنريك ثلاثة أيام متتالية من دون أن يخبر سايمون فقد صبره وتوجه إلى توسينيامَّه.

لم يتمكن هنريك من قول الكثير ذلك اليوم. لكن لاحقًا في المساء نزل إلى المبنى، والتقط مطرقته ومئزره وبدأ يعمل بهمة كبيرة. جعل

ذراعه السليمة تدعم ذراعه الأخرى إلى درجة أن الرجال وقفوا هناك فحسب محدقين إلى سرعته في العمل. ثم غادر من دون كلمة واحدة.

شعر سايمون بالأسف من أجل إنجريه. بالنسبة إليه لم يكن هناك مشكلة، فقد انتظر ثلاثة رجال أخذ مكان هنريك قبل حلول الليل.

كان هناك شيء داخلي معاق في هذا الرجل، هكذا اعتقد سايمون. جسده الثقيل المحدودب الذي يُبعث إلى الحياة فقط عندما توجد زجاجة خمر على الطاولة ويتمكن من حكي قصصه الكاذبة، قصة تلو أخرى والتباهي بها. لكن في بعض الليالي يظل جالسًا وحده على الطاولة يحدِّث نفسه، يلوِّح ويصيح، ويسأل ويرد، أو يظل جالسًا هناك شبه نائم بملامح مكشوفة وملتوية.

تعجب سايمون، سمع قصصًا متنوعة عن هنريك مختلف قبل أن تقع حادثة كتفه، قبل إنجريه والزواج. ما سمعه لم يكن سيئًا فحسب، أيضًا. ولم يكن سايمون متأكدًا أن الانحلال والشر يجعلان الناس على النحو. فكر سايمون أن كتفًا معطوبة أو حريقًا.. قد يكونا متشابهين. وارتعد حين فكر في الأيام والليالي الطوال التي قضاها قابعًا في علية النسيج، حين لم تواته الشجاعة حتى كي يعثر على حبل.

شخص واحد فقط جذبه من شعره لينهض، ربما لم تكن إنجريه من النوع الذي يجذب الناس من شعورهم، خطر له أنه ليس طبيعيًّا أن تتوقع أن كل امرأة قادرة فعل ذلك.

اعتبر سايمون نفسه إنسانًا طيبًا وبسيطًا، جعل هذا الحياة أسهل، لا شيء يشغل باله. مع ذلك لم يستطع منع نفسه من التفكير في الكراهية البادية في عينَي هنريك، وأزعجه ذلك أحيانًا.

تكلم مع راكيل في الأمر حين عاد ليلًا، كانت تغسل التوت وترفع بصرها بسرعة بينما تتفحصه باحثة عن الغصينات الصغيرة أو الأوراق

التـي أرادت أن تنسـل إلى وعـاء خشـبي وضعتـه عـلى مقعـد إلى جـوار الطاولـة. قالـت:

- إنـه يغـار منـك فحسـب! وربمـا فهـم إن إنجريـه محقـة في التفكـير أنهـا اختـارت الرجـل الخطـأ.

ضحك سايمون:

- نعم أنت تعرفين سبب كل شيء.

بدأ ينظف التوت معها لكنه كان يأكل أكثر مما يعمل.

- كـف عـن الأكل أيهـا المزعـج! هـذه الأشـياء سـتذهب إلى برايلانـد لبيعهـا لأحـضر لـوازم لماكينـة النسـيج.

طاف ظلٌّ فوق وجه سايمون.

- ليس من الصواب أن تعملي بهذا الجد كي تساعديني.

- هـراء! هـل أنـت الوحيـد الـذي يجـب أن يعمـل بجـدٍّ؟ لمـاذا لا يجـب أن أعمـل بجـدٍّ أنـا أيضًـا؟ حـين عشـنا أيامًـا جيـدة لم تعـرف قـدر المـال الـذي ادخرتـه. لم تركـز في هـذه الأمـور. كان لـديَّ كل مـا أحتـاج إليـه، لكـن الآن لا يوجـد شيء، فلـماذا يجـب أنـا أيضًـا ألا أكـد وأتعـب لأجـد مـا آكلـه. إنـه فقـط...

لم تتابـع الـكلام أكـثر مـن ذلـك، وضـع سـايمون ذراعـه القويـة حولهـا وجذبهـا قريبًـا منـه بينـما مـرَّ بفمـه فـوق وجههـا بأكملـه.

شربها كرجل ظمآن لن يشعر بالرضا، لن يشعر بالاكتفاء.

في الصبـاح التـالي، كانـت الغصينـات والأوراق وثمـار التـوت مبعـثرة عـلى الطاولـة منـذ الليلـة السـابقة. نهـض سـايمون مبكـرًا، ورتَّـب كل شيء. أشـعل الموقـد وذهـب للخـارج لإحضـار الخشـب. أعـد القهـوة وكان صبـي راكيـل المُـوكَّل بتأديـة المهـام. لم يشـعر بالخجـل، كان سـيفعل ذلـك حتـى

لـو رأتـه منطقـة فاعريـه بأكملهـا يدخـل ويخـرج مـن المطبـخ، ليكـون خادمًـا لزوجتـه. كان سـعيدًا للغايـة لأن في وسـعه فعـل شيء مـا.

ثـم حمـل الصينيـة بالقهـوة والإفطـار إلى الغرفـة العلويـة وقدمهـا لراكيـل في السريـر مـع أن الأسـبوع كان في منتصفـه.

قالت راكيل وفمها ممتلئ بالخبز والجبن:

- كنت أفكر، سأجعل تورا تساعدني، سوف نربي الخنازير.

لم يتمالـك سـايمون نفسـه، متخيـلًا راكيـل امـرأة تـربي الخنازيـر! أطلـق ضحكـة قويـة.

ثـم رأى وجـه راكيـل في مـرآة المنضـدة الجانبيـة الكبـيرة وأغلـق فمـه عـلى الفـور. قـال:

- سأتصل بهم وسأدفع مقابل زوج من الخنازير.

قالت بتعالٍ:

- كلام فـارغ، هـذا ليـس الوقـت المناسـب. أعـرف متـى سـنفعل ذلـك وسـنحصل عـلى أربعـة، وسـأجهز المـال بنفـسي!

33

كان الخريف صافيًا وباردًا مثلما كان الصيف رطبًا وباردًا على نحوٍ غير مرغوب فيه، لطمت أشجار الدردار في الجبال أمام توسينيامَّه عناقيد التوت على الجدار الجنوبي كلما هبَّت الرياح الغربية مثل شبحٍ غريبٍ لكن من دون أي ضبابٍ.

بدا أن محصول البطاطس سيكون أفضل من حصيلة الصيد، يمكنك إذن حصاد الأرض لترى كم ستخرج لك من المال.

ساعدت تورا راكيل في استخراج البطاطس، قالت راكيل بلغة تجارية إنها ستحصل على نصف جوال من البطاطس كل يوم، وأيضًا دلوًا من درنات البطاطس كي تزرعها في الربيع القادم.

في أثناء استراحة النهار جلست تورا على صندوقٍ بجوار الموقد في المطبخ في باكيورده وقرأت بينما استلقت راكيل لتريح ظهرها المتعب على الأريكة وغفت قليلًا.

تثاءبت راكيل وهي تسأل:

- ماذا تقرئين؟

ردَّت تورا بنبرة حالمة:

- ڤيكتوريا.

- ڤيكتوريا؟ ما هذا الكتاب؟

رفعت تورا بصرها، وسألت بتعجبٍ:

- ألا تعرفين، وأنت كبيرة؟

أغلقت تورا الكتاب على سبابتها اليمنى، ابتسمت راكيل.

- لا، لم أقرأ كثيراً.. من الكتب.

قالت تورا بحماسٍ:

- لكن عليكِ أن تقرئي يا خالتي راكيل، لا يمكنك أن تتخيلي كم هو حزين وجميل...

- هل يمكن أن يكون شيء حزينًا وجميلًا في الوقت نفسه؟

نهضت راكيل بحذرٍ، وقطبت وجهها وحاولت أن تقيم ظهرها. قفزت على ساق واحدة إلى موقد المطبخ وبصخبٍ، وضعت ثلاثة مجارف من الفحم داخله.

قالت تورا بجدية:

- نعم، إنه كتاب جميل، لا يهم أن يكونا متحابين لأنه ابن طحَّان وهي غنية، يبدو أن الآخرين يريدونهما أن يكونا أعداء، فقط من أجل ذلك. إنهما مثل ما...

توقفت تورا فجأة، وانتشرت بقعتان حمراوان على خديها، ولم تعرف ماذا تفعل.

نظرت إليها راكيل بتعجبٍ من مكانها عبر الغرفة:

- تريدين أن تقولي مثل أمكِ وأبيكِ؟

همست تورا:

- نعم.

دخلت شمس الخريف المنخفضة عبر النافذة، وجعلت قطة راكيل تموء وهي نائمة على بساطها الرَّث، لعقت نفسها بتكاسلٍ وعيناها مغمضتان.

- هل تفكرين كثيراً في أبيكِ يا تورا؟

سارت راكيل ببطء إلى نافذة المطبخ، وغمست إصبعها في أصص الزهور الموضوعة على النافذة واحدة تلو أخرى، ثم أحضرت دورق ماء.

عندما لم تحصل على إجابة من تورا جلست على الصندوق بجوارها وهي تمسك الدورق بيديها بشرودٍ، كأنها نسيت ماذا ستفعل به.

كانت راكيل قصيرة للغاية؛ أرجحت ساقيها على الصندوق الطويل كأنها فتاة صغيرة.

- هل تكلمت أمكِ عنه مرة أخرى؟

قالت تورا بترددٍ:

- لا.

تعرف أن الخالة متضايقة من أمها لأنها لا تسمح بأي كلامٍ عن أبيها.

- إنه موجود دائمًا، كما تعرفين.

- وما المشكلة، هنريك يعرف كل شيء. لم يخفِ أحدٌ عنه شيئًا، لقد اختار أمكِ لأنه أرادها، وأوقعها في المتاعب أيضًا، وانتهى ذلك على نحوٍ سيئ...

ظلـت راكيـل جالسـة تتطلـع إلى الحقـول المنحـدرة بنعومـة مـن النافـذة، كأنهـا لا تتكلـم مـع تـورا.

سألت تورا بفضول:

- ماذا تقصدين؟

بـدا الأمـر مثـل هطـول المطـر بعـد وقـتٍ طويـلٍ مـن الجفـاف، أن يحدِّثها شـخص بالـغ عـن أمـور فكـرت فيهـا عـادة وحدهـا.

- ألا تعرفين بشأن أختك الصغيرة التي ماتت؟

- مثل طفل إليسيف؟

- نعم.

- أين هي؟ أقصد أين دُفنت؟

- في مقابر الكنيسة، ألم تذهبي إلى هناك؟

- لا.

نهضـت القطـة وتركـت ذيلهـا يلتـف حـول سـاقَي راكيـل، التقطتهـا مـن الأرض وربتـت عـلى فرائهـا بـشرود.

- إذن بالتأكيد تذهب أمكِ وحدها.

سرى ألمٌ غريبٌ خاوٍ خلال تورا.

لكنهـا عرفـت أن هـذا مـا كانـت عليـه الحـال، سرٌّ آخـر احتفظـت بـه أمهـا، ولم ترغـب في مشـاركته مـع تـورا، قـبرٌ صغـير، كان لديهـا ذكـرى عـن أبيهـا، لكنهـا لم تتحـدث عنـه قَـطُّ، بـدا أنهـا أرادت أن تُبقـي تـورا بعيـدة خـارج هـذا الأمـر، شـعرت فجـأة أنهـا وحيـدة تمامًـا.

تابعت راكيل:

- أحيانًا من الصعب أن تكوني امرأة، صعب سواء أنجبتِ أطفالًا أم لا. ربما لم أعانِ بالقدر نفسه مثل أمكِ لأنني لم أنجب أطفالًا، ليس داخلي سوى إحساس الاشتياق، ولا نهاية له أبدًا.

لم تجرؤ تورا على التنفس، كان الموقف غريبًا وجليلًا للغاية تخيُّل أن الخالة قادرة على التعبير عمَّا تفكر فيه، وأيضًا حكي كل هذا لفتاة صغيرة!

على الرغم أنها لم تسمع قَطُّ عن رواية ڤيكتوريا.

اختلفت وجبات الطعام في باكيورده عمَّا كانت عليه البيت، حملت بهجة أكثر، ضحكت الخالة والعم كثيراً وهما يتناولان الطعام.

لم تضحك تورا معهما بهذا القدر. جلست هناك وفمها مفتوح وقد ارتفعت زاويتيه فحسب، وشعرت بسعادة تغمرها حتى أخمص قدميها. لم يتشاجر أحد إذا تردد شخص في الكلام أو عجز عن إكمال طعامه، لم يتحدث أحد حتى عن هذا الأمر.. شيء غريب.

على هذا النحو خيَّم السلام على وجبة الغداء، إلى درجة أن المرء قد يتلكأ في تناول الطعام كي تطول الجلسة. كادت تورا أن تنسى الخطوات المتباطئة المتثاقلة على السلم في أثناء تناولها الطعام. كادت أن تنسى إلى أي مدى قد يتضخم لسانها في حلقها حين يدير **هو** مقبض الباب.

لم يكن العم سايمون ينام في قيلولة بعد الغداء على الأريكة إطلاقًا، وسألته عن السبب، قال إنه سيفعل ذلك حين يذهب إلى دار المسنين في برايلاند، ثم حملها ورفعها إلى أعلى، بحجمها الكبير، فاصطدم رأسها بمصباح السقف، وقبَّلها على وجنتيها كي لا تغضب منه لأنه تسبَّب في صدم رأسها، لا يمكنها أن تغضب من العم سايمون!

شعرت تورا أن جسدها تخشَّب حين رفعها بذراعيه.. اعتقدت أنها لن تتحمَّل ذلك.

لكن الغثيان لم يهاجمها كما توقعت، وفكرت تورا أن هناك شيئًا مختلفًا بشأن يدَي العم سايمون... بعد ذلك التقط قبعته الملقاة على صندوق وخرج وسحابة من دخان الغليون تتبعه.

سيستغرق حصاد البطاطس أربعة أيام كما حسبت راكيل، وقالت إنه لا حاجة إلى الاستعجال، الأمر ليس سباقًا.

- لا بد أن يكون لدينا وقتٌ كافٍ لتناول الطعام والاغتسال، وكمكافأة سنأخذ استراحة بين حين وآخر لنقيم ظهورنا ونتحدث قليلًا.

في اليوم الثالث كانتا في الحقل، ووصل الرجل اليهودي المسن.

جلس على صندوق بطاطس فارغ وعرض عليهما بضاعته، لم يأتِ إلى الجزيرة منذ فترة طويلة.

ضحكت راكيل وقالت أن يوفر على نفسه عناء فتح حقيبته، لأن أيديهما متسخة، ولن يمكنهما لمس أي شيء. ظل الرجل المسن النحيل جالسًا هناك على أي حال، كما لو أنه مزروع على الصندوق. غطَّاه معطفه البني الضخم بجيوبه الكبيرة مثل صدفة، بدا كما لو أن أحدهم وضع رأسه من دون أن يثبِّته فوق ملابسه الصوفية. في الطقس السيئ يرفع ياقة المعطف على أذنيه كي يحميهما من أي شيء يرسله الرب سواء كان مطرًا أم ثلجًا.

يظل يمشي بحقيبته بين الحقول، استطاع الكبار تذكُّره منذ كانوا صغارًا، يجول الطرق بمجرد أن يحل الربيع، في أواخر الخريف بدا كما لو أنه يختفي في البحر، لم يعرف أحد أين يذهب.

كان الوحيد الباقي من الزمن القديم، وكان يعرف كل شيء تقريبًا، لكنه لم يمارس النميمة، لم يحاول أن يضغط على أحدٍ للشراء، ظل جالسًا ومنتظرًا فحسب. إذا كان جائعًا يظل حتى وقت تناول الطعام.. إذا كان حسن الحظ بما يكفي ليعبر الباب في ذلك الوقت، إذا اشترى الناس شيئًا سواء كبيرًا أم صغيرًا يغادر على الفور، فلا يضطرون إلى أن يعرضوا عليه طعامًا أو مبيتًا.

يعرف الجميع أن لليهودي المسن طريقته الخاصة، لكن القليل عرفوا اسمه. كان منيعًا ضد الأذى بطريقة غريبة، يمكنك أن تحاول إبعاده أو إستفزازه، لكنه يجلس هناك فحسب، أو ينهض ويمضي في طريقه كما لو أن شيئًا لم يحدث.

ذات مرة أخذ بعض الأولاد من الصفوف العليا حقيبته وهربوا بها.

لكن اليهودي المسن -هكذا أطلقوا عليه- ظل جالسًا على صخرة بجوار الطريق حتى انتهت لعبتهم، ونادت عليهم جُنْ ليدخلوا إلى الدرس.

بعد ذلك مشى ببطء إلى المكان الذي يضم الصخور التي خبَّأوا بها الحقيبة، فتش عنها ووجدها، ثم مضى في طريقه.

شاهدته تورا من نافذة الفصل، كانت جُنْ جالسة إلى المكتب ولم تعرف شيئًا عن الأمر، وكان هذا جيدًا بالنسبة إلى كل الظهور التي كانت تدعم المذنبين الجالسين إلى مكاتبهم.

راود تورا شعورٌ غريبٌ أنها واليهودي المسن أقرباء. لم تعرف السبب على وجه التحديد، لكن ربما لأن الناس أعطوا لأنفسهم حق تعذيب اليهودي المسن وإيذاءه. انتمى هو أيضًا إلى الأشخاص الخطأ. كانت رائحته رائحة يهودي، رائحة البخل والنقود، هذا ما قاله الناس كلما مرَّ بهم.

كان اليهود من قتلوا يسوع، حتى جُنْ قالت ذلك، كان الألمان من قتلوا اليهود، في أثناء الحرب، وضعوهم في معسكرات اعتقال.. أخبرتهم جُنْ بذلك أيضًا.

اعتقدت إليسيف أن ذلك كان عقاب الرب لليهود، أن يقتلهم هتلر ويطاردهم في كل مكان. تعرقت يدا تورا فقط لفكرة أن الرب قد يكون كذلك، لكنها لم تعترض، لا أحد كان يستطيع معارضة إليسيف. كان الألمان من قتلوا ابن باول إينجابركتسين، أو نصف سكان النرويج، بالطبع، سمعت تورا قصصًا بشعة عن أظافر تُقتلع وأسنان ذهبية تُخلع.

وبالطبع كان لا بد أن يحمل شخص ما عبء هذا الذنب.

شخص يتمكَّن الناس من النيْل منه.

فهمت تورا أنها والرجل اليهودي المسن كانا من الناس العاجزين عن الهرب.

- أرى أنكم تعملون بجدٍّ في جمع البطاطس.

جلس الرجل المسن على الصندوق فاردًا أصابعه الشبيهة بالمخالب على سرواله الرث. يحركهما ذهابًا وإيابًا كأنه يحاول تدفئة ساقيه، كان معطفه مفتوحًا، ويتطاير في الرياح بلطماتٍ ثقيلة، بدا الرجل كطائرٍ ضخمٍ نسي كيف يطير.

- نعم، جميع المزارع تعمل في ذلك الآن.. أنا لا أبيع شيئًا يُذكَر على أي حال، لن يستطيع الناس أن يروا ما لديَّ من منتجات التطريز الجميل لتصميمات الكريسماس، لديَّ مفارش يحيط بها أقزام بابا نويل على شكل دائرة، وأيضًا فئران وقطط، وأغصان أشجار الصنوبر.

- نعم يا عزيزي، لكن هل ترى كيف تبدو أيدينا؟ شديدة القذارة إلى درجة أنني لا أستطيع حتى أن أتمخط!

أرسلت راكيل إلى تورا نظرة ضاحكة.

لكن تورا لم تستطع أن تبادلها الضحك.

شعرت أنها تغلغلت إلى أعماق الرجل المسن، توحدت معه، زحفت داخل معطفه، وتسللت إلى ما تحت جلده. شعرت بالألم العاجز لاضطرارك إلى كشف نفسك، إذلال نفسك، التوسل من أجل الرحمة، التوسل من أجل أقل الأشياء، إلقاء كل الكبرياء في الرياح والتشبث بأي شخص، بأي شيء.

وبدا أن النهار انتهى وخيَّم الليل فجأة عليها حيث وقفت. تحوَّلت أعين البطاطس الصفراء إلى بقعٍ من الدماء في الأرض الداكنة. توهجت أعينها الصغيرة الخائفة. كانت تقفز إلى أعلى وإلى أسفل تريد منها شيئًا. حمت نفسها بالتحديق إلى نقطة أعلى من رأس راكيل، شعرت كأنها جالسة في أرجوحة تتحرك بسرعة كبيرة.

لم تتمكن من إيقافها، تزايدت السرعة أكثر فأكثر فحسب، تدور وتدور حتى يكاد الغثيان يقتلها. سمعت صوتها وهي تزحف في أنحاء الغرفة، تتوسَّل طلبًا للرحمة بينما تتشبث بعمود السرير من أجل التمسك بالحياة.

والأعين الذهبية تحدق إليها من الطين الأسود.

إنه ليس عراكًا، كل شيء صُمِّم بواسطة قوى أعلى أُعطيت كل الحقوق.

بنت الألماني! اليهودي المسن!

ظلَّت تورا تحفر في الطين الرطب حتى دخل الطين تحت أظفارها إلى نقطة اتصالها بالجلد، وإلى أبعد من ذلك. شعرت بأظفارها تتشقق،

وكان عليها التوقف. شيء ما ينفصل عنها، شيء مؤلم، لكنه مقرَّر سلفًا، سيكون هناك دائمًا شيءٌ يُسلخ ويُصلب على السياج، فمن الأفضل أن يعتاد المرء ذلك ويتجاوز الأمر.

لا! تصدر منها صرخة من نوعٍ ما، لا تستطيع منعها، صرخةٌ لا تنتمي إلى هذا الحقل، إلى هذا الواقع، في باكيورده، كان صوت خزي أجش غير مفهوم. لكنه صدر عنها على أي حال، في عناد هائل.

أمسكت حبة بطاطس كبيرة ونظرت عن قربٍ إلى الحفر الوردية في قشرتها البيضاء الذهبية. نهضت فجأة، قفزت كأن حياتها اعتمدت على ذلك. فردت ذراعها اليمنى التي تمسك بها البطاطس إلى الخلف بأقصى ما تستطيع، وشدَّت نفسها ووقفت على أصابعها ونجحت في التوازن واستجماع كل ما تستطيع من مرونة مرتجفة.

ثم ألقت ثمرة البطاطس، التي طارت إلى أعلى وأعلى، فوق الأرض السوداء المحفورة.

ظلَّت يدها المتسخة معلقة هناك إلى جانبها، ما زالت ترتجف، ثم انتهى الأمر.

نظر الشخصان الكبيران باندهاشٍ إلى ثمرة البطاطس التي عبرت سطح الحظيرة، ثم عاد كلاهما يحدِّق إلى تورا في الوقت نفسه.

احمرَّ وجه تورا، وتصاعدت منه ومن عنقها هبة ساخنة؛ لقد ألقت ثمرة بطاطس كبيرة صالحة للأكل في أعماق الغابة!

هوت مرة أخرى على يديها وساقيها على نحوٍ مهينٍ، تحفر كما لو كانت حياتها في خطر لالتقاط ثمرات البطاطس من الطين، لذا لم ترَ التعبيرات على وجه راكيل، التي تغيَّرت من اندهاش إلى إعجاب وفي النهاية إلى ابتسامة.

- تورا! كم أنت ماهرة في الرماية! لم أرَ شيئًا كهذا من قبل، أنت مثلي تمامًا حين كنتُ في مثل عمرك. أنا أيضًا كنت أركض وأقفز وأرمي الأشياء. يا إلهي، كان هذا منذ زمن طويل، الآن دعينا نأخذ استراحة، دعينا نذهب إلى الداخل وننظف أنفسنا، لنُعِد بعض فطائر الوافل.

نظرت إلى الرجل الجالس على صندوق البطاطس وقالت:

- هل ترغب في بعض فطائر الوافل؟

قال:

- شكرًا شكرًا!

وقف الرجل المسن فجأة على قدميه، بدَّل بينهما في حماسٍ، وأمسك حقيبته بقوة كأنه ينتظر.

ركضت تورا لإفراغ الدِلاء المليئة بثمار البطاطس، التي تخبطت وهي تسقط في الصندوق.

يتساقط الطين من الأعين الحمراء الصغيرة، تحدق إليها، هناك المئات منها، غطَّت تورا الصندوق بجوالٍ واتجهت إلى البيت.

من الغريب أن الخالة راكيل دعت الرجل المسن إلى الدخول، لا أحد يفعل ذلك تقريبًا. هل فهمت الخالة أن تورا شعرت أنها تتماهى معه، بالتأكيد لا، نفضت الفكرة عن رأسها.

لكن لم يكن عليها رمي ثمرة البطاطس، هي الآن ملقاة خلف الحظيرة في مكان ما من دون فائدة.

أجبرت راكيل الرجل على خلع معطفه وحذائه، ووضعت أمامه إناء ماء، وقالت له بنبرة آمرة:

- اغسل يديك!

نظرت تـورا إلى اليهـودي المسـن، جعـل الخـزي وجهـه يبـدو خاويًـا لأن يديـه قذرتـان إلى هـذا الحـد.

خبَّأت تورا يديها المتسختين بفعل الطين إلى أن أتى دورها.

وضـع اليهـودي المســن مفرشًـا وأدوات المائـدة لـكل شـخص عـلى طاولـة المطبـخ، ظلَّـت راكيـل تـروح وتجـيء لعمـل كل شيء. وأمسـكت قطعـة وأرتهـا إلى تـورا لتسـألها رأيهـا. بـين وقـت وآخـر تذهـب إلى الموقـد وتضـع العجـين في ماكينـة الوافـل، كانـت الرائحـة رائعـة كأنهـا تغطـي عـلى كل مـا حـدث في الحقـل، سـألت راكيـل وهـي ترفـع أحـد حاجبيهـا:

- هل لدينا وقت للتطريز؟

وكانت تمسك منشفة للتزيين وتنظر إليها.

عليهـا رسـم لبيـت وغابـة وكثـير مـن الزهـور. أومـأت تـورا وفمهـا ممتلـئ بالوافـل، شربـت القهـوة أيضًـا. نظـرت إلى الألـوان التـي رفعتهـا راكيـل للنقـش المرسـوم عـلى المنشـفة لتختـار أفضلهـا ملاءمـة.

ابتسـم الرجـل بعينيـه فحسـب. بيَّنـت التجاعيـد حـول عينيه ابتسـامته لكـن فمـه ظـل مـن دون أي تعبـير. أكل ببـطء ومـن دون أن يصـدر صوتًـا عنـد ارتشـاف القهـوة مثلـما يفعـل المسـنون عـادة، رأت تـورا ذلـك؛ كان كل شيء فعلـه مـن دون صـوت.

كـما لـو أنـه يخـشى أن يلحـظ أحـد وجـوده، أحيانًـا ينـسى آداب السـلوك ويجفـف شـاربه بظهـر يـده، وفي لحظـة يتذكـر أنـه في مطبـخ أنـاس محترمـين، فيخـرج منديلـه المتسـخ قليـلًا مـن أحـد جيوبـه العميقـة بحـرجٍ، وبحركـة أنيقـة يجفِّـف المـكان الـذي جفَّفـه للتـوِّ بظهـر يـده.

كان هـذا شـخصًا آخـر غـير الرجـل اليهـودي المسـن الـذي كانـت تـورا تـراه يمـشي بحقيبتـه في منطقـة فاعريـه، وخلفـه أطفـال كثـيرون ومعطـف يرفـرف في الهـواء، كان هـذا أقـرب مـا يكـون إلى.. إنسـان.

صار طبق فطائر الوافل فارغًا، لم تفهم تورا كيف يمكن لشخصٍ أن يأكل ببطء كلما نظرت إليه وفي الوقت نفسه يأكل كثيرًا جدًّا في فترة قصيرة.

استطاع أن يبيع طقمًا من أدوات المطبخ وهم جلوس هناك، ثم نهض بسرعة كي يغادر. كان لديه كثير من المهام، لم يحاول أن يبيع لراكيل أشياء أخرى، تلكأ فقط وهو يغلق حقيبته. أزاح قماش الأثواب والشرائط قليلًا كما لو أن ذلك حدث عرضًا. جعل أصابعه الملتوية تمر بشرود على مجموعة من القماش المخرم العريض.

حين غادر ظلَّت رائحة بهارات غريبة عالقة خلفه.

قالت راكيل لتورا إن في إمكانها البدء في تطريز المفرش، وقالت يكفي استخراج البطاطس لهذا اليوم، الآن ستمارسان التطريز. أضاءت المصباح الكبير فوق طاولة المطبخ، وبدأتا في اختيار الألوان. في البداية لم تتمكن تورا من جعل أصابعها تفعل ما أرادته، جعلها استخراج البطاطس متخشبة وغير قابلة للتحكم. ناولت راكيل الإبرة لتورا وأرتها طريقة عمل أصعب الغرز، كي تأخذ العمل معها إلى البيت. ستحصل على 30 كرونة عند انتهاء المفرش، كان مبلغًا كبيرًا من المال ومن المخجل قبوله. لكن راكيل لم تهتم، وقالت لها أن تجيد العمل لأن التطريز إذا لم يكن جيدًا سيُعاد مرة أخرى. وأعطتها كشاف نور، وقالت لها أن تعود إلى البيت سريعًا كي لا تسبب لهم القلق، غدًا في الثامنة صباحًا سنعمل في استخراج البطاطس مرة أخرى!

ترددت تورا بمجرد ارتداء معطفها وحذائها. بدت غير قادرة على تغليف المفرش الصغير بالورقة الرمادية الكبيرة الذي ظل ينزلق منها. في النهاية أحضرت راكيل شريطًا وربطت الحزمة وأعطتها لتورا بابتسامة.

- فقط لو أستطيع المبيت هنا؟

خرجـت الكلـمات مـن فـم تـورا مـن دون تفكـير، نظـرت لهـا راكيـل بتعجـب.

- هل تخافين الظلام أيتها الفتاة الكبيرة ؟

- لا ليس تمامًا...

جذبت تورا من ضفيرتها، وقالت:

- في وسـعك المبيـت غـدًا لأن سـايمون ذاهـب إلى بـودو. اسـألي أمـك إذا كان ذلـك ممكنًـا؟

- نعم!

شـعرت تـورا وهـي تسـير عـلى الطريـق المفـروش بالحـصى إلى بيتهـا أن اليـوم التـالي يشـبه حيوانًـا صغـيراً ناعـمًا ودافئًـا يجلـس في حجرهـا.

حاولـت أن تنفـض مـن ذهنهـا أفـكار المسـاء، والليـل، وجعلـت شـعاع كشـاف الضـوء يتراقـص عـلى جانبَـي الطريـق وبـين الحقـول. بـدا كـما لـو أنهـا لا تحتـاج إلى هـذا الكشـاف كي تـرى، مـع أن السـماء كانـت مظلمـة والغابـة ممتلئـة بالأشـجار التـي تتلـوّى أغصانهـا لتمتـد وتلاحقهـا.

34

رأت الأمر على الفور حين صعدت السلم، مع أن الظلام كان شبه مخيم لأن مصباح النور فوق باب شقتهم كان محترقًا.

لم يكن معطف أمها وحذاؤها هنا، كان **حذاؤه وقميصه** ملقيين على الأرض أسفل المشجب.

ترددت في مسك مقبض الباب كأنها لا تستطيع فتح الباب تلك الليلة، كان في وسعها سماع أصوات بالداخل.

التفتت وبحثت عن زر مصباح السلم بيدها الفارغة، وضمَّت لفافة الورق الرمادي والكشاف بيدها الأخرى، كأنها لص هارب.

أغلقت الباب الخارجي بهدوء خلفها، ومع ذلك أصدر بعض الصرير، ثم وجدت نفسها بالخارج في البرد القارس مرة أخرى وجعلت الظلام يخبئها.

لم ترد أن تكابد الأمر هذه الليلة!

قـوام صغـير الحجـم يضـع لفافـة تحـت ذراعـه ويتحـاشى الطريـق الرئيـسي، ووجـد الممـر إلى أعـلى بـين السـبخات والمسـتنقعات، انتصبـت أشـجار الحـور الرومـي متشـابكة كأنهـا أشـباح.

بمجـرد أن جلسـت عـلى صخـرة متقطعـة الأنفـاس شـعرت بالأمـان، شـعرت أنهـا تـورا، كانـت تمـضي في طريقهـا، بعيـدًا.

عنـد مقلـع الأحجـار! أرادت الذهـاب والجلـوس هناك، حيث سـتحميها الأحجـار مـن الريـاح، لكـن الوقـت متأخـر، يجـب ألا يراهـا أحـدٌ بالخـارج الآن لأن أمهـا سـتعرف وستشـعر بالخـزي حـين يقـول النـاس إن إنجريـه لا تسـتطيع الحفـاظ عـلى ابنتهـا الوحيـدة التـي تتسـكع في منتصـف الليـل، وسيتسـاءل النـاس؛ تعلمـت تـورا ألَّا تعطـي فرصـة للنـاس ليفعلـوا ذلـك.

لأن النـاس حـين يتعجبـون مـن شيء مـا يطلقـون الأحـكام والاتهامـات السيئة، وكلـما تعجبـوا كانـت حكاياتهـم أكـثر بشـاعة.

حـين نزلـت إلى الطريـق الموصـل إلى مقلـع الأحجـار ظهـر جسـدان في المطلـع، ظهـرا فجـأة، لم تتعـرَّف عليهـما.

اختبـأت بسرعـة بجلـوس القرفصـاء في مـصرف المـاء بجـوار الطريـق، وشـعرت بالمـاء في المـصرف يدخـل حذاءهـا الطويـل. كان مـاء بـاردًا لا يرحـم، بـدأ بالنـزول عـلى سـاقيها ثـم كعبيهـا حتـى أصابـع قدميهـا. مـع ذلـك ظلـت جالسـة في صمـتٍ تـامٍّ حتـى مـرَّ الرجـلان. شـعرت أن مقلـع الأحجـار لم يعُـد آمنًـا، نهضـت، وظلَّـت واقفـة في حـيرة لا تعـرف إلى أيـن تذهـب، كـم هـو سـعيد الحـظ مـن يملـك عليـة مخـزن الآن!

ثـم تذكـرت أن مخـزن المصنـع الـذي يُبنـى لـه سـقف وجـدران الآن، ربمـا يمكنهـا الاختبـاء هنـاك، يمكنهـا أن تظـل جالسـة هنـاك حتـى تتأكـد أن أمهـا انتهـت مـن عملهـا، في وسـعها أن تقابلهـا أمـام مصنـع داهـل، ويجـب أن تعـرف أن أمهـا ستوبِّخها لأنهـا بالخـارج في هـذا الظـلام، نعـم!

عبرت الطريق ببطء، ووجدت حافة الشاطئ كي تستطيع الذهاب إلى فاعريه من دون أن يراها أحد، ظل الماء داخل حذائها قصير الرقبة يصدر صوت انسحاق ببرودة وحزن.

كان الأجدر بها أن تترك قماش التطريز في الردهة بالبيت كي تصبح يداها حرة الحركة، وبهذا يمكنها تدفئة يديها في جيبيها، الآن ستضطر إلى تدفئة يد واحدة كل مرة، ولم يفِدها ذلك كثيراً.

كانت الرياح قوية للغاية، وانفردت ضفيرتاها خلفها كأنهما عصوان في الظلام، وكان من المستحيل إبقاء سترتها مغلقة. تسلل البرد إلى أعلى ساقيها وفخذيها، وندمت على أنها خلعت "سروال جمع البطاطس" حين عادت إلى البيت؛ كانت تنورتها قصيرة والجورب الذي ترتديه رقيقًا، أيضًا كان مطاط الجورب مهترئًا فكان عليها أن تتوقف كل عدة خطوات لضبطه.

في أثناء سيرها لم تنتبه وسقطت وصدمت رأسها بصخرة، شعرت بحصاة تخترق الجورب وجلد ركبتها. جلست وتحسست بأصابعها المنطقة التي جُرحت، التصق دافئًا بأصابعها.. الدم. تمزق الجورب، وسقطت منها اللفافة والكشاف، لكن ما زال لديها وقت لتبحث عنهما وبالتأكيد ستجدهما. كان كل شيء بعيدًا جدًّا، بدا الأمر كما لو أنها ستقضي حياتها زاحفة على شاطئ مظلم طوال الليل.

تألقت الأمواج وهي تصطدم بالساحل. جاء الزبَد بعد ذلك، جاءت الأمواج وذهبت في إيقاع منتظم، ظلت تورا جالسة بلا حراك حتى لم تعد تشعر بقدميها، وضعت يديها بين فخذيها، ولم يكن هذا سيئًا بالنسبة إليهما.

حين أدارت رأسها أخيراً رأت أنوار القرية، حينها بدت أنها تستيقظ، نهضت وهي ترتجف، بحثت حتى وجدت اللفافة والكشاف.

لم تشعل النور، كان الظلام جيدًا، لا يترك آثارًا. كان الظلام دائمًا مخبأً جيدًا لجسد الفتاة. لكن في تلك الحالة لا يجب أن تحيط به الجدران، لا بد أن يكون الأمر كما هو عليه هنا، بلا حدود. حتى والحال هكذا، استولى عليها خوف كئيب من الظلام، بدا الأمر مثل التحرك في عالم ميت. كانت الناجية الوحيدة، وحدها مع نفسها. أجبرت نفسها على نسيان سبب سيرها هنا، لم يكن لديها سبب، كانت مجرد طريقة للوجود، التجول بين الأحجار الميتة الباردة حيث لم يكن ثمة أحياء سوى الرياح والبحر وتورا.

تسللت بين الحمالات الخشبية، وجدت طريقها في أشد الأركان ظلامًا في ظل الهيكل الضخم. كان مخيفًا أكثر الآن حين أصبحت بالداخل. أخيرًا وجدت سلمًا صاعدًا إلى إحدى الحمالات الخشبية، صعدت درجة درجة، وتهاوت وهي تستند بظهرها إلى الحائط بأمان.

مع كل حركة أصدرتها، صرخت الريح بكآبة في الرافعة والبكرات التي لم تخضع للتشحيم، لم يكن جرح ركبتها شديد السوء، واستطاعت تحمُّل الألم.

أحكمت تنورتها حول جسدها قدر استطاعتها، وحاولت أن تمدِّد كُمَّي سترتها إلى يديها، خلعت حذاءها المبتل وأفرغت الماء منه، كانت تتأرجح في مكانٍ مرتفعٍ للغاية عن الأرض!

بدأت تشعر بقدمَيها ببطء، حرَّكت أصابعها متعجبة، شعور غريب أن تحس بأصابع قدميك قريبة إلى هذا الحد المؤلم. ثبَّتت الحذاء واللفافة بين لوحَين كي لا يضيعا منها في الظلام. شعرت بالدوار لحظة حين أدركت مدى ارتفاع المكان الذي تجلس فيه. بالتأكيد بقدر الارتفاع الذي كانت علية المخزن.

ابتكرت لعبة، أنها لو ظلَّت متتبعة لحذائها سيكون كل شيء على ما يرام.

بين الحين والآخر فكرت في اليهودي المسن، شعرت بالبرد الذي يعانيه بالإضافة إلى البرد الذي تعانيه أيضًا.

تأخر الوقت كثيراً بالتأكيد، لكن لن يمكنها النوم، ليس لأنها تخشى أن تسقط لكن لأنه يجب ألا يجدها أحدٌ هناك حين يطلع النهار، أسندت ظهرها إلى الجدار، وعدَّلت من وضع ساقيها، وساعد ذلك كثيراً على الثبات، كان ذلك مفيدًا حقًّا!

أرجعت رأسها إلى الخلف، وشعرت بالخشب الخشن يحك رأسها.

فكرت تورا فقط لو **أنه** يختفي، سيتغير كل شيء. **هو**! لو مات أو سافر؟ نعم. ظلت جالسة وتركت الأفكار تسيطر عليها، شعرت أن الفكرة أصبحت مالحة ولزجة وصعبة البلع.

"يا إلهي! ألا تعتقد أن في وسعك الاستغناء عن هنريك على الأرض"، دعت بصوتٍ خفيضٍ، بالكاد سمعت صوت كلماتها، وأجبرت نفسها على نطق اسمه ربما تُستجاب الدعوة.

بعد أن كررت الكلمات عدة مراتٍ تخيَّلت الخالة راكيل، شمَّت رائحة فطائر الوافل والخبز الذي تعده الخالة، حاولت تورا تجميل هذه الليلة الباردة الحزينة بكل ما استطاعت أن تتذكره.

في النهاية تخيلت أنها نائمة في الغرفة الصغيرة في باكيورده في السرير الأبيض، وهناك خزانة زجاجية تضم فناجين الشاي القديمة الموروثة عن جدتها. في الوقت نفسه كانت جالسة في مكانها ترى لونًا أحمر يمتد في السماء، هناك حيث برزت المنارة من الجزيرة داخل البحر، بدا الأمر مثل معجزة. جاء اليهودي المسن، حجره مليء بالبطاطس الصفراء، وتذمَّر لأن المفرش المطبوع الأصفر الذي كان يريد بيعه أُخذ إلى السماء، والمفارش المطرزة معلقة على المنشر الصدئ في توسينيامَّه ومتسخة تمامًا مثل سروال تورا الذي ترتديه لاستخراج البطاطس.

ظلَّت تورا تصعد إلى أعلى مثل البالون.

أعلى وأعلى، أصبح التنفس سهلًا الآن! لكن أكوام البطاطس في الحقول تتنامى بسرعة كبيرة وتركض خلفها.

فجأة أصبحت هي نفسها ثمرة البطاطس التي ألقتها، شعرت بقوة رميتها، كانت مثالية، كانت تتسلق بخفة وسرعة، ارتقت عاليًا فوق السحاب، فوق جميع المباني والناس بعيدًا بالأسفل، لم يتمكَّن أحد من الوصول إليها.. لا أحد!

ثم رأته واقفًا في مدخل باب البيت، ذراعاه ممدوتان على باب الغرفة.

بدأت تهوي، تهوي وتهوي. حاولت أن تبتعد عن الباب ومدخله، لكنه أصبح أقرب وأقرب. كان الباب قريبًا إلى درجة أنها تمكنت من رؤية تهالك المساحة حول المقبض والخدوش في اللوح الأوسط، لم يكن له وجه. ثم أدركت أنه لم يتغير شيء. لم يكن لديه سوى كلماته المقززة التي يتلفظ بها وأصابعه القوية. لا مفر!

للحظة رأت فريتس مختبئًا بجوار إطار الباب، ويحاول أن يقول لها شيئًا، لكنها لم تفهم الإشارات التي يستخدمها، كان يرفع ذراعيه إلى أعلى، ويحرك أصابعه بأشكالٍ غريبة كثيرة، لكنها لم تفهم شيئًا منها، ثم اختفى، كان الباب قريبًا للغاية، قريبًا للغاية، رأت شعر الرجل الداكن.

تعرَّفت على رائحة الخطر اللاذعة وحضَّرت نفسها للمقاومة.

استيقظت فجأة مرتعدة إلى درجة أنها شعرت أن عنقها المتيبس مكسور، كانت الرائحة!

ظهر النهار، يا إلهي، إذن فقد راحت في النوم على أي حالٍ!

صارع ذهنها للخروج من حالة النوم، وتبعه جسدها على مضضٍ.

عند ذلك رأتها، نار أسفل الحاملة الخشبية! لا، تحت رصيف المرفأ، رائحة القطران والدخان اللاذعة، اشتعلت ألسنة اللهب ببطء حتى تصاعدت النيران لتصل إلى دعائم رصيف المرفأ المطلية حديثًا بالقطران.

بدأت تورا تنزل السلم قبل أن تفهم تمامًا ما يحدث، نزلت بسرعة وسهولة في محاولة لمواكبة خوفها ممَّا جعل تنفسها صعبًا.

لم تعرف هل تحلم أم أنها تنزل السلم حقًّا، لكن حين شعرت بقدميها المكسوتين بجوربها على ألواح خشب رصيف المرفأ تذكرت أن الحذاء بالأعلى، تأكدت أن الأمر حقيقة وليس حلمًا.

توقفت في حيرة، من الذي يمكنه المساعدة؟ لأن مرفأ العم الجديد لا بد من إنقاذه! سارت بخطواتٍ سريعة نحو السلم حيث قوارب التجديف المربوطة هناك لترى مدى سوء الوضع.

وهناك رأته!

الرجل الواقف تحت دعائم المرفأ المتقاطعة هناك!

يمكنها أن تتعرَّف على هذه الهيئة في أي مكان!

الباب! لقد سقطت على الباب في النهاية.

إذن لم يكن حلمًا كما اعتقدت من قبل.

لم ترد الأمر لكن مع ذلك انجرَّت إلى السلم، كان قادمًا نحوها خافضًا رأسه ومعه صفيحة من الوقود. توهجت النيران وطقطقت هناك، تبعت الرجل كما لو أنها تنتقم من شيء ما، انتشرت أكثر وأكثر بسرعة. حين **وصل** إلى أسفل السلم رفع رأسه، وجهه أبيض مقابل الخلفية الحمراء المتوهجة، كانت ألسنة اللهب حية تتلوى خلفه. وقفت تورا على حافة الواقع، حافة الكابوس، وقفت على

قدمين بجوربَين مبتلين، حذاؤها منسيٌّ بالأعلى تحت السماء، ركضت بعيدًا بلا جدوى.

ثم جاءت الصرخة.

تردد صداها عبر طقطقة النيران وأصوات البحر، شعرت بها مثل وجع يسري بجسدها، يمر عبره، وعبر الخوف وعبر كل شيء آخر، وقف الرجل في الأسفل مترنحًا للحظة، لم يتمكن حتى من وضع قدمه على أول درجة من السلم.

تعجبت تورا لرؤية أن له وجهًا، وجه خائف مرتعب، حُفر الرعب بعمق في كل قسماته.

صدرت عنها صرخة أخرى، لكن هذه المرة استمرت وقتًا أطول لأنها أدركت أنها كانت تصرخ. ترنَّح مرة أخرى ثم سقط ثقيلًا وذراعاه ترفرفان. صدم جسده العارضة الخشبية بصوتٍ يشبه الشاحنة التي تحمل الفحم وتلقي جوال الفحم على الأرض الأسمنتية: ليِّنٌ وصلبٌ في الوقت نفسه.

ثم جاء صوت رذاذ الماء لكن غطَّى عليه صوت الطقطقة الصادرة عن الحريق الكبير وضجيج ضربات البحر المنتظمة على الأعمدة، طارت صفيحة الوقود في اتجاه الصخور، وظلَّت راقدة تقرعها الرياح، كأنها تريد أن تخبر العالم بأكمله بمكانها.

توهَّجت النيران، وانعكست على المياه الداكنة التي لا تهدأ. بُعثت إلى الحياة على نحوٍ ما. التهمت ما وجدته في طريقها إلى أعلى، ولعقت ما حول الهيكل الجاف الجديد. امتدت إلى الخارج مثل مروحة عملاقة، اعتقدت تورا بذهولٍ أن الجو أصبح دافئًا، كانت النار مثل صديق، تتألق من أجلها.

كانت يده صفراء حين برزت إلى أعلى للحظة، ثم برز رأسه أيضًا، طفت قبعته بجوار زورق سايمون للتجديف.

تذكرت تورا أن خدوش المركب زرقاء في ضوء النهار، صار المرفأ بأكمله أصفر اللون الآن. كانت قبعته تطفو هناك وحدها تمامًا، ربما كانت سعيدة مثلها، لأنه لا يستطيع إنقاذ نفسه.

سعيدة!

لو أنه كان هناك في المكان الذي تبرز منه قبعته لربما تمسَّك بحافة الزورق، لكنه لم يكن هناك! لقد ابتعد كثيرًا! وكان كل شيء يحترق، سيغرق ويحترق، سيغرق ويحترق، إلى الأبد.. آمين!

- أحضري الزورق، اللعنة!

اختنق الهتاف بابتلاع الرجل مياه البحر واختفائه بالأسفل مرة أخرى، كان هناك توهجٌ أحمر أمام عينَي تورا، كأنه غطاء يضغط بقوة. تردد صفير في رأسها، كما لو أنها لم تكن نفسها بالكامل، كانت خارج كل شيء. كل مرة يغطس الرجل إلى أسفل تشعر بمزيدٍ من الحرية، في النهاية لم تستطع إبقاء الأمر داخلها أكثر من ذلك. أصبح كبيرًا جدًّا. بدأ اللهاث كتحذيرٍ لمجيء نوبة ضحك مجلجل، تدفق من فمها من دون توقع، ثم بدأ الارتجاف.

هبطت زاوية فمها اليمنى، وكشفت عن أسنانها. اتخذ فمها تكشيرة قبيحة مرتعشة في وجهها الأبيض، لم يمكنها إيقاف الضحك.

لم تتمكن من الوصول إليه، **لم يكن عليها** ذلك، كان هذا مؤكدًا. في النهاية لم يصدر أي صوت عن الرجل حين ظهر على سطح الماء.

قريبًا سيهبط حتى أعشاب البحر بعيدًا بالأسفل. ستستقر قناديل البحر والسرطانات عليه بهدوء تأكل جسده الضخم قضمة بقضمة، ستقيِّد يديه وقدميه وتسحبه إلى أسفل في خزي، ستتملكه وتلقيه

جانبًا، لكنها ستعود مرة أخرى، دائمًا! ستتعفن ملابسه حتى لا يكون لديه أي شيء يختبئ خلفه إلا المحيط البارد الهامس.

لن تسبح تورا في المحيط مرة أخرى!

أما **هو** سيفتح فمه دائمًا، ويصيح ويتوسل الرحمة هناك بالأسفل. لكن لن ينفعه ذلك، لن ترى النجوم أو تسمع أي شيء. سينشغل الجميع تمامًا عن ملاحظة أي شيء، سيسود الهدوء غرفتها.

في النهاية سيحمله المد إلى الأعماق حيث لن يكون له أثر بعد الآن، وهناك تيارات الماء أيضًا.

- يا إلهي!

تصاعد الابتهاج من فمها كأنه عواء.

كان الحريق الضخم يطقطق، بدأت النيران تتسلق رصيف المرفأ، تلعق ما بين الألواح الخشبية بألسنةٍ نهِمة لا تُحصى. كانت مُحاطة بوهجٍ ذهبي جميل، لم ترَ شيئًا بهذا الجمال قَطُّ. بدا مثل الوجود في أشعة الشمس، وفاحت رائحة القطران والصيف، لكن هذا كان أفضل، في حالة حركة، كان رقصًا.

ثم تذكرت أن هذا مرفأ العم سايمون الذي يحترق، فجأة رأت الحدود بين الحلم والحقيقة، وشعرت كما لو أن شخصًا صفعها. هل كان يجب أن تكون قاسية إلى هذا الحد كي تتحمَّل الواقع؟ لا! أدركت أنها تقف في زورق التجديف، عملت بسرعة بيدين ميتتين، ففكَّت عقدة الحبل الغليظ، كما لو أنها لن تنوي فعل أي شيء آخر، دفعت الرصيف بالمجداف.. بسرعة، تمَّ الأمر!

كانت تمسك به من شعره خارج الماء حين وصلوا، طفا بخفة غريبة على ظهره على سطح الماء ووجهه إلى أعلى. تمكَّنت من الأمر بسهولة، مع أنها تعرف أن داخله قوة من نوعٍ ما تدفعه إلى الانقلاب

على بطنه وغمر رأسه تحت الماء، لكنها كانت تقلبه كي تعيده. أمسكت ذقنه المتجمدة بإحكامٍ. عيناه مفتوحتان على اتساعهما، مع ذلك لم تريا أي شيء، كانت متأكدة من ذلك، بدتا مثل عينَي سمكة أخرجناها بسرعة من الماء، لكن هناك فرق، كان جسمه راكدًا وساكنًا،

ما زالت قبعته طافية هناك وحدها، طفت حتى وصلت إلى زروق بادير لارسين.

طفت القبعة خالية البال في اتجاه الريح، تبرز ثم تستقر، كما لو أنها تفكر في الطيران، لكنها في الحقيقة أصبحت مبتلة للغاية وثقيلة.

أصوات واضحة، أوامر، كما لو أنها صيغت من فولاذٍ في صباح يومٍ غائم، جاءت من كل مكان عبر الدخان.

اختفى المرفأ بأكمله في الدخان، لكنَّ رائحة القطران حاولت الانتشار بقوة للتغطية على الدمار. اشتعلت اللفائف الكرتونية المطلية بالقطران وطقطقت، كما لو أن النار قامت بمهمة مستحيلة، فسعت لأدائها بغضبٍ أعمى.

ارتجَّ الزورق، شعرت تورا بنفسٍ مفاجئ على وجهها وجسد كبير ودافئ بجوارها، يدان كبيرتان أمسكتا مكان مسكتها، قلب ينبض: هل هذا قلب العم سايمون أم قلبها؟

رُفع الجسد الميت على حافة الزورق مثل أخطبوط عملاق، بدا كأنه عبارة عن كومة من الغضاريف والجلد ملفوفة في ملابس. خصل من الشعر! فقط عندما لم يعُد يلمسها شعرت تورا بخصل الشعر في يديها، مثل سمكة متعفنة تُركت لتنجرف عشوائيًّا في شبكة في المياه الضحلة مع المد والرياح.

تـرك سـايمون مـن باكيـورده الآخريـن يُطفئـون النـار ويعتنـون بجسـد هنريـك الخـالي مـن الحيـاة، حمـل الفتـاة حتـى كـوخ توبايـاس حيـث سـتكون في مأمـن.

قالت بثباتٍ إن صفيحة الوقود موجودة أسفل المرفأ.

فهـم بسرعـة مدهشـة، ولم يسـأل عـن أي شيء، لكنـه ضمَّهـا بقـوة قُـرب قلبـه الجامـح، وسـال الملـح مـن كليهـما.

خلع سترته، ووضعها حولها قبل أن يتلفت حوله ويجد برميلًا.

حـين جـاء رجـلان يحمـلان جسـد هنريـك بينهـما، خلـع سـايمون بـاب كـوخ توبايـاس ووضعـه عـلى البرميـل، وضعـا الجسـد عـلى البـاب، ودفـع سـايمون يـده عميقًـا في حلـق هنريـك.

جلسـت تـورا القرفصـاء عـلى صنـدوق سـمك، وتعجبـت كيـف يمكـن للقلـب أن ينبـض بقـوة هكـذا، شـعرت بالنبـض حتـى أذنيهـا، كان مثـل الآلـة. حـين ألقـوه منقلبًـا عـلى البـاب رأت وجهـه، فجـأة تضخـم جسـده أمـام عينيهـا، وجـاء واتجـه نحوهـا، حـرَّر نفسـه مـن الجسـد الميـت وأتى.

"يـا إلهـي! لسـت أرتـدي إلا جوربًـا هـل تتذكـر ذلـك؟ لم أسـتطع أن أتـصرف أسرع مـن ذلـك، أليـس كذلـك؟".

شـعرت أنهـا عـلى وشـك الاختنـاق. في لحظـة شـعرت كـما لـو أنهـا هنـاك في الأعـلى، وفي طريقهـا في اتجـاه البـاب مـرة أخـرى. إن الباب أسـفل منـه الآن، لكـن الحـال كـما هـي. اعتقـدت أنهـا نالـت الخـلاص، لكنهـا كانـت تسـقط، ولم يحـدث شيء كـما اعتقـدت، لا يحـدث شيء كـما يعتقـد المـرء لأن كل شيء مقـرر سـلفًا.. يمكنـه الوصـول إليهـا حتـى لـو كان ميتًـا!

بالتأكيد هذا ما عليه الحال.. لن تجد مهربًا أبدًا.

أصـدرت إشـارة بيدهـا، وقـد أرادت أن تقـول شـيئًا، لكـن لم ينتبـه أحـدٌ للفتـاة الجالسـة عـلى الصنـدوق، كانـوا يناضلـون لإخـراج مـاء البحـر والقـيء مـن الرجـل المسجَّى عـلى البـاب.

لمـاذا لا يفهـم العـم سـايمون أن الأوان قـد فـات! لقـد مـات وانتهـى الأمـر! لقـد أنقـذوه مـن الوحـدة هنـاك بالأسـفل، هـذا يكفـي.

أخـيرًا رأى الرجـال أن ذقنـه تحركـت، وبـدأ هنريـك يقـيء مـرة بعـد مـرة، قلَبـه سـايمون بسرعـة عـلى جانبـه، ووضـع يـده في حلقـه كي يعجِّـل بالأمـر، دعمـه الرجـال برفـقٍ لكـن بحـزمٍ بالضغـط عـلى بطنـه،

اتجهت جميع الأعين إلى الوجه الأبيض المزرق النائم على الباب.

فجـأة أصبحـت هنـاك حيـاة في عينيـه، وبـدأ يثبـت نظـره بحَـيْرة عـلى أقـرب رجـلٍ يقـف بجـواره، تنافـس الضـوء السـاطع مـن المرفـأ مـع ضـوء النـيران، ظـل الرجـل يرمـش، كأنـه ولـدٌ صغـيرٌ أيقظـوه مبكـرًا رغـمًا عنـه، غاضـبٌ ونعـسٌ.

ثـم حـدث شيء مـا داخـل الرجـل لم يحسـب لـه حسـابًا، كان هنـاك شيء يناضـل كي يعيـش وهـو لا يعـرف ذلـك. تقلَّـص وفجـأة أصـدر صوتًـا عاليًـا قبـل أن يقـيء بقـوة وهـو مسـتلقٍ عـلى البـاب القديـم.

بدا كما لو أنه لن ينتهي أبدًا، كان يتلوَّى مثل سرطان بحر ضخم.

رأت تـورا كل شيء، وتذكـرت أنهـا نسـيت حذاءهـا فـوق الحاملـة الخشـبية، لا يهـم، ليـس لديهـا طاقـة لإحضـاره.

لقـد سـقطت عـلى الأرض بالفعـل، اختفـى حلمهـا، الحلـم الجميـل والحلـم الرهيـب.

تصدر مقابـض الـدِّلاء صوتًـا منتظـمًا عنـد إطفـاء النـار، لم يعُـد أحـد يصـدر الأوامـر، كل شيء سـار كـما يجـب، اسـكب، اسـكب، اسـكب!

فجأة صدر صوتٌ عبر الدخان، ليس لأحدٍ تعرفه؛ صوت صادر من لا شيء:

- هذا بعيد بما يكفي، بعيد بما يكفي! افتحوا الماء، يا للعنة!

ثم جاء الاندفاع القوي محررًا سيل الماء من خرطوم المرفأ، هسَّ وألقى بنفسه فوق الحريق، أجبر الدخان والبخار الرجال على التراجع ببطء عن المرفأ، سعلت تورا من دون أن تدري.

رأت الدِّلاء تمر من يدٍ إلى يدٍ حتى أسفل، وظهور الرجال تنحني وفقًا للنداء. بين حين وآخر يسقط دلو على حافة رصيف المرفأ، فيتلقى الرجل الذي كان سيتسلمه ملء دلو من الماء في وجهه، لكن لم يعُد هناك مزيدٌ من السباب، لأن كل شيء سار كما ينبغي، وكان على الحريق أن يستسلم.

تعالت أصوات الرجال قوية ومتناغمة كصوتٍ واحدٍ، بها رنة الانتصار، لم تسمع تورا شيئًا كهذا من قبل.

- اسكب، اسكب، اسكب!

فوق الرجال والدلاء ارتفع الماء الخارج من الخرطوم ليغمر العالم.

أقواس قزح، تروح وتجيء بسرعة البرق مع انعكاس سيل الماء، لكن مع اضطرار الحريق إلى الاستسلام بمرور الوقت اختفت الألوان في الدخان؛ تداخلت السماء مع البحر، وأصبحا شيئًا واحدًا، لم يعد هناك حدود.

جاء الصباح.

قال الناس إن الرياح هبَّت من الشاطئ بإرادة الرب هذه المرة أيضًا.

35

استقر النهار مثل الكفن فوق المستنقعات حين كان نيسالدار يقود شاحنة داهل وهي تحمل جسد هنريك المبتل في الصندوق.

تورا أيضًا كانت في الصندوق في الخلف لأن المقعد بجوار السائق كان مكسورًا، كأنهم وضعوا عائلة إنجريه في سرير واحد.

إذا كانوا يفهمون أي شيء عن نفسية الطفل لربما كتبوا أغاني وأشعارًا عن مفارقات الحياة القاسية، لكن لم يفكر أحد في أي شيء كهذا.

التفّت يدا تورا بإحكامٍ حول ركبتيها، حدّقت إلى الطريق خلفهم، وعادت بأفكارها إلى اليوم الجديد،

أبدت اعتراضًا ضعيفًا على وضعها بالخلف معه، لكن لم يلتفت لها أحد. قالت الفتاة شيئًا عن حذاء ما أيضًا.

قال شخص ما بنفاد صبر: "لا أحد بحاجة إلى حذاء، وأنتِ لا تحتاجين إليه أيضًا"، لقد حُسم الأمر.

لا يهم كم حاولت أن تشيح ببصرها، ما زالت ترى ساقيه تبرزان من الغطاء، لذا حاولت أن تنظر فقط إلى الطريق، ولم يكن هذا سهلًا لأن الطريق كان متعرجًا.

وصل الخبر إلى إنجريه وكانت واقفة على السلم حين عادا. صلبت ذراعيها على صدرها، وقبضت على فتحة كنزتها، شعرت تورا كما لو أن أحدهم وكز عينَي أمها لتصيرا بارزتين إلى الخارج.

ثم كانت الساعة وماما وهي فحسب.

تمكَّنوا من وضعه في السرير وإعادة الحياة إليه، وأعطوه شيئًا قويًّا يشربه لاستعادة صحته، لم يمثِّل هذا صعوبة كبيرة.

مشت إنجريه ذهابًا وإيابًا في الغرفة، وقدمت إلى نيسالدار قهوة وخبزًا، لكن لم يكن لديه وقت، وهذا صحيح، فقط أومأت بغباء لكنها لم تنس أن تشكره على التوصيلة بمصافحة يده الخشنة.

عرفت إنجريه أن المرء لا بد أن يشكر أي شخص قدم له خدمة. أشاح الرجل ببصره للحظة، ثم فتح الباب وكان في الخارج في الردهة، رددت خطواته صدى أجوف في البيت النائم.

لم تكن عينا إنجريه هناك من أجل تورا، ظلت كلمات كثيرة غير منطوقة معلَّقة بينهما، أسئلة كثيرة لم يجرؤ الكبار على طرحها، ليس الآن، ربما فيما بعد، ربما في وقتٍ مبكرٍ صباح غد. جففت إنجريه يديها المبتلتين في مئزرها، وأعادت بعضًا من شعرها الداكن إلى خلف أذنيها.

- كلي يا تورا حتى تذهبي للنوم.

كان صوتها غير مألوف، بدا كما لو أن تورا لم تسمع أمها تتكلم من قبل، لكن لم يكن لديها قوة لتشعر بشيء تجاه ذلك. بدلًا من ذلك أخذت ثلاث قضمات من الخبز لإرضائها، لكنها أدركت سريعًا

أن ذلـك جهـد ضائـع لأن عينَـي أمهـا عادتـا إلى الداخـل، ولم يعـد هنـاك مـكان لهـا.

بـدا الملاك المعلـق فـوق السريـر كـما لـو أنـه يرغـب بشـدة في الطيران خـارج النافـذة، ليذهـب مـع النـورس. كانـت السـتائر مسـدلة، أرسـلت الريـاح الضبـاب بعيـدًا، وكانـت السـماء جديـدة ولامعـة بعيـدًا فـوق المحيـط الأزرق الداكـن.

بالخارج تردد صوت باخرة شحن.

الغريـب أن كل شيء اسـتمر، لم ينتـه شيء، خلعـت تـورا ملابسـها في الضـوء الرمـادي، ابتـلَّ كُـمًّا الكنـزة حتـى المرفقـين. لم تلاحـظ أمهـا الجـورب المقطـوع. وقفـت الفتـاة محتـارة حـين رأت الجـرح في ركبتهـا وقـد بـدأ ينـزف بعـد أن خلعـت الجـورب، لا يمكـن أن تنـام في السريـر بركبـة كهـذه.

وجـدت منديـلًا في المنضـدة الجانبيـة، وحاولـت أن تربـط ركبتهـا بـه، لكنهـا ربطتـه بشـدة، في لحظـة شـعرت أن العـالم يتداعـى لأنهـا حاولـت ربـط قطعـة القـماش ولم تعـرف، شـعرت بوجـود رمـال أسـفل جفنيهـا.

بـدا الملاك فـوق السريـر كـما لـو أنـه يريـد الهـرب، شـعرت تـورا فجـأة بوابـلٍ مـن الصخـور تنهـار في أعماقهـا، حـواف حـادة تمزقهـا، قـوى جامحـة داخلهـا تناضـل كي تتحـرر، أخرجـت جوربًـا نظيفًـا مـن الـدرج وشـدَّته عـلى ركبتهـا الداميـة؛ أفـاد ذلـك قليـلًا لكـن ليـس بمـا يكفـي.

صعـدت إلى السريـر، وأنزلـت المـلاك مـن عـلى الحائـط، فتحـت النافـذة، وألقـت بـه خارجًـا، طـارت الصـورة فـوق الحديقـة التـي نمـا عشـبها أكثر مـما ينبغـي، وخلـف أشـجار الـدردار عـلى الجانـب الآخـر مـن السـور الحجـري، لمـع الزجـاج ببهجـة حـين وصـل إلى أعـلى نقطـة. سـقطت تـورا كـما لـو أن شـيئًا تمـزَّق في كتفهـا اليمنـى لأنهـا ألقـت الصـورة بقـوة شـديدة، مـا زالـت داخلهـا قـوة غاضبـة كبحتهـا بـأن كـزَّت عـلى أسـنانها.

حين استلقت في السرير رأت مربعًا داكنًا مكان الصورة، لا شيء يمكنه مسحه، لا شيء يمكنه الطيران بعيدًا من دون أن يترك أثرًا خلفه، هذا ما كانت عليه الحال.

ثم فجأة حين كانت تحيط نفسها بذراعيها اللتين لا تزالان نديَّتَين بماء البحر، شعرت بدفء جسد العم سايمون يغمرها، وشعرت برائحة القطران والدخان كأنها ما زالت في زورق التجديف.

قلب العم سايمون! يدق بجوار قلبها، كان العم سايمون دافئًا للغاية!

- حبيبتي، ابنتي الصغيرة المسكينة!

أهذا ما قاله؟ بدا صوته قادمًا من صدره، تحركت الكلمات مرتعدة من جسده الدافئ إلى جسدها.

شيء غريب.

ظلَّت تورا تحدق إلى المربع الداكن مكان الصورة حتى دخلت الشمس، وتحسست بأصابعها ألواح الجدار غير المطلية. كانت العقد واضحة، برزت من الجدار بشكلٍ ما، وبُعثت فيها الحياة. ربما خلقت تخيُّلًا في هذا المنظر لتجعل اليوم يمر على نحوٍ جيدٍ، لكن بطريقة ما لم تستطع تتبع أفكارها. كان الجدار مثل عش طائر عقعق قديم مهجور، من دون نظام. برزت العقد الجافة من كل مكان من دون نمط أو سبب، لكن بالمرور بكل شيء شعرت بنبض قلب العم سايمون.

لم يأتوا لأخذه إلا في وقتٍ متأخرٍ من النهار، جاء مع المأمور رجل آخر.

لم يكن هناك كثير من الإثارة، لكن في وسعك أن تسمع أن الموضوع يتعلق بهنريك.

كانت هناك قوة مصمِّمة على سحب الخيط المفكوك الناتئ حتى لم يتبقَّ أي شيء من الكنزة، حتى لو كان الشتاء على الأبواب. مع

ذلك، أرادتَه أن يبتعد قليلًا. كان من الأكثر أمانًا أن تبقى خلف شيء تحتمي به وتشاهد ما يجري، لأن شيئًا واحدًا كان مؤكدًا: ستتجمد إنجريه برهة. لا بد أن يُسمح لك بالهمس -بسرية تامة بالطبع- والتفكر في كيفية التعامل مع الأمر.

لكن في الحقيقة، أمثالها من الناس الذين ارتكبوا خطيئة كبرى، لم يستطيعوا الشعور بالأمان فيما يتعلق بأقدارهم.

غادرت تورا السرير، وارتدت الجورب الآخر والتنورة والكنزة من اليوم السابق. شعرت كيف لاءمت الملابس جسدها بلطفٍ وجمال، كما لو أنها لم تعرف كيف تشعر بالملابس حول جسدها حتى هذه اللحظة.

عرفت أنه لن يكون هناك أي استخراج للبطاطس في باكيورده هذا اليوم، ولن تستطيع طلب الإذن في المبيت هناك هذه الليلة أيضًا. لا يهم ذلك بعد الآن، كان هذا بعيدًا جدًّا لأن تورا سمعت الرجال، الأبواب التي صُفقت والخطوات التي اختفت، لم يسعها أن تصدق الفرح الغامر الذي شعرت به.

خرجت إلى المطبخ، وارتدت الجوارب الثقيلة الموضوعة أمام الموقد. كانت أمها أخذت تلك المتسخة والمبتلة من أمس ووضعت جوارب جديدة مكانها.

شعرت تورا بارتياحٍ حين رأت ما فعلته أمها.

كانت إنجريه واقفة عند الطاولة وقد أولت تورا ظهرها، اخترقت الشمس النافذة مثل مفاجأة لامعة كبيرة.

حين التفتت أسفرَ وجه تورا عن ابتسامة غير واثقة، لكنها رأت أن ماما اختفت بالنسبة إليها بكل الطرق.

المهم ألَّا تستسلم الآن، هكذا فكرت تورا. لقد قفزت قدماها تلقائيًّا في زورق التجديف، لم يمكنها فعل شيء آخر، لقد أُنقذ، لكن ماما رحلت. الآن عليها أن تتعامل مع الأمور كيفما أتت. لم تقل شيئًا للعم سايمون ومع ذلك جاء المأمور، فلا يمكن أن تلومها ماما على هذا، لا يمكنها! أرادت تورا أن تصرخ بذلك على الظهر المنحني، لكن لم يخرج أي صوت، هل قالت للعم سايمون شيئًا عرفته أمها؟

التفتت إنجريه مرة أخرى في اتجاه النضد، تهدَّلت كتفاها النحيلتان، خيَّم ظلٌّ على جسدها المهزوم،

رأته تورا، للحظة شعرت بألم أمها كما لو أنه ألمها.

ثم نظرت إلى باب غرفتها، وغمرها شعور بالأمان، أزال كل شيء آخر وجعلها قوية، قوية.. لقد أخذوه معهم!

أخذت الخطوات القليلة اللازمة، ووقفت بجوار أمها. بالكاد لمست كُم كنزتها، وقالت:

- سأمسح الأرض اليوم يا ماما، ليس لديَّ مدرسة كما تعلمين، وقالوا إن هناك كثيرًا من التوت في منطقة فاتان هذا العام، هل نذهب إلى هناك معًا؟

حدَّقت أمها من النافذة لحظة.

ثم التفتت ببطء إلى تورا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

نبذة عن المؤلفة

هيربيـورج مارجريتـا واسـمو، كاتبـة نرويجيـة شـهيرة. وُلـدت عـام 1942 في فاسترولين بشـمال النرويـج وعملـت مدرسة هنـاك حتـى بـدأت مسيرتها المهنيـة بوصفهـا كاتبـة. حققـت نجاحهـا الكبـير مـع روايـة المنـزل ذو النوافـذ العميـاء عـام 1981. كان أول مـا نُـشر مـن أعمالهـا مجموعـة شـعرية بعنـوان خفـق الأجنحـة. حصلـت عـلى عـدة جوائـز محليـة ودوليـة.

نبذة عن المترجمتين

شيرين عبد الوهاب

مترجمة مصرية نرويجية وتقسم وقتها بين البلدين. تخرجت في جامعة أوسلو في تخصص العلوم السياسية، وهي مترجمة ذات خبرة كبيرة، ترجمت من بين أعمال أخرى 12 من مسرحيات إبسن المعاصرة، وعدد من أعمال يون فوسه، ومجموعة واسعة من العناوين النرويجية. كانت منسقًا عامًّا لوجود النرويج كضيف شرف معرض القاهرة للكتاب 2024.

سها السباعي

مترجمة، تخرجت في كلية الآداب، جامعة القاهرة. صدر لها عن الإنجليزية عدد من الأعمال في مجال الأدب المقارن والرواية والمساعدة الذاتية النفسية. شاركت بصياغة اللغة العربية في ترجمة عدد من الأعمال الأدبية النرويجية.

المنزل ذو النوافذ العمياء

قصّة مؤثّرة عن "تورا" فتاة صغيرة نشأت في النّرويج خلال الخمسينيّات فترة ما بعد الحرب العالميّة الثانية، تستكشف القصّة صراعاتها مع أسرار الأسرة، والإساءة، والطّبيعة القمعيّة لمجتمعها الرّيفيّ الصّغير.

وتدور الرّواية حول اضطهاد النّساء، ولكنّها تتحدّث أيضًا عن تضامن النّساء وقوّتهنّ، وقد حصلت هذه الرّواية على جائزة نورديك الأدبيّة المرموقة، وجائزة النقاد النرويجيين للأدب 1981.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ISBN 978-977-894-017-6
9 789778 940176

المحروسة